معنى قولـه تعالى

56- قولــه تعـالى: [سورة الزمر: 10].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

1- أن المراد بالآية حـث علـى الهجـرة إذا كـان المسـلم في مكانه لا يتمكن من إقامة شرائع الدين[1].

2- أن المراد بالأرض الواسعة: الجنة[2].

3- أو يراد بسعة الأرض سعة الأرزاق[3].

---

[1] **() فتح القدير للشوكاني (4/437).**

[2] **() زاد المسير لابن الجوزي (7/8).**

[3] **() النكت والعيون للماوردي (5/118).**

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه اللـه-: « الظاهر أن معنى الآية، أن الإنسان إذا كان فـي محـل لا يتمكـن فيـه مـن إقامـة دينـه علـى الـوجه المطلـوب، فعليه أن يهاجر منه في مناكب أرض الله الواسعة حـتى يجد محلاً يمكنه فيه إقامة دينه.

وقـد أوضـح تعـالى هـذا المعنـى فـي غيـر هـذا الموضع، كقوله تعـالى: [سورة النسـا:

97]، وقولـــه تعـــالى: □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□ [سورة العنكبوت: 56]. ولا يخفى أن الـترتيب بالفـاء فـي قولــه ((فإيـاي فاعبـدون)) علـى قولـه (إن أرضي واسعة) دليل واضح على ذلك »[1].

الموافقون:

جمهور المفسرين ذهبوا إلـى أن هـذه الآيـة يـراد بها الحث على الهجرة من المكـان الـذي لا يتمكـن فيـه المسلم من إقامة شرائع الدين إلـى حيـث يمكنـه ذلـك، وهو ما ذهب إليه الشـيخ الشـنقيطي، أذكـر كلام البعـض وأشير إلى البقية، فمنهم:

---

[1] **() أضواء البيان للشنقيطي (7/47).**

1- الإمام الطبري: « وقوله ((وأرض الله واسعة)) يقول تعالى ذكره وأرض الله فسيحة واسعة فهاجروا من أرض الشرك إلى دار السلام »[1].

2- الواحدي: « ((وأرض الله واسعة)) فهاجروا فيها، واخرجوا من بين الكفار »[2].

3- النسفي: « ((وأرض الله واسعة)) أي لا عذر للمفرطين في الإحسان ألبتة حتى إن اعتلوا بأنهم لا يتمكنون في أوطانهم من التوفر على الإحسان، قيل لهم: فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا إلى بلاد أخر، واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم

---

[1] **() جامع البيان للطبري (23/130).**

[2] **() الوجيز للواحدي (2/930).**

وطاعة إلى طاعتهم »[1].

4- ابن عطيـة: « ((وأرض اللـه)) يريـد بهـا البلاد المجـاورة التي تقتضيها القصة التي الكلام فيها، وهذا حضٌّ علـى الهجرة، ولذلك وصف الله الأرض بالسَّعة »[2].

5- البقاعي: «... ولما كان ربما عرض للإنسان فـي أرض مـن يمنعـه الإحسـان، ويحملـه علـى العصـيان، حـث سـبحانه علـى الهجـرة إلـى حيـث يـزول عنـه ذلـك المـانع، تنبيهـاً علـى أن مثـل هـذا ليـس عـذراً فـي

---

[1] **() مدارك التنـزيل للنسفي (4/41).**

[2] **() المحرر الـوجيز لابـن عطيـة (12/515). وكـان قـد ذكـر قبل قليل من كلامه المذكور أن هذه الآية نزلت في جعفـر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجـرة إلـى أرض الحبشة.**

التقصير... »[1].

6- السعدي: « ((وأرض الله واسعة)) إذا منعتم من عبادته في أرض فهاجروا إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم وتتمكنون من إقامة دينكم »[2].

7- سيد قطب: « ((وأرض الله واسعة)) فلا يقعد بكم حب الأرض، وإلف المكان، وأواصر النسب والقربي والصحبة في دارٍ عن الهجرة منها إذا ضاقت بكم في دينكم، وأعجزكم فيها الإحسان. فإن الالتصاق بالأرض في هذه الحالة مدخل من مداخل الشيطان، ولون من اتخاذ الأنداد لله في قلب الإنسان. وهذه لفتة قرآنية لطيفة إلى مداخل الشرك الخفية في

---

[1] () نظم الدرر للبقاعي (16/472).

[2] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(720).

القلب البشري.. »[1].

وبنحو ألفاظ من ذكرتُ جاء كلام كل مـن: الإمـام البغوي[2]، والزمخشري[3]، والفخر الرازي[4]، والقرطبي[5]، والخـازن[6]، وابـن جـزي[7]، وأبـي حيـان[8]،و ابـن كـثير[9]،

---

[1] **() في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3043).**

[2] **() مختصر البغوي (2/808).**

[3] **() الكشاف للزمخشري (4/113).**

[4] **() التفسير الكبير للفخر الرازي (9/431).**

[5] **() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/240).**

[6] **() لباب التأويل للخازن (6/58).**

[7] **() التسهيل لابن جزي (3/419).**

[8] **() البحر المحيط لأبي حيان (9/190).**

[9] **() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/48).**

والبيضاوي[1]، والمحلي[2]، والثعالبي [3]،وغيرهم[4].

ولا يوجد مخالف للموافقين في هذا الترجيح، وعليه أقول:

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن الآية يراد بها الحث على

---

[1] **() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/168).**

[2] **() تفسير الجلالين ص(386).**

[3] **() جواهر الحسان للثعالبي (4/51).**

[4] **() كأبي السعود في إرشاد العقل السليم (4/603)، والشوكاني في فتح القدير (4/437)، والألوسي في روح المعاني (23/248)، والقنوجي في فتح البيان (12/91)، والقاسمي في محاسن التأويل (14/5132)، والمراغي في تفسيره (23/153)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (23/354).**

الهجرة إذا كان المسلم بمكان لا يتمكن فيه من إقامة شرائع الدين، وهو ما رجحه جمهور المفسرين ومنهم الشيخ الشنقيطي، يدل على ذلك أمور:

1- أن سياق الآيات يدل على إرادة هذا المعنى الراجح، وقد صرح بدلالة السياق عليه الإمام ابن عطية بقوله: « ((وأرض الله)) يريد بها البلاد المجاورة التي تقتضيها القصة التي الكلام فيها »[1].

2- كذلك دلالة آيات أخرى من القرآن الكريم عليه تؤيد المعنى الراجح المراد من هذه الآية، منها قوله تعالى:

---

[1] () المحرر الوجيز لابن عطية 012/515).

[illegible] [سورة النساء: 97].

وقوله تعالى: [illegible] [سورة العنكبوت: 56]، وقد أشار إلى هذا الزمخشري[1] ونظام الدين النيسابوري[2]، وأبوحيان[3]، وابن كثير[4]، والشوكاني[5]،

---

[1] () الكشاف للزمخشري (4/113).

[2] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (23/119).

[3] () البحر المحيط لأبي حيان (9/190).

[4] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/48).

[5] () فتح القدير للشوكاني (4/437).

والقنوجي[1]،والشنقيطي[2].

3- كونه اختيار جمهور المفسرين، بدلالة كثرة القائلين به قديماً وحديثاً. وإجماع الجمهور على تفسير يقدمه على غيره[3].

4- عدم وجود من رجّح قولاً آخر غيره، فإنه مع ورود أقوال أخرى إلا أنه لم يجزم أحد باعتبارها معنى للآية، بل إن بعض من يذكر القول الراجح ومعه القول المرجوح، يصرحون بترجيحهم للراجح بقوله: « والأول أولى » ونحو ذلك، كالفخر الرازي[4]،

---

[1] () فتح البيان للقنوجي (12/91).

[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/46).

[3] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/288).

[4] () التفسير الكبير للفخر الرازي (9/431).

والقرطبي[1]، والشوكاني[2]، والقنوجي[3].

5- القول بأن الأرض الواسعة يراد بها الجنة، لم يرجحه أحد، بل ردّ عليه الإمام ابن عطية بقوله: «... وقال قوم: أراد بالأرض هنا الجنة، وفي هذا القول تحكم لا دليل عليه »[4].

6- أما القول بأنه يراد بسعة الأرض سعة الرزق؛ فقد ذكره الماوردي[5] وتبعه القرطبي[6] وقالا عنه (يحتمل) ولم يرجحه أحد. والله أعلم بالصواب.

---

[1] **() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/240).**

[2] **() فتح القدير للشوكاني (4/437).**

[3] **() فتح البيان للقنوجي (12/91).**

[4] **() المحرر الوجيز لابن عطية (12/515).**

[5] **() النكت والعيون للماوردي (5/118).**

[6] **() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/240).**

□ □ □

القول المتَّـبَع

57- قولـه تعـالى: □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □ □ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ [سورة الزمر: 18].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

1- أن المـراد بـالقول مـا جـاء بـه النـبي □ مـن وحـي الكتـاب والسنة، فيفهمونه ويعملـون بمـا فيـه، فيـؤثرون الأفضـل والأكمـل؛ كـالواجب مـع النـدب،والعفـو مـع القصـاص،

والإخفاء مع الإبداء في الصدقة وهكذا[1]..

2- المراد بالقول: جنس القول، بمعنى يستمعون كل قول ليميزوا بين ما ينبغي اتباعه وما ينبغي اجتنابه[2].

3- أن المراد يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن[3].

4- أن المراد بالآية: هو الذي يستمع حديثاً فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه[4].

5- وقيل إن المراد بأحسن القول (لا إله إلا الله)، فروي في سبب نزول الآية أنها نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاريّ وسلمان الفارسيّ، اجتنبوا الطاغوت أن

---

[1]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/48)، محاسن التأويل للقاسمي (14/5134)، أضواء البيان للشنقيطي (7/48).

[2]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(722).

[3]() الوجيز للواحدي (2/931).

[4]() التسهيل لابن جزي (3/420).

يعبدوها في جاهليتهم،و اتبعوا أحسن ما صار من القول إليهم [1].

6- وروي أن أبا بكر الصديق -- آمن بالنبي وصدّقه، فجاء عثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص، فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا، ونزلت فيهم ((فبشر عباد، الذين يستمعون القول)) قال: يريد من أبي بكر ((فيتبعون أحسنه))[2].

---

[1]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/244)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/48)، وقال: والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وذكرها السيوطي في لباب النقول المطبوع بذيل مفردات القرآن لمحمد حسن الحمصي ص(417).

[2]() ذكره الواحدي النيسابوري في أسباب النزول والمطبوع بذيل مختصر الطبري للتجيبي المطبوع بهامش القرآن الكريم ص(385)،

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: «أظهر الأقوال في الآية الكريمة، أن المراد بالقول ما جاء به النبي [illegible] [14-[illegible]].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((فيتبعون أحسنه)) أي يقدمون الأحسن الذي هو أشد حسنا، على الأحسن الذي هو دونه في الحسن، ويقدمون الأحسن مطلقاً على الحسن، ويدل لهذا آيات من كتاب الله [illegible].

تسهيل الوصول لخالد العك ص(295).

أما الدليل على أن القول الأحسن المتبع ما أنزل عليه من الوحي فهو في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: [illegible] [سورة الزمر: 55]، وقوله تعالى لموسى يأمره بالأخذ بأحسن ما في التوراة [illegible] [سورة الأعراف: 145].

وأما كون القرآن فيه الأحسن والحسن، فقد دلت عليه آيات من كتابه. واعلم أولاً أنه لا شك في أن الواجب أحسن من المندوب، وأن المندوب أحسن من مطلق الحسن، فإذا سمعوا مثلاً قوله تعالى: [illegible] [سورة الحج: 77] قدموا فعل الخير الواجب على فعل الخير المندوب، وقدموا هذا الأخير على مطلق الحسن الذي هو الجائز.

ومن أمثلة الترغيب في الأخذ بالأحسن وأفضليته مع جواز الأخذ بالحسن قوله تعالى: [illegible] [سورة النحل: 126]، فالأمر في قوله [illegible] للجواز، والله لا يأمر إلا بحسن، فدل ذلك على أن الانتقام حسن، ولكن الله جل وعلا بيّن أن العفو والصبر خير منه وأحسن في قوله [illegible] وأمثال ذلك كثيرة في القرآن.

وكقوله تعالى في إباحة الانتقام [illegible] [سورة الشورى: 41] مع أنه بين أن الصبر والغفران خير منه في قوله بعده [illegible]

[سورة الشورى: 43].

وكقوله في جواز الانتقام [سورة النساء: 148] مع أنه أشار إلى أن العفو خير منه، وأنه من صفاته -جل وعلا- مع كمال قدرته وذلك في قوله بعده [سورة النساء: 149].

وكقوله جل وعلا مثنياً على من تصدق، فأبدى صدقته [سورة البقرة: 271] ثم بيّن أن إخفاءها وإيتاءها الفقراء خير من إبدائها، الذي مدحه بالفعل الجامد الذي هو لإنشاء المدح الذي هو نعم، في قوله:

[سورة البقرة: 271].

وكقوله في نصف الصداق اللازم للزوجة بالطلاق قبل الدخول [سورة البقرة: 237]. ولا شك أن أخذ كل واحد من الزوجين النصف حسن؛ لأن الله

[سورة البقرة:237].

وقد قال تعالى:

[سورة

40].

وقال تعالى: [سورة

المائدة: 45]، ثم أرشد إلى الأحسن في قوله □□□□□□□□□ □□□□□ □ □ □□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ [سورة المائدة: 45].

واعلم أن في هذه الآية الكريمة أقوالاً غير الذي اخترنا. منها ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في معنى ((فيتبعون أحسنه)) قال: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن، وينكف عن القبيح فلا يتحدث به.

وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن.

وقيل إن المراد بأحسن القول لا إله إلا الله، وبعض من يقول بهذا يقول: إن الآية نزلت فيمن كان يؤمن بالله □ قبل بعث الرسول □، كزيد بن عمرو بن نفيل العدوي، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي. إلى غير ذلك من الأقوال »[1].

خلاصةً إن الشيخ الشنقيطي يرى أن المراد بالقول

---

[1]() أضواء البيان للشنقيطي (7/47-50) بتصرف.

هو ما جاء به النبي من وحي الكتاب والسنة، واتباع أحسنه يعني أنهم يؤثرون الأفضل والأكمل؛ كالواجب مع الندب، والعفو مع القصاص، والإخفاء مع الإبداء في الصدقة وهكذا.

الموافقون:

وافق الشيخ الشنقيطي فيما ذهب إليه في معنى القول واتباع أحسنه عدد قليل من المفسرين، منهم:

1- الإمام ابن كثير: « [illegible] أي يفهمونه ويعملون بما فيه، كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين أتاه التـــــوراة [illegible]

□ □ □□□□□□□□□□□□□□□ [سورة الأعراف: 145] »[1].

2- القاسمي: « ((فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) أي إيثار للأفضل واهتماماً بالأكمل... ويدخل تحته إيثار الأفضل من كل نوعين اعترضا؛ كالواجب مع الندب، والعفو مع القصاص، والإخفاء مع الإبداء في الصدقة وهكذا... »[2].

3- المراغي: « ... ثم مدحهم بأنهم نقّاد في الدين يميزون بين الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل؛ فقال: ((فبشر عباد، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) أي: فبشر هؤلاء الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت، وأنابوا إلى ربهم وسمعوا القول فاتبعوا أولاه بالقبول؛ بالنعيم

---

[1]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/48).

[2]() محاسن التأويل للقاسمي (14/5134).

المقيم في جنات النعيم »[3].

المخالفون:

وهم كل من رجح قولاً واحداً من الأقوال المذكورة في مجمل الأقوال ويمكن تصنيفهم -حسب الأقوال- إلى فئات:

أ- الذين قالوا إن القول المستمع يراد به جنس القول، واتباعهم لأحسنه يعني: أهداه إلى الحق وأرشده إلى توحيد الله وطاعته...، فمنهم:

1- الإمام الطبري: « فبشر عبادي الذين يستمعون القول يقول جل ثناؤه لنبيّه محمد فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين فيتبعون أرشده

---

[3]() تفسير المراغي (23/156).

وأهـداه إلـى الحـق وأدَلَّـه علـى توحيـد اللـه والعمـل بطاعته،و يتركون ما سوى ذلك من القول الـذي لا يـدل على رشاد ولا يهدي إلى سداد »[1].

2- ابـن عطيـة: « وقـوله تعـالى ((الـذين يسـمعون القـول فيتبعون أحسنه)) كلام عـام فـي جميـع الأقـوال، وإنمـا القصد الثناء علـى هـؤلاء ببصـائر هـي لهـم وقـوام فـي نظرهـم، حـتى أنهـم إذا سـمعوا قـولاً ميّـزوه واتبعـوا أحسـنه. واختلـف المفسـرون فـي العبـارة عـن هـذا؛ فقالت: فرقة: أحسن القـول كتـاب اللـه تعـالى، أي إذا سمعوا الأقاويل وسمعوا القرآن اتبعوا القـرآن. وقـالت فرقة: ((القول)) هو القرآن، وأَحْسَنُه ما فيـه مـن عفـو وصـفح واحتمـال علـى صـبر ونحـو ذلـك وقـال قتـادة:

---

[1]() جامع البيان للطبري (23/132).

أحسن القول طاعة الله تعالى. وهذه أمثلة وما قلناه أولاً يعمّها »[1].

3- المحلي: « ((فبشر عباد، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) وهو ما فيه صلاحهم »[2].

4- الثعالبي: « وقوله سبحانه ((الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) كلام عام في جميع الأقوال والمقصد الثناء على هؤلاء في نفوذ بصائرهم وقوام نظرهم حتى إنهم إذا سمعوا قولاً ميزوه واتبعوا أحسنه »[3].

5- البقاعي: « ((فبشر عباد)) أي الذين أهلوا أنفسهم بقصر هممهم عليّ للإضافة إليّ ((الذين يستمعون)) أي بجميع قلوبهم ((القول)) أي هذا الجنس من كل قائل،

---

[1]() المحرر الوجيز لابن عطية (12/520).

[2]() تفسير الجلالين ص(387).

[3]() جواهر الحسان للثعالبي (4/52).

ليسوا جفاة عساة إذا أقبلوا على شيء أعرضوا عن غيره بغير دليل ((فيتبعون)) أي بكل عزائمهم بعد انتقاده ((أحسنه)) بما دلتهم عليه عقولهم من غير عدول إلى أدنى هوى »[1].

6- السعدي: « ((فبشر عباد، الذين يستمعون القول)) وهذا جنس يشمل كل قول، فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله ، كما قال في هذه السورة [سورة الزمر: 23] »[2].

7- سيد قطب: «.. هؤلاء من صفاتهم أنهم يستمعون ما

---

[1]() نظم الدرر للبقاعي (16/480).

[2]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(722).

يستمعون من القول، فتلتقط قلوبهم أحسنه وتطرد ما عداه، فلا يلحق بها ولا يلصق إلا الكلم الطيب، الذي تزكو به النفوس والقلوب.. والنفس الطيبة تتفتح للقول الطيب فتتلقاه وتستجيب له... والنفس الخبيثة لا تتفتح إلا للخبيث من القول ولا تستجيب إلاّ له »[1].

ب- من قال إن المراد بالآية: يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، منهم:

1- الواحدي: « ((الذين يستمعون القول)) القرآن وغيره ((فيتبعون أحسنه)) وهو القرآن »[2].

2- ابن عاشور: « والتعريف في ((القول)) تعريف الجنس، أي يستمعون الأقوال مما يدعو إلى الهدى مثل القرآن وإرشاد الرسول ، ويستمعون الأقوال

---

[1]() في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3045).

[2]() الوجيز للواحدي (2/939).

التي يريد أهلها صرفهم عن الإيمان من ترهات أئمة الكفر، فإذا استمعوا ذلك اتبعوا أحسنه وهو ما يدعو إلى الحق »[1].

جـ- من رجح إن المراد بالآية: هو الذي يستمع حديثاً فيه حسن وقبيح، فيتحدث بالحسن ويكف عن القبيح، منهم:

1- ابن جزي: « ((الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) قيل: يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام. وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن الانتصار وشبه ذلك. وقيل: هو الذي يستمع حديثاً فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه؛ وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر »[2].

---

[1]() التحرير والتنوير لابن عاشور (23/365).

[2]() التسهيل لابن جزي (3/420).

أما العدد الأكثر من المفسرين فقد جمعوا كل الأقـوال أو معظمها عند تفسيرهم للآية، فمثلاً:

1- الإمام النسـفي قـال: « ((فبشـر عبـاد، الـذين يسـتمعون القول فيتبعون أحسنه)) هم الـذين اجتنبـوا وأنـابوا وإنمـا أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصـفة، فوضع الظاهر موضـع الضـمير أراد أن يكونـوا نقّـاداً فـي الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضـل والأفضـل، فإذا اعترضهم أمران؛ واجب وندب اختاروا الواجب، وكذا المباح والندب، حرصاً على ما هو أقرب عند اللـه وأكـثر ثوابـاً. أو يسـتمعون القـرآن وغيـره فيتبعـون القـرآن. أو يستمعون أوامر اللـه فيتبعـون أحسـنها؛ نحـو القصـاص والعفو ونحو ذلك. أو يسـتمعون الحـديث مـع القـوم فيـه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه

».[1]

2- والقرطبي قال: « ((فبشر عباد، الـذين يسـتمعون القـول فيتبعـون أحسـنه)) قـال ابـن عبـاس: هـو الرجـل يسـمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن وينكـف عـن القبيـح فلا يتحـدث بـه. وقيـل: يسـتمعون القـرآن وغيـره فيتبعـون القـرآن. وقيـل: يسـتمعون القـرآن وأقـوال الرسـول فيتبعون أحسنه أي محكمة فيعملون به. وقيل: يستمعون عزماً وترخيصاً فيأخـذون بـالعزم دون الـترخيص. وقيـل: يستمعون العقوبة الواجبة لهم والعفـو فيأخـذون بـالعفو. وقيل: إن أحسن القول على من جعـل الآيـة فيمـن وحَّـد الله قبل الإسلام (لا إله إلا الله) »[2].

3- الخازن: « ((فبشر عباد، الذين يسـتمعون القـول)) يعنـي

---

[1]() مدارك التنزيل للنسفي (4/42).

[2]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/244).

القرآن ((فيتبعون أحسنه)) أي أحسن ما يؤمرون به. فيعملون به، وهو أن الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه؛ والعفو أحسن الأمرين. وقيل: ذكر العزائم والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم. وقيل: يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لأنه كله حسن. وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- لما أسلم أبوبكر الصديق -ﷺ-؛ جاءه عثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا فنزلت فيهم ((فبشر عباد، الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه)). وقيل: نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله؛ وهم زيد بن

عمرو وأبوذر، وسلمان الفارسي »[1].

4- أبوحيان: « ((الذي يستمعون القول)) وهو عام في جميع الأقوال ((فيتبعون أحسنه)) ثناء عليهم بنفوذ بصائرهم وتمييزهم الأحسن، فإذا سمعوا قولاً تبصروه. قيل: وأحسن القول: القرآن وما يرجع إليه. وقيل: القول القرآن، وأحسنه: ما فيه من صفح وعفو واحتمال ونحو ذلك. وقال قتادة: أحسن القول طاعة الله . وعن ابن عباس: هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو، فيحدث بأحسن ما سمع، ويكف عن ما سواه »[2].

وبنحو ذلك جاءت عبارات: الإمام الماوردي[3]،

---

[1] () لباب التأويل للخازن (6/59).

[2] () البحر المحيط لأبي حيان (9/192).

[3] () النكت والعيون للماوردي (5/120).

والبغوي[1]، والزمخشري[2]، وابن الجوزي[3]، ونظام الدين النيسابوري[4]، والشوكاني[5]، والألوسي[6]، والقنوجي[7].

تعقيب الباحث:

لقد كفاني مؤنة التعقيب على هذا الموضع الإمام ابن القيم -رحمه الله- في كلامه حول هذه الآية، فإنه يرجح أن المراد بالقول القرآن الكريم. ولقد تكلم تحت هذه الآية ردًّا على من قال من أصحاب الغناء إن الألف واللام في (القول)

---

[1]() مختصر البغوي (2/809).

[2]() الكشاف للزمخشري (4/116).

[3]() زاد المسير لابن الجوزي (7/10).

[4]() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (23/122).

[5]() فتح القدير للشوكاني (4/440).

[6]() روح المعاني للألوسي (23/252).

[7]() فتح البيان للقنوجي (12/97).

تقتضي العموم والاستغراق وقد مُدح في الآية المتبعون لأحسن القول، فيدخل تحت لفظ القول قول السماع من الغناء وغيره.

فشمّر الإمام ابن القيم -رحمه الله- عن ساعد الجد وذبّ كلام أصحاب الغناء، وردّ عليهم بوجوه تدحض كلامهم، وتبريء ساحة القرآن الكريم من خبيث افترائهم وقبيح فهمهم، فقال:

« الوجه الأول: أن الله -[illegible]-

[سورة الأنعام: 68].

فأمر -[illegible]- بالإعراض عن سماع هذا القول، ونهى عن القعود مع قائليه قال تعالى: [illegible] [سورة النساء: 140]. فجعل سبحانه المستمع لهذا الحديث مثل قائله فكيف سبحانه يمدح مستمع كل قول، وقال تعالى: [illegible] [سورة [illegible]: [illegible]-[illegible]]. [illegible]: [illegible] [سورة [illegible]: [illegible]]. أي أكرموا أنفسهم

عن استماعه، فإذا كان الله -[illegible]- [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [سورة الإسراء: 36]. فقد أخبر سبحانه أنه يسأل العبد عن سمعه وبصره وفـؤاده ونهـاه أن يقفو أي يتبع ما ليس به علم.

وإذا كان السمع والبصر والكلام والفؤاد منقسـماً إلـى ما يؤمر به وينهى عنه والعبـد مسـؤول عـن ذلـك كلـه فكيـف يجـوز أن يقـال: كـل قـول فـي العـالم فالعبـد ممـدوح علـى استماعه ونظير هذا أن يقـال: كـل مرئـي فـي العـالم فالعبـد ممدوح على النظر إليه لقوله: [illegible]

[سورة يونس: 101] وقوله: [سورة الأعراف: 185].

ولهذا دخل الشيطان عليكم وعلى كثير من النساك من هذين المدخلين إذ توسعتم في النظر إلى الصور المنهي عن النظر إليها وفي استماع الأقوال والأصوات التي نهيتم عن استماعها.

الوجه الثاني: أن المراد بالقول في هذه الآية التي احتججتم بها القرآن كما جاء ذلك في قوله: [سورة المؤمنون: 68] وقوله: [سورة القصص: 51] فالقول الذي بشر مستمعيه ومتبعي أحسنه هو القول

الذي وصله وحض على تدبره. وكلام الله يفسـر بعضـه بعضـاً ويحمل بعضه على بعض[1].

الوجه الثالث: أن الألف واللام هنا لتعريف العهـد وهـو القول الذي دعي إليه المخاطب وأمر بتدبره، وأخـبر بتوصـيله لـه وهو كالكتاب والقرآن،والألف واللام فيه كالألف واللام فـي الكتاب سواء، وكذلك الألف واللام فـي الرسـول فـي قولــه: [illegible]

---

[1]() استدلال بتفسير القرآن بالقرآن، أقـوى وأحسـن أنـواع التفسـير. شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127)، قواعد التفسير لخالـد السبت (1/109).

الـوجه الرابـع: أنهـا وإن كـانت للعمـوم فـي قولـه: ((الذين يستمعون القول)) فهي إنما تعـم القـول الـذي أنـزل اللـه ﷻ ومـدحه وأثنـى عليـه وأمـر باتبـاعه واسـتماعه وتـدبره وفهمـه، فهـي تقتضـي العمـوم والاسـتغراق فـي جميـع هـذا القول، فإنها تقتضي عموم ما عرفته وقصد بمصحوبها.

الوجه الخامس: أن السياق كله من أول السـورة إلـى هـذه الآيـة إنمـا هـو فـي القـرآن[1] قـال تعـالى

---

[1]() دلالة السياق قاعدة في الترجيح عند المفسرين، قواعـد الترجيـح عنـد المفسـرين لحسـن الحربـي (1/125).

[سورة الزمر: 17] فهذا إخلاص الدين له، ثم قال: فهذا كتابه فتضمنت ذكر كتابه ودينه كما تضمنت (ذلك) أول السورة فما لأقوال المغنين والمغنيات هاهنا، ثم قال: [سورة الزمر:

22]. [illegible] [سورة الزمر: 23]، فأثنى على أهل السماع والوجد للقول والحديث الذي أنزله ولم يثن سبحانه على مطلق الحديث ومستمعيه، ثم أعاد سبحانه ذكر القرآن في قوله: [illegible] [سورة الزمر: 33]. قال البخاري في صحيحه: عن مجاهد قال: ((والذي جاء بالصدق)) القرآن ((وصدق به)) المؤمن يجيء يوم القيامة يقول: « هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه »[1] فذكر سبحانه الصدق، والمصدق

[1] فتح الباري بشرح صحيح البخاري (8/547)، كتاب التفسير، سورة الزمر.

به مثنياً عليه، وقد ذكر ضدهما وهما الكاذب والمكذب بـالحق وهمـا نوعـان ملعونـان مـن القـول، أعنـي الكـذب والتكـذيب بالحق، فكيف يكون من اسـتمعهما ممـدوحاً مسـتحقاً للثنـاء، ولا ريب أن البدع القولية والسماعية المخالفة لما بعث اللـه به رسوله من الهـدى وديـن الحـق تتضـمن أصـلين: الكـذب على الله والتكذيب بالحق، بل الانتصار لما خـالف ذلـك سـواء كان سماعاً أو غيره، يتضمن الأصلين الباطلين.

الوجه السادس: أنه سبحانه قال بعد ذلـك: [illegible]

[illegible] [سورة الزمر: 53-55]. فهذا الأحسن الذي أمر باتباعه هنا هو الأحسن الذي بشر من اتبعه في أول السورة وهو أحسن المنزل في الموضوعين ونظير هذا قوله تعالى لموسى في التوراة: [illegible] [سورة الأعراف: 145].

فهذا كله إذا تدبره المؤمن الناصح لنفسه؛ علم علماً يقينياً أن الكتاب والقول والحديث الذي أمر الله باستماعه وتدبره وفهمه واتباع أحسنه هو كلامه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأما

مدح الاستماع لكل قول فهذا لا يليق نسبته إلى العقلاء فضـلاً عن رب الأرض والسماء يوضحه:

الوجه السابع: وهو أن الله سبحانه في كتابه إنما أثنى على المستمعين للقرآن وحمـد هـذا السـماع وذم المعرضـين عنه، وجعلهم أهل الكفر والجهل، الصم البكم الذي لا يعقلـون قـــال تعـــالى: [illegible] [سورة الأعراف: 204]. وقال تعالى: [illegible] [سورة الأنفال: 2].

وقال تعالى في حق المنعم عليهم: [illegible]

[سورة مريم: 58]. وقال تعالى: [سورة المائدة: 83]. وقال: [سورة الإسراء: 107]. وقال في ذم المعرضين عن هذا السماع: [سورة لقمان: 6]. وقال: [سورة النجم: 59-61]. وقال: [سورة

[illegible]

[سورة البقرة: 171]. وقال: [illegible] [سورة الفرقان: 73].

وهذا كثير في القرآن وكتاب الله يبين بعضه بعضاً.

الوجه الثامن: أنه سبحانه قال: ((فبشر عباد، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) فمدحهم باستماع القول واتباع أحسنه، ومن المعلوم أن كثيراً من القول بل أكثره ليس فيه حسن فضلاً عن أن يكون أحسن بل غالب القول يكب قائله في النار على منخره.

والأقوال التي ذمها الله في كتابه أكثر من أن تعد، كالقول الخبيث، والقول الباطل، والقول عليه بما لا يعلم القائل، والكذب والافتراء والغيبة والتنابز بالألقاب والتناجي

بـالإثم والعـدوان ومعصـية الرسـول وتـبيت مـا لا يرضـى مـن القول وقول العبد بلسانه ما ليس في قلبه، وقوله ما لا يفعله، وقول اللغو وقول ما لم ينزل بـه سـلطاناً، والقـول المتضـمن للشـفاعة السـيئة والقـول المتضـمن للمعاونـة علـى الإثـم والعدوان وأمثال ذلـك مـن الأقـوال المسـخوطة والمبغوضـة للرب تعالى التي كلها قبيحة لا حسن فيهـا ولا أحسـن فادعـاء العموم في الآية في غير القول الذي أنزله الله على رسـوله من الكتاب والسنة من أبطل الباطل.

الوجه التاسع: أنه سبحانه علق الهداية على اتباع أحسن هـذا القـول فقـال: [illegible] ومن المعلوم بالاضطرار أن الهداية إنما حصلت لمن اتبع القرآن، فهو الذي هداه الله فأين

الهدى فـي أقـوال المغنيـن والمغنيـات؟ »[1] انتهـى كلام ابـن القيم.

وإضافة لما ذكره الإمام ابن القيم؛ أقول:

1- إن كلام الـوعظ والإرشـاد الـذي يهـدي إلـى الحـق والصـواب لابـد أن يكـون مسـتمداً مـن وحـي القـرآن والسـنة الـذي هـو أحسـن القول، وإن لم يكن كله قـرآن وسنة فقط.

2- مع تأكيده على أن أقوال الغناء وغيرها من الأقوال السيئة لا يمكن أن تدخل في العموم المستفاد مـن الألـف واللام

---

[1]() بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم (4/52-58).

في (القول)، إلا أنه لا يمنع أن يدخل تحت عموم القول كلام الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الدين الحق وما إلى ذلك.

3- ختاماً يظهر لي -والله أعلم- أن الراجح في بيان المراد بالقول أنه على العموم المخصوص، بمعنى: أنهم يستمعون الأقوال ولكن هناك أقوال لا يستمعوها أصلاً -وهي ما ذكره ابن القيم في الوجه الثامن ونحوها- فهؤلاء الممدوحون في الآية يستمعون القول « ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله ، كما قال في هذه السورة [سورة

الزمر: 23] »[1].

4- فإذا اتبعوا القــرآن والسـنة. وجـدوا مـا هـو حسـن ومـا هـو أحسـن، وهـو المعـبر عنـه بالفاضـل والأفضـل، والـواجب والندب، والعفو والقصاص، والرخصة والعزيمة... ونحوهــا، فيتبعون الأفضل والأحسن إيثاراً للأجر الأعلى. واللـه أعلـم بالصواب.

المــراد بالشهــداء

58- قولــــه تعـــالى: [illegible]

---

[1] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(722).

[illegible]

[illegible] [سورة الزمر: 69].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

اختلف المفسرون في المراد بالشهداء في الآية على أقوال:

1- أن الشهداء هم الرسل من البشر، الذين أرسلوا إلى الأمم، فلا يُقضى بين أمة حتى يأتي رسولها[1].

2- أن المراد بالشهداء: أمة محمد ، يشهدون للرسل أنهم بلّغوا رسالة الله [2].

3- أن الشهداء هم الحفظة من الملائكة[3].

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/62).

[2] () جامع البيان للطبري (24/22).

[3] () مدارك التنزيل للنسفي (4/52).

4- أو يراد بالشهداء كل من يشهد على الإنسان يوم القيامة من الملائكة والأعضاء والأرض وغيرها[1].

وهذه الأقوال الأربعة مبنية على أن الشهداء جمع شاهد[2].

5- أن الشهداء هم الذين استشهدوا في طاعة الله [3]. وهذا القول مبني على أن الشهداء جمع شهيد[4].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « اختلف العلماء في المراد بالشهداء في هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: هم الحفظة من الملائكة الذين كانوا يحصون أعمالهم في الدنيا، واستدل من قال هذا بقوله تعالى: [illegible] [سورة البقرة: 143].

وقال بعض العلماء: الشهداء أمة محمد [illegible]

---

[1] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(730).

[2] () حاشية الشهاب على البيضاوي (7/353).

[3] () النكت والعيون للماوردي (5/137).

[4] () حاشية الشهاب على البيضاوي (7/353).

[illegible]]سورة البقرة: 143].

وقيل: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله [illegible].

[illegible]: [illegible] [سورة يونس: 47]. فصرح جل وعلا بأنه يسأل الرسل عما أجابتهم به أممهم، كما قال تعالى: [illegible] [سورة المائدة: 109]. وقال تعالى: [illegible] [سورة الأعراف: 6]، وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى: [illegible] [سورة النساء: 41]. لأن كونه [illegible] هو الشهيد على هؤلاء الذين هم أمته، يدل على أن الشهيد على كل أمة هو رسولها.

وقد بيّن تعالى أن الشهيد على كل أمة من أنفس الأمة، فدل على أنه ليس من الملائكة، وذلك في قوله تعالى: [illegible]

[سورة النحل: 89]، والرسل من أنفس الأمم كما قال تعالى في نبينا محمد [سورة التوبة: 128]»[1].

ولم أجد أحداً من المفسرين وافق الشيخ الشنقيطي فيما ذهب إليه.

المخالفون:

وأعني بهم الذين رجّحوا قولاً واحداً من الأقوال المذكورة في مجمل الأقوال، وهم -بحسب بيانهم لمعنى الآية- فئات:

أ- الذين قالوا إن المراد بالشهداء أمة محمد ﷺ، يشهدون للرسل أنهم بلغّوا رسالة الله ﷻ، منهم:

1- الإمام الطبري: « وقوله ((وجيء بالنبيين والشهداء)) يقول وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم وردّت عليهم في الدنيا حين أتتهم رسالة الله ﷻ،

---

[1] () **أضواء البيان للشنقيطي (7/62).**

والشهداء يعني بالشهداء أمة محمد يستشهدهم ربهم على الرسل فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها إذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله ، والشهداء جمع شهيد وهذا نظير قول الله تعالى: [illegible] [سورة البقرة: 143]. وقيل: عنى بقوله ((الشهداء)) الذين قتلوا في سبيل الله ، وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضع كبير معنى؛ لأن عقيب قوله: ((وجيء بالنبيين والشهداء)) ((وقضى بينهم بالحق)) وفي ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا من أنه دعى بالنبيين والشهداء للقضاء بين الأنبياء وأممها »[1].

2- ابن جزي: « ((وجيء بالنبيين)) ليشهدوا على قومهم ((والشهداء)) يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد في سبيل الله ، والأول أرجح لأن فيه الوعيد معنى ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين، والمراد على هذا أمة محمد لأنهم يشهدون على الناس »[2].

---

[1] () جامع البيان للطبري (24/22).

[2] () التسهيل لابن جزي (3/432).

وبعبارات مقاربة قال كل من الواحدي[1]، والمحلي[2]، والجمل[3].

ب- الذين قالوا إن الشهداء هم الحفظة من الملائكة، منهم:

1- الإمام ابن كثير: « ((والشهداء)) أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر »[4].

2- البقاعي: « ((وجيء بالنبيين)) للشهادة على أممهم

---

[1] **() الوجيز للواحدي (2/939).**

[2] **() تفسير الجلالين ص(391).**

[3] **() الفتوحات الإلهية للجمل (3/612).**

وهو: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي، المعروف بالجمل، فقيه مفسر، صاحب الحاشية المعروفة بـ (الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين). توفي سنة (1204هـ). الأعلام (3/131).

[4] **() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/64).**

بـالبلاغ، ولمـا كـان أقـل مـا يكـون الشـهود ضـعف المكلفين؛ عبّر بجمع الكـثرة قـال ((والشـهداء)) أي الذين وكلوا بـالمكلفين فشـاهدوا أعمـالهم فشـهدوا بها وضـبطوها؛ فأصّـلت الأصـول وصـورت الـدعاوى وأقيمت البينات على حسـبها مـن طاعـة أو معصـية، ووقع الجزاء على حسب ذلـك، فظهـر العـدل رحمـة للكفار، وبان الفضل رحمة للمسلمين »[1].

والمراغي[2]، وابن عاشور[3]، عبارتهمـا تشـبه جـداً مـا ذكره ابن كثير قبل قليل.

ج- الذين فسروا الشـهداء علـى العمـوم، بـأنهم

---

[1] **() نظم الدرر للبقاعي (16/563).**

[2] **() تفسير المراغي (24/34).**

[3] **() التحرير والتنوير لابن عاشور (24/67).**

كل من يشهد على الإنسان يوم القيامة، منهم:

1- نظـام الـدين النيسـابوري: « ((وجيء بـالنبيين)) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة ويجيب قـومهم بمـا يجيبـون، والمـراد بالشـهداء الـذين يشـهدون للأمـم وعليهم من الحفظة والأخيار ومن الجوارح والمكـان والزمان أيضاً... »[1].

2- السعدي: « ((وجيء بالنبيين)) ليُسـألوا عـن التبليـغ، وعـن أممهـم، ويشـهدوا عليهـم ((والشـهداء)) مـن الملائكة، والأعضاء، والأرض »[2].

وأما من جمع الأقـوال أو بعضـها دون ترجيـح، فمنهـم:

---

[1] **() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (24/19).**

[2] **() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(730).**

الإمـــام المـــاوردي[1]، والبغـــوي[2]، والزمخشـــري[3]، وابـــن عطية[4]، وابـن الجـوزي[5]، والفخـر الـرازي[6]، والقرطـبي[7]، والخازن[8]، وأبي حيان[9]، والبيضاوي[10]، والثعـالبي[11]، وأبـي

---

[1] () النكت والعيون للماوردي (5/137).

[2] () مختصر البغوي (2/815).

[3] () الكشاف للزمخشري (4/141).

[4] () المحرر الوجيز لابن عطية (12/568).

[5] () زاد المسير لابن الجوزي (7/27).

[6] () التفسير الكبير للفخر الرازي (9/478).

[7] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/283).

[8] () لباب التأويل للخازن (6/71).

[9] () البحر المحيط لأبي حيان (9/223).

[10] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/175).

[11] () جواهر الحسان للثعالبي (4/63).

السعود[1]، والشوكاني[2]، والألوسي[3]، والقنوجي[4]، والقاسمي[5].

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن حمل الآية على جميع ما سبق ذكره من بيان لمعنى الشهداء هو الراجح هنا، سواء ما ذكره الشيخ الشنقيطي أو ما ذكره المخالفون -مع ملاحظة أن القول الخامس في مجمل الأقوال لم يرجحه أحد، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله - والأدلة على ما قلته من الترجيح ما

---

[1] **() إرشاد العقل السليم لأبي السعود (4/625).**

[2] **() فتح القدير للشوكاني (4/458).**

[3] **() روح المعاني للألوسي (24/31).**

[4] **() فتح البيان للقنوجي (12/149).**

[5] **() محاسن التأويل للقاسمي (14/5151).**

يلي:

1- حكى ابن الجوزي إجماع الجمهور[1] على أن الشهداء يراد بهم الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وعليه فقد اجتمع الشنقيطي ومخالفوه، فكل أحد منهم قد ذكر نوعاً من أنواع مَنْ يشهد.

2- واتفق الشنقيطي والمخالفون في أن لفظ (الشهداء) جمع شاهد؛ الذي يشهد لغيره وعلى غيره، وليس جمع شهيد الذي قتل في سبيل الله .

3- ما رجّحه الشنقيطي، أن الشهداء هم الرسل من البشر يشهدون على أممهم قد استدل له بعدد من آيات القرآن الكريم، وهذا تفسير للقرآن بالقرآن أقوى أنواع التفسير[2].

---

[1] **() زاد المسير لابن الجوزي (7/27).**

[2] **() شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127)، قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).**

4- إن عطف الشهداء على الأنبياء مراداً بهم نفس الأنبياء -ما ذهب إليه الشنقيطي- من باب عطف الصفة على الصفة بالواو، كما تقول: جاءني زيد الكريم والعاقل[3].

5- كذلك فإن كل قول رجحه المخالفون له ما يؤيده من آيات القرآن الكريم:

فمن قال بأنهم أمة محمد يشهدون للرسل أنهم بلّغوا رسالة الله ، استدل بقوله تعالى: [سورة البقرة: 143].

ومن قال بأنهم الحفظة من الملائكة استدل بقوله تعالى:

---

[3] () المحرر الوجيز لابن عطية (12/568).

[سورة ق: 21].

ومن ذكر من ض من الش هود الج وارح والأرض وغيره ا يؤيـــده قولـــه تعـــالى:

[سورة ق: 21].

6- القول بأن الشهداء يراد بهم الذين قتلوا فـي سـبيل اللـه لم يرجحه أحد من المفسرين إطلاقـاً، ممـا يـدل أنـه وإن ورد في بعض كتب التفسير إلا أنه لا يصح أن يكون مـراداً في هذه الآية.

7- إلحاقـاً للنقطـة السـابقة... بـل إن عـدداً مـن المفسـرين صـرّحوا بـأن هـذا المعنـى لا يصـح أن يـراد هنـا سـواء

بـترجيحهم لغيـره أو ردّهـم عليـه بـأنه لا يناسـب المقـام؛ بعبارات متنوعة، منهم: الطبري[1]، وابـن عطيـة[2]، وابـن الجوزي[3]، ونظـام الـدين النيسـابوري[4]، وابـن جـزي[5]، وأبي حيان[6]، والثعالبي[7]، والألوسي[8].

8- الذين جمعوا الأقوال فقط دون ترجيح أحدها علـى البقيـة، اتفقوا عند إيرادهم لقول (المستشهدون في سبيل الله) على عدم إيـراد دليـل يقـويه، بـل ربمـا يـوردوه بصـيغة

---

[1] **() جامع البيان للطبري (24/22).**

[2] **() المحرر الوجيز لابن عطية (12/568).**

[3] **() زاد المسير لابن الجوزي (7/27).**

[4] **() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (24/19).**

[5] **() التسهيل لابن جزي (3/432).**

[6] **() البحر المحيط لأبي حيان (9/223).**

[7] **() جواهر الحسان للثعالبي (4/63).**

[8] **() روح المعاني للألوسي (24/31).**

التمريض (قيل)[9]. والله أعلم بالصواب.

□ □ □

[9] () الكشاف للزمخشري (4/141)، التفسير الكبير للفخر الرازي (9/478)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/283)، أنوار التنزيل للبيضاوي (2/175)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (4/625).

معنى الإماتتين والإحياءتين

59- قولـــه تعـــالى: □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ [سورة غافر: 11].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

القول الأول				
	الإماتة	1- كونهم نطفاً وعلقاً ومضغا قبل نفخ الروح	الإحياء	1- في
		2- انقضاء الأجل		2- البعث الحساب

				1- في دا

القول الثاني	الإماتة	1- عند انقضاء الأجل	الإحياء
		2- في القبر إلى وقت البعث	

القول الثالث	الإماتة	1- أماتهم بعد أخذ الميثاق	الإحياء
		2- عند انقضاء آجالهم	

[1] () الأقوال الثلاثة كلها ذكرها الماوردي في النكت والعيون (5/146).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: « التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه؛ أن المـراد بالإمـاتتين فـي هذه الآية الكريمة: الإماتة الأولى التي هي كـونهم فـي بطـون أمهاتهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، قبل نفخ الروح فيهم، فهـم قبـل نفخ الروح فيهم لا حياة لهم، فأطلق عليهم بذلك الاعتبار اسم الموت. والإماتة الثانية هي إماتتهم وصيرورتهم إلـى قبـورهم عند انقضاء آجالهم في دار الدنيا.

وأن المراد بالإحياءتين: الإحياءة الأولى في دار الـدنيا، والإحيـاء الثانيـة الـتي هـي البعـث مـن القبـور إلـى الحسـاب والجزاء والخلود الأبدي الذي لا موت، إما في الجنة وإمـا فـي النار.

والدليل من القرآن على أن هذا القـول فـي الآيـة هـو

التحقيق؛ أن الله [illegible] [سورة البقرة: 28].

وبذلك تعلم أن ما سواه من الأقوال في الآيـة لا معـوّل عليه »[1].

فبخلاصـة بسـيطة يمكننـا القـول إن القـول الراجـح عنـد الشـيخ الشـنقيطي هـو القـول الأول الوارد في مجمل الأقوال، فانظره.

الموافقون:

لقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليـه الشـنقيطي فـي بيان المراد بالإماتتين والإحياءتين جمهور مـن المفسـرين

---

[1] **() أضواء البيان للشنقيطي (7/72).**

معتبرين الإماتتين؛ الأولى: كونهم نطفاً وعلقاَ ومضغاً قبل نفخ الروح، والثانية: الموت بعد انقضاء الأجل. وأما الإحياءتين؛ فالأولى: حياتهم في دار الدنيا، والثانية: حياتهم في الآخرة بعد البعث، وترجيح من رجّح هذا القول جاء على أشكال متنوعة:

أ- التصريح بأنه هو الراجح في الآية أو الصواب ونحو ذلك.

ب- الردّ على القولين الآخرين بأنهما ضعيفان أو خلاف ظاهر القرآن ونحو ذلك.

جـ- أو بذكر الراجح وحده فقط دون التطرق لغيره من الأقوال.

وهاكم نماذج من أقوال الموافقين:

1- الإمام الواحدي: « ((قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا

اثنين)) وذلك أنهم كانوا أمواتاً نطفاً فأحيوا ثم أميتوا في الدنيا ثم أحيوا للبعث »[1].

3- ابن كثير: « وقوله ((قالوا ربنا أمتنا اثنتين)): هذه الآية كقوله تعالى:

---

[1] () الوجيز للواحدي (2/942).

[2] () الكشاف للزمخشري (4/!50).

[illegible]

[سورة البقـرة: 28]. وهـذا هـو الصـواب الـذي لا شك فيه ولا مرية. [ثم ذكر القولين الآخرين وقال عنهما إنهما:] ضعيفان »[1].

4- الثعـالبي: « واختلـف فـي معنـى قـولهم أمتنـا اثنـتين... فقـال ابـن عبـاس وغيـره: أرادوا موتـة كونهم في الأصلاب ثـم إحيـاءهم فـي الـدنيا ثـم إمـاتتهم المـوت المعـروف، ثـم إحيـاءهم يـوم القيامة، وهي كالتي في سورة البقرة: [illegible] .....

---

[1] () **تفسـير القـرآن العظيـم لابـن كـثير (4/74). بتصـرف يسير.**

 [سورة البقرة: 28] [وذكر قولاً آخر ثم قال بعده:] والأول أثبت »[1].

5- القاسمي: « ((قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)) أي أنشأتنا أمواتاً مرتين، وأحييتنا في النشأتين كما قال تعالى: [سورة البقرة: 28] قال قتادة: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لابد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة. فهما حياتان وموتتان »[2].

---

[1] () جواهر الحسان للثعالبي (4/68).

[2] () محاسن التأويل للقاسمي (14/5158).

ونحو ذلك جاء كلام الإمام ابن الجوزي[1]، وابن جزي[2]، وأبي حيان[3]، والمحلي[4]، والبقاعي[5]، والمراغي[6]، وابن عاشور[7].

ولم يخالف أحد هنا، فالقولان الآخران لم يجزم لهما أحد بالترجيح، بل هناك من ردّ عليهما وضعّفهما، وسيأتي في التعقيب إن شاء الله.

---

[1] **() زاد المسير لابن الجوزي (7/35).**

[2] **() التسهيل لابن جزي (4/5).**

[3] **() البحر المحيط لأبي حيان (9/241).**

[4] **() تفسير الجلالين ص(393).**

[5] **() نظم الدرر للبقاعي (17/19).**

[6] **() تفسير المراغي (24/51).**

[7] **() التحرير والتنوير لابن عاشور (24/97).**

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن الراجح في تحديد الإماتتين والإحياءتين هو ما ذهب إليه الجمهور ومنهم شيخنا الشنقيطي، يدل لذلك أمور:

1- إن أقوى وأحسن وأفضل أنواع التفسير تفسير القرآن بالقرآن[1]، وإن آية سورة غافر التي نحن بصددها قد أجمع المفسرون على تفسيرها بآية سورة البقرة: ﴿ [illegible] ﴾ [سورة البقرة: 28] ففي سورة غافر ذكر الإماتتين والإحياءتين بإجمال، وفي آية سورة البقرة ذكرت بتفصيل وترتيب.

---

[1] () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127)، قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[2] () مدارك التنـزيل للنسفي (4/56).

[3] () الكشاف للزمخشري (4/150).

[4] () زاد المسير لابن الجوزي (7/35).

[5] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/297).

[6] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (24/30).

[7] () التسهيل لابن جزي (4/5).

[8] () البحر المحيط لأبي حيان (9/241).

[9] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/73).

[illegible][1] [illegible][1] والشوكاني[3]، والقنوجي[4]، والقاسمي[5]، والمراغي[6].

2- إجماع جمهور السلف على اختيار هذا المعنى الراجح، وقد حكى إجماع الجمهور كل من الإمام الشوكاني[7] والقنوجي[8].

3- كذلك عدم وجود مخالف على الإطلاق يدل على قـوة ترجيح المعنى المختار.

---

[1] **() جواهر الحسان للثعالبي (4/68).**

[2] **() نظم الدرر للبقاعي (17/19).**

[3] **() فتح القدير للشوكاني (4/466).**

[4] **() فتح البيان للقنوجي (12/167).**

[5] **() محاسن التأويل للقاسمي (14/5158).**

[6] **() تفسير المراغي (24/51).**

[7] **() فتح القدير للشوكاني (4/466).**

[8] **() فتح البيان للقنوجي (12/167).**

4- وليس فقط عدم وجود مخالف، بل هناك من المفسرين من ردّ على الأقوال الأخرى؛ من ذلك:

أ- الزمخشري، بعد القول الراجح ذكر القول المرجوح وقال عنه بأنه « خلاف ما في القرآن »[1].

ب- ابن جزي، قال بعد القول المرجوح إنه « قول فاسد »[2].

ج- أبوحيان، قال عن المرجوح إنه « خلاف القرآن »[3].

د- ابن كثير، بعد القولين المرجوحين قال: « إنهما

---

[1] **() الكشاف للزمخشري (4/150).**

[2] **() التسهيل لابن جزي (4/5).**

[3] **() البحر المحيط لأبي حيان (9/241).**

ضعيفان »[1].

5- مما يؤيد القول الراجح أيضاً -استناداً على آية سورة البقرة- أنه بدأ بذكر الإماتة أولاً[2] ثم الحياة الدنيا ثم الموت بعد انقضاء الأجل ثم البعث في الآخرة، في حين أن كلا القولين المرجوحين يُبدأ فيها بالحياة -أوضحتهما في مجمل الأقوال- وهذا خلاف ما ورد في القرآن الكريم.

6- لقد قال المفسرون عن الاختيار الراجح إنه هو الأصح[3]، وهو الصواب[4]، وهو الأثبت[5]. والله أعلم

---

[1] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/73).

[2] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (24/30).

[3] () زاد المسير لابن الجوزي (7/35).

[4] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/73).

[5] () جواهر الحسان للثعالبي (4/68).

بالصواب.

□ □ □

مـن الرجــل؟

60- قولــه تعـالى: □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □ [سورة غافر: 28].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

اختلف المفسرون في هـذا الرجـل المـؤمن علـى

أقوال:

1- أنه كان ابن عم فرعون بمنزلة وليّ العهد وكان يخفي إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه[1].

2- أنه كان قبطياً من جنسه ولم يكن من أهله[2].

3- أنه كان إسرائيلياً ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون[3].

والقولان الأول والثاني متداخلان ومتشابهان جداً بل يكادان يكونان قولاً واحداً في ثنايا كلام المفسرين.

ترجيح الشنقيطي:

() جامع البيان للطبري (24/38)، النكت والعيون للماوردي (5/152)، إيجاز البيان للنيسابوري (2/173).

[2]() النكت والعيون للماوردي (5/152).

[3]() جامع البيان للطبري (24/38).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه اللـه-: « ذكر جل وعلا في هـذه الآيـة الكريمـة أن رجلاً مؤمنـاً من آل فرعون يكتم إيمانه، أي يخفي عنهم أنـه مـؤمن، أنكر على فرعون وقومه إرادتهم قتل نـبي اللـه موسـى عليـه وعلـى نبينـا الصـلاة والسـلام: حيـن قـال فرعـون: ذرونـي أقتـل موسـى وليـدع ربـه. مـع أنـه لا ذنـب لـه يستحق به القتل، إلا أنه يقول: ربي الله...

والتحقيـق أن الرجـل المـؤمن المـذكور فـي هـذه الآية من جماعة فرعون كما هو ظاهر قولـه تعالى ((من آل فرعون)).

فـدعوى أنـه إسـرائيلي، وأن فـي الكلام تقـديماً وتـأخيراً، وأن مـن آل فرعـون متعلـق بيكتـم، أي وقـال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون أي يخفي إيمـانه

عن فرعون وقومه؛ خلاف التحقيق، كما لا يخفى »[1].

الموافقون:

جمع غفير من المفسرين متفقون على أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، وهو هو ما رجحه الشيخ الشنقيطي -رحمة الله عليهم جميعاً- فمنهم:

1- الإمام الطبري، بعد أن ذكر القول الأول بأن الرجل من آل فرعون، ثم ذكر القول الثاني وأن الرجل إسرائيلي، قال: « وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون قد أصغى لكلامه واستمع منه ما قاله وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله وقيله ما قاله، وقال له

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/85).

ما أريكم إلا ما أرى وما أهـديكم إلا سـبيل الرشـاد، ولو كان إسرائيلياً لكان حرياً أن يعاجل هـذا القائـل لـه ولملئه ما قال بالعقوبة على قولـه لأنه لـم يكـن يستنصـح بنـي إسـرائيل لاعتـداده إيـاهم أعـداء لـه فيكف بقولـه عن قتل موسـى لـو وجـد إليـه سـبيلا، ولكنه لما كان من ملأ قومه استمع قولـه وكف عما كان هم به في موسى -- »[1].

2- ابن جزي: « ((وقال رجل مـؤمن مـن آل فرعـون))... روي أن هذا الرجل المؤمن كـان ابـن عـم فرعـون، فقوله من آل فرعون صفة للمؤمن. وقيل: كـان مـن بني إسرائيل، فقوله من آل فرعون على هذا يتعلـق بقولـه يكتم إيمانه. والأول أرجـح؛ لأنـه لا يحتـاج فيـه

---

[1] **() جامع البيان للطبري (24/38).**

إلى تقديم وتأخير، ولقوله: [illegible] [سورة غافر: 29]؛ لأن هذا كلام قريب شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذٍ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل هذا الكلام »[1].

3- ابن كثير: « المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً »[2]. ثم تكلم عن ترجيح الطبري لهذا القول وردّه للقول الآخر. وقد مرّ معنا كلام الطبري قريباً.

4- البقاعي: « ((وقال رجل)) أي كامل في رجوليته ((مؤمن)) أي راسخ الإيمان فيما جاء به موسى -ﷺ-. ولما كان للإنسان، إذا عم الطغيان، أن يسكن بين أهل العدوان، إذا نصح بحسب الإمكان، أفاد ذلك بقوله ((من آل فرعون)) أي وجوههم ورؤسائهم

---

[1] () التسهيل لابن جزي (4/8).

[2] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/77).

((يكتم إيمانه)) أي يخفيه إخفاء شديداً خوفاً على نفسه؛ لأن الواحد إذا شذ عن قبيلة يطمع فيه ما لا يطمع إذا كان واحداً من جماعة مختلفة، مخيلاً لهم بما يوقفهم عن الإقدام على قتله من غير تصريح بالإيمان »[1].

5- المراغي: « الرجل المؤمن هو ابن عم فرعون ووليّ عهده وصاحب شرطته، وهو الذي نجا مع موسى، وهو المراد بقوله □□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □ □ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ [سورة القصص: 20] »[2].

6- السعدي: « هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة، لا بد أن يكون له كلمة مسموعة، وخصوصاً إذا كان يظهر موافقتهم ويكتم

---

[1] **() نظم الدرر للبقاعي (17/53).**

[2] **() تفسير المراغي (24/58).**

إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر... قال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم ، مقبحاً فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) »[1].

7- سيد قطب « ... هنا انتدب رجل من آل فرعون، وقع الحق في قلبه، ولكنه كتم إيمانه انتدب يدفع عن موسى -- ، ويحتال لدفع القوم عنه، ويسلك في خطابه لفرعون وملئه مسالك شتى، ويتدسس إلى قلوبهم بالنصيحة، ويثير حساسيتها بالتخويف والإقناع »[2].

وبمثل ذلك وبعبارات مقاربة رجح كل من: الإمام

---

[1] () تيسير الكريم الرحمن لسعدي ص(736).

[2] () في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3078).

النسـفي[1]، والزمخشـري[2]، والنيسـابوري[3]، والفخـر الـرازي[4]، ونظـام الـدين النيسـابوري[5]، والمحلـي[6]، والألوسي[7]، وابن عاشور[8].

ولا يوجد هنا مخالف.

تعقيب الباحث:

---

[1] **() مدارك التنـزيل للنسفي (4/58).**

[2] **() الكشاف للزمخشري (4/158).**

[3] **() إيجاز البيان للنيسابوري (2/173).**

[4] **() التفسير الكبير للفخر الرازي (9/509).**

[5] **() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (24/40).**

[6] **() تفسير الجلالين ص(295).**

[7] **() روح المعاني للألوسي (24/63).**

[8] **() التحرير والتنوير لابن عاشور (24/128).**

الراجح في هذه الآية حسب ما يظهر -والله أعلم- أن الرجل المؤمن من أشد قرابة فرعون وخاصته وجلسائه، يؤيد هذا الترجيح أمور عدة، منها:

1- من قواعد الترجيح المؤيدة لهذا القول، قاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل يجب الرجوع إليه[1]، فإن ما يدل عليه ظاهر ألفاظ الآية أن الرجل من (آل فرعون) يعني من قرابته وعشيرته، فلا يصح أن يقال إن الرجل من بني إسرائيل وقد صرح القرآن الكريم أن الرجل من آل فرعون.

2- كذلك قاعدة أخرى في الترجيح تؤيده هي قاعدة: القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير،

---

[1] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/137).

« إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله وكان خلافهم دائراً بين مدعٍ للتقديم والتأخير في الآية ومبقٍ لها على ترتيبها، فأولى القولين بالصواب قول من قال بالترتيب؛ لأنه الأصل في الكلام، ولا ينتقل عن الأصل إلا بدليل واضح، وقرينة بيّنة، لاسيما إذا استقام المعنى بدونه، فإذا احتمل الأمر وعُدم الدليل والقرينة فالقول الحق أن يبقى الكلام على ترتيبه »[1] وهذا ينطبق على الترجيح في هذه الآية، فإن من يقول إن الرجل كان إسرائيلياً يبنونه على اعتبار أن في الآية تقديماً وتأخيراً، كأنها: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، بتقديم (يكتم إيمانه) وتأخير (من آل فرعون)، وأما

---

[1] **() المرجع السابق (2/451).**

المرجحون لكونه من آل فرعون؛ فالمعنى عندهم مبني على بقاء ألفاظ الآية على تريبها، وقولهم هو الراجح بناء على القاعدة المذكورة.

3- إن المتأمل في الآيات يجد أن طريقة مخاطبة هذا الرجل المؤمن لفرعون تشمل على ما يدل أنه فعلاً من قرابة فرعون، فهو يستخدم لفظة (يا قوم) عدة مرات، فلن يكون الرجل من بني إسرائيل ويخاطب فرعون ومن معه بلفظ (يا قوم)، من ذلك [illegible]

[illegible][1].

4- يلاحظ أن فرعون « أصغى لكلام هذا الرجل واستمع منه ما قاله وتوقف عن قتل موسى -- عند نهيه عن قتله »[2]، مما يدل على أن الرجل ذو مكانة اجتماعية ومنصب رفيع عند فرعون، ولو كان هذا الرجل إسرائيلياً لكان أسرع ما يكون إليه هو نفسه القتل، هذا لمجرد كونه إسرائيلياً، فكيف لو تكلم بمثل هذا الكلام، وقد جاء على لسان فرعون -فيما حكاه القرآن عنه- [illegible] [سورة غافر: 25] ففي هذا أيضاً دليل على أن الرجل من قوم

---

[1] () انظر الآيات (28-45) من سورة غافر.

[2] () جامع البيان للطبري (24/38).

فرعون وليس من بني إسرائيل.

5- إن الدلالة اللغوية للفظ (آل) ترجح كون الرجل من قرابة فرعون « لأن لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة، قال تعالى [illegible] [سورة القمر: 34] »[1].

6- « وقد ردّ على من علّق (من آل فرعون) بـ (يكتم)؛ فإنه لا يقال: كتمت من فلان كذا، إنما يقال: كتمت فلاناً كذا، قال تعالى [illegible] [سورة النساء: 42] »[2].

7- صرّح بعض المفسرين بالرد على القول إن الرجل كان إسرائيلياً؛ بأنه « فيه بُعد »[3] « وهو خلاف ما

---

[1] () التفسير الكبير للفخر الرازي (9/509).

[2] () البحر المحيط لأبي حيان (9/251).

[3] () المرجع السابق (9/251).

في الآية »[4]. والله أعلم بالصواب.

□ □ □

[4]() فتح القدير للشوكاني (4/470)، فتح البيان للقنوجي (12/181).

معنى قوله تعالى [illegible]

61- قوله تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible] [سورة فصلت: 8].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((غير ممنون)) على أقوال:

1- (غير ممنون) يعني غير مقطوع.

ثم إن عدم الانقطاع قد يراد به:

أ - عدم انقطاع نعيم الجنة عن المؤمنين الذين

أكرمهم الله بدخول الجنة[1].

ب- أو يراد به عدم انقطاع كتابة الأجر للمرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم كأصح ما كانوا يعملون فيه[2].

2- ((غير ممنون)) يعني غير ممنون عليهم به.

3- ((غير ممنون) يعني غير منقوص.

4- ((غير ممنون)) يعني غير محسوب[3].

---

[1] () هذا المعنى من عدم الانقطاع هو الذي رجحه الشنقيطي في أضواء البيان (7/115).

[2] () قاله السدي وحكاه عنه البغوي، مختصر البغوي (2/826).

[3] () ذكر الأقوال الأربعة مجتمعة الماوردي في النكت والعيون (5/169)، ما عدا التفصيل المذكور تحت القول الأول.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه اللـه-:

« قولـــه تعـــالى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible].

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن أجرهم غير ممنون؛ نص الله تعالى عليه فـي آيـات أخـر مـن كتـابه، كقوله تعـالى فـي آخـر سـورة الانشـقاق [illegible]

[illegible] [سورة الانشقاق: 25]، وقولـه تعالى فـي سـورة الـتين [illegible]

[سورة التين: 6]، وقوله تعالى في سورة هود [سورة هود: 108]، فقوله غير مجذوذ أي غير مقطوع، وبه تعلم أن غير مجذوذ وغير ممنون معناهما واحد. وقوله تعالى في سورة ص [سورة ص: 54] أي ما له من انتهاء وانقطاع. وقوله في النحل [سورة النحل: 96].

وهذا الذي ذكرنا هو الذي عليه الجمهور؛ خلافاً لمن قال إن معنى غير ممنون: غير ممنون عليهم به،

وعليه فالمن في الآية من جنس المن المذكور في قوله تعالى [illegible] [سورة البقرة: 264].

ومن قال إن معنى غير ممنون: غير منقوص، محتجاً بأن العرب تطلق الممنون على المنقوص، قالوا ومنه قوله زهير:

فضل الجياد على الخيل البطاء فلا يعطى بذلك ممنونا ولا نزقا [1]

---

[1] () لم أجد البيت في ديوان بن زهير.

وزهير هو: بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني، أحد فحول شعراء الجاهلية. انظر: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص(5).

و (نزقا): قال في القاموس المحيط: نزق الإناء والغدير: امتلأ إلى رأسه. القاموس المحيط

فقـوله ممنونـاً أي منقوصـاً. وهـذا وإن صـح لغـةً؛ فالأظهر أنه ليس معنى الآية. بـل معناهـا هـو مـا قـدمنا. والعلم عند الله تعالى »[2].

الموافقون:

وأعني بهم الذين رجحوا أن ((غير ممنـون)) تعنـي غير مقطوع، وأن نعيم الجنة وهو الأجر الذي أعـده اللـه لعبـاده المـؤمنين غيـر مقطـوع عنهـم، بـل يُعطَـوه بلا حساب أبد الآبدين، متوافقين في ذلك مع ما ذهـب إليـه الشيخ الشنقيطي، فمنهم:

1- الإمام ابن كثير: « إن الذين آمنوا الصالحات لهم أجـر غير ممنـون » قـال مجاهـد وغيـره: غيـر مقطـوع ولا

ص(1194) باب القاف فصل النون. بتصرف.

[2] **() أضواء البيان للشنقيطي (7/115).**

مجبوب، كقوله تعـالى □ □□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□ □ [سـ ـورة الكهـــف: 3] وكقـ ـوله □□□□□□ □□□□□□□□ □ □ □ □□□□□□□□□ [سورة هود: 108] »[1].

2- المحلي: « ((لهم أجر غير ممنـون)) ممنـون مقطوع »[2].

3- البقـاعي: « ((لهـم أجـر)) أي عظيـم ((غيـر ممنـون)) أي مقطوع، جزاء على سماحهم بالفاني اليسير من أموالهم في الزكاة وغيرها وما أمر الله □ من أقوالهم وأفعالهمفي الآخرة والدنيا، والممنون: المقطوع؛ □□ مننت الحبل□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□: □□ منّه السفر □□ □□□□ وأذهب □□□□ »[3].

---

[1] **() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/92).**

[2] **() تفسير الجلالين ص(401).**

[3] **() نظم الدرر للبقاعي (17/148).**

[illegible]

[illegible] .[1]

المخالفون:

وهم كل من رجّح قولاً واحداً خلاف ما اختاره الشنقيطي، منهم:

1- الإمام النسفي: « ((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون)) مقطوع، قيل: نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون »[2].

---

[1] **() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(745).**

[2] **() مدارك التنزيل للنسفي (4/67).**

2- النيسابوري: « ((ممنون)) منقوص »[3].

3- ابن عاشور: « والأجر: الجزاء النافع عن العمل الصالح،أو هو ما يُعطونه من نعيم الجنة. والممنون: مفعول من المن، وهو ذكر النعمة للمنعَم عليه بها، والتقدير غير ممنون به عليهم، وذلك كناية عن كونهم أعطوه شكراً لهم على ما أسلفوه من عمل صالح فإن الله غفور شكور، يعني: أن الإنعام عليهم في الجنة ترافقه الكرامة والثناء فلا يُحسون بخجل العطاء، وهو من قبيل قوله تعالى □□□□□□□□□□□□ □□ □ □ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ [سورة البقرة: 264] فأجرهم بمنزلة الشيء المملوك لهم الذي لهم يعطه إياهم أحد وذلك تفضل من الله □ »[2].

---

[3] **() إيجاز البيان للنيسابوري (2/175).**

[2] **() التحرير والتنوير لابن عاشور (24/241).**

أما الغالبية العظمى من المفسرين فإنهم جمعوا الأقوال كلها أو بعضها دون ترجيح، ولقد حكى الشنقيطي إجماع الجمهور على ما اختاره، فبهذا الاعتبار وجدت أن كل الذين لم يرجحوا قولاً واحداً، وإنما جمعوا الأقوال عند تفسيرهم للآية قد اتفقوا على ذكر أن ((غير ممنون)) تعني: غير مقطوع، ثم قد يذكرون معه كل الأقوال الباقية أو بعضها، وهاك أمثلة:

1- الإمام البغوي: « ((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون)) قال ابن عباس: غير مقطوع. وقال مقاتل : غير منقوص، ومنه المنون لأنه ينقص منة الإنسان وقوّته. وقيل: غير ممنون عليهم به. وقال مجاهد: غير محسوب. وقال السدي: نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى، إذا عجزوا عن

الطاعة يكتب لهم كأصح ما كانوا يعملون فيه »[1].

2- ابن الجوزي: « قولـه تعـالى ((غيـر ممنـون)) أي غيـر مقطوع ولا منقوص »[2].

[illegible]

4- ابن جزي: « ((أجر غير ممنون)) أي غير مقطوع، مـن قولك: مننت الحبل إذا قطعتـه. وقيـل: غيـر منقـوص. وقيـل: غيـر محصـور. وقيـل: لا يمـن عليهـم بـه؛ لأن

---

[1] () مختصر البغوي (2/826).

[2] () زاد المسير لابن الجوزي (7/54).

[3] () التفسير الكبير للفخر الرازي (9/543).

المن يكدر الإحسان »[1].

5- البيضاوي: « ((لهم أجر)) عظيم ((غير ممنون)) لا يمن به عليهم، من المن وأصله الثقل. أو لا يقطع، من ممنت الحبل إذا قطعته. وقيل: نزلت في المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصلح ما كانوا يعملون »[2].

6- القاسمي: « ((لهم أجر غير ممنون)) أي عليهم، أو غير منقوص، أو غير منقطع، أو غير محسوب »[3].

وينحو عبارات من سبق فسرها كل من الإمام

---

[1] **() التسهيل لابن جزي (4/19).**

[2] **() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/186).**

[3] **() محاسن التأويل للقاسمي (14/988).**

الماوردي[1]، والقرطبي[2]، والخازن[3]، وأبي حيان[4]، والثعالبي[5]، والشوكاني[6]، والألوسي[7]، والقنوجي[8].

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن الراجح هنا حمل الآية على جميع المعاني الواردة عن المفسرين، يدل على ذلك أمور:

[illegible]

---

[1] () النكت والعيون للماوردي (5/169).

[2] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/341).

[3] () لباب التأويل للخازن (6/88).

[4] () البحر المحيط لأبي حيان (9/287).

[5] () جواهر الحسان للثعالبي (4/82).

[6] () فتح القدير للشوكاني (4/487).

[7] () روح المعاني للألوسي (24/98).

[8] () فتح البيان للقنوجي (12/227).

[illegible]

2- إن حُملت على أن المعنى غير مقطوع، فقد لت آيات من كتاب الله أن ما يعطاه المؤمنون في الجنة لا ينقطع عنهم أبداً، منها قوله تعالى [illegible] [سورة هود: 108]، وقوله تعالى [illegible] [سورة النحل: 96]، وقوله تعالى [illegible] [سورة ص: 54].

3- وإن حُملت على أن المعنى غير محسوب، فقد دلت عليه أيضاً آيات، كقوله تعالى [illegible] [سورة النور: 38]، وقوله تعالى [illegible] [سورة الزمر: 10]، وقوله تعالى [illegible] [سورة غافر: 40].

4- وإن أريد أن المعنى غير منقوص، فهناك من الآيات ما يدل على توفية أجر العامل، منها قوله تعالى ﴿ ﴾ [سورة آل عمران: 57]، وقوله تعالى ﴿ ﴾ [سورة آل عمران: 185]، وقوله تعالى ﴿ ﴾ [سورة النجم: 41].

5- وأما إرادة أن يكون المعنى غير ممنون عليهم به، فإنه وإن ردّ الإمام ابن كثير عليه بقوله « وقد ردَّ هذا التفسير بعضُ الأئمة، فإن المنة لله تعالى على أهل الجنة، قال الله تبارك وتعالى ﴿ ﴾ [سورة الحجرات: 17]، وقال [على لسان] أهل الجنة ﴿ ﴾ [سورة الطور: 27] »[1]. فإن هذا لا يخالف هذا، بمعنى أن

---

[1] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/92).

المنة والفضل لله ، ومن كرمه وفضله ومنته أن جعل الأجر الذي يعطيه للمؤمنين كأنه واجب وحق لهم يأخذونه، فإنعامه « عليهم في الجنة ترافقه الكرامة والثناء فلا يحسون بخجل العطاء.. فأجرهم بمنزلة الشيء المملوك لهم الذي لم يعطه إياهم أحد، وذلك تفضل من الله »[1]. « لأن أعطيات الله تشريف، والمنّ إنما يدخل أعطيات البشر »[2]. والله أعلم بالصواب.

---

[1] () التحرير والتنوير لابن عاشور (24/241).

[2] () البحر المحيط لأبي حيان (9/287).

المـــراد بالظـــن

62- قولـه تعالى ﴿ ﴾ [سورة فصلت: 48].

مجمل الأقوال الواردة في الآية

1- أن الظن هنا بمعنى العلـم واليقيـن، أي أيقنـوا حينئـذٍ أنه لا مهرب لهم من العذاب[1].

2- أن يكون الظن على معناه الحقيقي، وليس ببعيـد أن يكون لهم ظن ورجاء[2].

---

[1] **() جامع البيان للطبري (25/3).**

[2] **() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/372)، فتح القدير للشوكاني (4/501).**

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- « الظن هنا بمعنى اليقين؛ لأن الكفار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، وشاهدوا الحقائق، علموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص، أي ليس لهم مفر ولا ملجأ.

وما ذكرنا من أن الظن في هذه الآية الكريمة بمعنى اليقين والعلم، هو التحقيق إن شاء الله؛ لأن يوم القيامة تنكشف فيه الحقائق، فيحصل للكفار العلم بها لا يخالجهم في ذلك شك، كما قال تعالى عنهم -إنهم يقولون يوم القيامة- [سورة السجدة: 12]، وقال تعالى

[سورة مريم: 38]، وقال تعالى [سورة ق: 22]، وقال تعالى [سورة الأنعام: 30].

ومعلوم أن الظن يطلق في لغة العرب، التي نزل بها القرآن على معنيين:

أحدهما: الشك، كقوله تعالى [سورة النجم: 28]، وقوله تعالى عن الكفار [سورة الجاثية: 32].

والثاني: هو إطلاق الظن مراداً به العلم واليقين، ومنه

قولـه تعالى هنا ((وظنوا ما لهـم مـن محيـص)) أي أيقنوا أنهم ليس لهم يوم القيامة محيص، أي لا مفر ولا مهرب لهم مـن عـذاب ربهـم، ومنـه بهـذا المعنـــى قولـــه تعـــالى [سورة الكهف: 53] أي أيقنوا ذلك وعلموه، وقولــه تعـالى [سورة البقرة: 249]، وقولـه تعالى [سورة الحاقة: 19-20] فالظن في الآيـات المـذكورة كلهـا

بمعنى اليقين »[1].

الشيخ الشنقيطي إذاً يرى أن المراد بالظن هنا في قوله تعالى ((وظنوا ما لهم من محيص)) هو العلم واليقين، بمعنى أن الكفار يوم القيامة إذا شاهدوا الحقائق علموا وأيقنوا أنه لا مفر لهم ولا مهرب.

الموافقون:

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/143-144).

جمهور من المفسرين -واتفق معهم الشيخ الشنقيطي- ذهبوا إلى أن المراد بالظن هنا: العلم واليقين، منهم:

1- الإمام الطبري: « وقوله ((وظنوا ما لهم من محيص)) يقول وأيقنوا حينئذٍ ما لهم من ملجأ أي ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله [1].

2- الواحدي: « ((وظنوا)) علموا ((ما لهم من محيص)) مهرب »[2].

وبمثل هذا ونحوه قال.

- [illegible] [illegible].
- [illegible] [illegible].
- [illegible] [illegible].

6- ابن الجوزي[6]. 7- نظام الدين النيسابوري[7]. 8- ابن جزي[8].

---

[1] () جامع البيان للطبري (25/3).

[2] () الوجيز للواحدي (2/958).

[3] () مختصر البغوي (2/832).

[4] () مدارك التنزيل للنسفي (4/75).

[5] () الكشاف للزمخشري (4/199).

[6] () زاد المسير لابن الجوزي (7/67).

[7] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (25/13).

[8] () التسهيل لابن جزي (4/27).

9- أبوحيان[1]. 10- البيضاوي[2]. 11- المحلي[3].

12- الثعالبي[4]. 13- الشوكاني[5].

14- القنوجي[6].

15- القاسمي[7]. 16- السعدي[8].

المخالفون:

---

[1] **() البحر المحيط لأبي حيان (9/315).**

[2] **() أنوار التنـزيل للبيضاوي (2/191).**

[3] **() تفسير الجلالين ص(405).**

[4] **() جواهر الحسان للثعالبي (4/98).**

[5] **() فتح القدير للشوكاني (4/501).**

[6] **() فتح البيان للقنوجي (12/264).**

[7] **() محاسن التأويل للقاسمي (14/5215).**

[8] **() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(752).**

1- الإمام البقاعي فقط اعتبر أن الظن هنا على معناه المعروف من الشك والتخمين، فعند بيانه لمعنى الآية قال: « ... وكأنهم لما هم عريقون فيه من الجهل وسوء الطبع يتوقعون أن يظفروا بهم فيشفعوا لهم، فلذلك عبر بالظن في قوله ((ظنوا)) أي في ذلك الحال... »[9].

تعقيب الباحث:

الظاهر-والله أعلم- أن الراجح تفسير الظن هنا في سورة فصلت بأنه العلم واليقين، وأن الكفار يوم القيامة يعلموا ويتيقنوا أنه لا مفر لهم ولا ملجأ من عذاب الله وقد شاهدوا الحقائق أمام أعينهم، وهو ما رجحه الشيخ الشنقيطي، يؤيد ذلك أمور:

1- إجماع الجمهور من السلف والخلف على أنه هو الراجح في بيان معنى الآية، وقد ذكرت أن عدداً كبيراً من المفسرين رجّحوا هذا المعنى تحت (الموافقون)، فإنه « إذا انفرد مفسر في تفسير آية من كتاب الله تعالى بقول خالف عامّة المفسرين، ولم يكن لقوله هذا دلالة واضحة قوية فهو قول

---

[9] **() نظم الدرر للبقاعي (17/216).**

شاذ، وقول الجماعة أولى بالصواب، وهم إلى الحق أقرب، ومن الخطأ أبعد »[1].

2- إن حمل الظن في الآية على معناه الحقيقي من الشك والتخمين، بمعنى أنهم « ظنوا أن هذه المقالة [سورة فصلت: 47]، منجاة لهم أو أمر يموِّهون به »[2]، قد صرّح بعض المفسرين بالرد عليه بأنه « ضعيف »[3]، وأنه « بعيد جداً »[4]. والله أعلم بالصواب.

مرجع الضمير المتصل في قوله

63- قوله تعالى: [سورة الشورى:

---

[1] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/288).

[2] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/129).

[3] () التسهيل لابن جزي (4/27).

[4] () جواهر الحسان للثعالبي (4/98).

11].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:
1- أن ضمير (فيه) راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام في قوله تعالى: ((جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً)) سواء أريد بالأزواج الإناث من الآدميين والأنعام، أو أريد بالأزواج الذكور والإناث منهما معاً[1].
2- أن ضمير (فيه) راجع إلى الجعل المدلول عليه بالفعل (جَعَل)[2].
3- أن يكون ضمير (فيه) راجع إلى ما ذكر من التدبير[3].
4- وقيل (فيه) أي في الرحم.
5- وقيل (فيه) أي في البطن[4].
6- وقيل (فيه) أي في الزوج[5].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « التحقيق إن شاء الله أن الضمير في قوله (فيه) راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام في قوله تعالى: ((جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً)) سواء قلنا إن المعنى: أنه جعل للآدميين إناثاً من أنفسهم أي من جنسهم وجعل للأنعام أيضاً إناثاً كذلك، أو قلنا إن المراد بالأزواج الذكور والإناث منهما معاً.
وإذا كان ذلك كذلك؛ فمعنى الآية الكريمة يذرؤكم أي يخلقكم ويبثكم وينشركم فيه، أي فيما ذكر من الذكور والإناث، أي في ضمنه، عن طريق التناسل كما هو معروف.
ويوضح ذلك في قوله تعالى: [illegible]

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/147).
[2] () ذكره القرطبي في الجامع القرآن (16/8).
[3] () مدارك التنزيل للنسفي (4/77).
[4] () القولان (4+5) ذكرهما البغوي، مختصر البغوي (2/834).
[5] () ذكره الشوكاني في فتح لقدير (4/507).

[سورة النساء: 1] فقوله تعالى ((وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً)) يوضح معنى قوله (يذرؤكم فيه)...

وقول من قال إن الضمير في قوله (فيه) راجع إلى الرحم، وقول من قال راجع إلى البطن، ومن قال راجع إلى الجعل المفهوم من (جعل)، وقول من قال راجع إلى التدبير، ونحو ذلك من الأقوال خلاف الصواب.

والتحقيق إن شاء الله هو ما ذكرنا. والعلم عند الله تعالى »[1].

ولا يوجد موافق للشنقيطي في هذا الترجيح.

المخالفون:

لقد رجح عدد كبير من المفسرين خلاف ما رجحه الشنقيطي في تحديد مرجع الضمير المتصل في (فيه) في قوله تعالى:

-

-

-

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/175)؟

[2] () الوجيز للواحدي (2/961).

[3] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/146).

[1]() بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم (4/109).
[2]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(754).
[3]() تفسير الجلالين ص(406).
[4]() جواهر الحسان للثعالبي (4/103).
[5]() التحرير والتنوير لابن عاشور (25/45).
[6]() مدارك التنـزيل للنسفي (4/77).
[7]() أنوار التنـزيل للبيضاوي (2/193).
[8]() نظم الدرر للبقاعي (17/257).

تعقيب الباحث:

---

[1] () الكشاف للزمخشري (4/206).
[2] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/180).
[3] () التفسير الكبير للفخر الرازي (9/582).
[4] () مختصر البغوي (2/834).
[5] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/8) باختصار.
[6] () التسهيل لابن جزي (4/31).
[7] () زاد المسير لابن الجوزي (7/74).
[8] () لباب التأويل للخازن (6/99).
[9] () فتح القدير للشوكاني (4/507).
[10] () فتح البيان للقنوجي (12/281).
[11] () محاسن التأويل للقاسمي (14/5225).

[illegible]

المــراد بالميــزان

64- 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀: 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀
󰀀 󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 [سورة الشورى: 17].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:
1- أن المراد بالميزان: العدل والإنصاف.
2- أنه ما بيَّن في الكتب المنزلة مما يجب على كل إنسان أن يعمل به.
3- أن الميزان هو: العدل فيما أمر به ونُهي عنه، قال القرطبي: وهذه الأقوال [الثلاثة] متقاربة المعنى.
4- الجزاء على الطاعة بالثواب، وعلى المعصية بالعقاب.
5- أن الميزان يراد به: آلة الوزن المعروفة.
6- قيل: هو محمد ﷺ[1].
7- قيل: هو العقل[2].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-:
« وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((والميزان)) يعني أن الله جل وعلا هو الذي أنزل الميزان، والمراد به العدل والإنصاف.

وقال بعض أهل العلم: الميزان في الآية هو آلة الوزن المعروفة، ومما يؤيد ذلك أن الميزان مفعال، والمفعال قياسي في اسم الآلة.

وعلى التفسير الأول وهو أن الميزان العدل والإنصاف، فالميزان الذي هو آلة الوزن المعروفة داخل فيه؛ لأن إقامة الوزن بالقسط من العدل والإنصاف.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الله تعالى هو الذي أنزل الكتاب والميزان أوضحه في غير هذا الموضع كقوله تعالى في سورة الحديد 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀
󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀 󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀󰀀

---

[1] () الأقوال من رقم (1) إلى رقم (6) ذكرها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (16/15).
[2] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (25/24).

[سورة الحديد: 25]، فصرح تعالى بأنه أنزل مع رسله الكتاب والميزان لأجل أن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل والإنصاف. وكقوله تعالى في سورة الرحمن [سورة الرحمن: 7-9].

قال مقيده[1] عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أن الميزان في سورة الشورى وسورة الحديد هو العدل والإنصاف، كما قاله غير واحد من المفسرين.

وأن الميزان في سورة الرحمن هو الميزان المعروف؛ أعني آلة الوزن التي يوزن بها بعض المبيعات.

ومما يدل على ذلك: أنه في سورة الشورى وسورة الحديد عبر بإنزال الميزان لا بوضعه، وقال في سورة الشورى ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان))، وقال في سورة الحديد: ((وأنزلنا معهم الكتاب والميزان))، وأما في سورة الرحمن فقد عبر بالوضع لا الإنزال؛ قال: ((والسماء رفعها ووضع الميزان)) ثم اتبع ذلك بما يدل على أن المراد به آلة الوزن المعروفة، وذلك في قوله: ((وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)) »[2].

فالشيخ الشنقيطي يرجح أن المراد بالميزان هنا في سورة الشورى: العدل والإنصاف.

الموافقون:

عدد كبير من المفسرين فسروا الميزان هنا في سورة الشورى في قوله تعالى ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان)) بأنه يراد به العدل والإنصاف، متوافقين في ذلك مع ما ذهب إليه الشنقيطي، منهم:

---

[1]() يعني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي نفسه.

[2]() أضواء البيان للشنقيطي (7/183).

1- الإمام الطبري: « ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان)) يقول تعالى ذكره الله [illegible] »[1].

2- الواحدي: « الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان)) أي العدل، والمعنى: أن الله تعالى أمر أن يقتدى بكتابه في أوامره ونواهيه، وأن يعامل بالنّصفة والسَّوية، وآلة ذلك الميزان »[2].

3- البغوي: « ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان)) قال قتادة ومجاهد ومقاتل: العدل، وسمي العدل ميزاناً لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية »[3].

4- ابن عطية: « والميزان هنا: العدل، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والناس. وحكى الثعلبي عن مجاهد أنه قال: هو هنا الميزان الذي بأيدي الناس.
[ثم قال:] ولا شك أنه داخل في القول وجزء منه، وكل شيء من الأمور فالعدل فيه إنما هو بتقدير ووزن مستقيم، فيحتاج في الأجرام إلى آلة وهي العمود والكفتان التي بأيدي البشر، ويحتاج في المعاني إلى هيئات في النفوس وفهوم توازن بين الأشياء »[4].

5- ابن كثير: « ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق)) يعني الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه ((والميزان)) هو العدل والإنصاف؛ قاله مجاهد وقتادة. وهذه كقوله تعالى: [illegible] [سورة

---

[1] () جامع البيان للطبري (25/13).
[2] () الوجيز للواحدي (2/963).
[3] () مختصر البغوي (2/836).
[4] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/156).

الرحمن: 7-9] »[1].

6- القاسمي: « ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق)) أي متلبساً به في أحكامه وأخباره ((والميزان)) أي وأنزل الميزان وهو العدل الذي يوزن به الحقوق ويسوّى به الخلاف »[2].

7- السعدي: «... وأما الميزان فهو العدل والاعتبار بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية من الآيات الأفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية، والمناسبات والعلل، والأحكام والحكم، داخلة في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما أشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت رسله، فما خرج عن هذين الأمرين؛ عن الكتاب والميزان مما قيل إنه حجة أو برهان أو دليل أو نحو ذلك من العبارات، فإنه باطل متناقض، قد فسدت أصوله، وانهدمت مبانيه وفروعه، يعرف ذلك من خبر المسائل ومآخذها، وعرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه، وأما من اغتر بالعبارات المزخرفة، والألفاظ المموهة، ولم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد، فإنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فوفاقه وخلافه سيان »[3].

وبنحو ذلك أيضاً قال: الفخر الرازي[4]، والخازن[5]، وأبوحيان [6]، والمحلي[7] والثعالبي[8]، والبقاعي[9]، وسيد

---

[1] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/110).
[2] () محاسن التأويل للقاسمي (14/5235).
[3] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(756).
[4] () التفسير الكبير للفخر الرازي (9/590).
[5] () لباب التأويل للخازن (6/100).
[6] () البحر المحيط لأبي حيان (9/330).
[7] () تفسير الجلالين ص(407).
[8] () جواهر الحسان للثعالبي (4/105).
[9] () نظم الدرر للبقاعي (17/281).

قطب[1]، وابن عاشور[2].

ولا يوجد من رجّح قولاً آخر هنا.

أما الذين لم يرجحوا واكتفوا بجمع الأقوال كلها أو بعضها عند شرح الآية، فقد لاحظت اتفاقهم جميعاً على تفسير الميزان بأنه العدل أو آلة الوزن المعروفة، وقد يزيد بعضهم على هذين أقوالاً أخرى، فمن أمثلتهم:

1- الإمام الماوردي: « (والميزان) فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: أنه الجزاء على الطاعة بالثواب، وعلى المعصية بالعقاب.
الثاني: أنه العدل فيما أمر به ونهى عنه.
الثالث: أنه الميزان الذي يوزن به، أنزله الله من السماء، وعلّم عباده الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس »[3].

2- النسفي: « ((والميزان)) والعدل والتسوية، ومعنى إنزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة، وقيل: هو عين الميزان أنزلة في زمن نوح -- »[4].

3- القرطبي: « (والميزان) أي العدل، قاله ابن عباس وأكثر المفسرين. والعدل يسمى ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل: وقيل: الميزان ما بُيِّن الكتب مما يجب على الإنسان أن يعمل به. وقال قتادة: الميزان العدل فيما أمر به ونهي عنه. وهذه الأقوال متقاربة المعنى. وقيل: هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب. وقيل: إنه الميزان نفسه الذي يوزن به، أنزله من السماء وعلم العباد الوزن به، لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس، قال تعالى:
 [سورة الحديد: 25]. قال

---

[1]() في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3150).
[2]() التحرير والتنوير لابن عاشور (25/68).
[3]() النكت والعيون للماوردي (5/200).
[4]() مدارك التنزيل للنسفي (4/79).

مجاهد: هو الذي يوزن بـه. ومعنـى أنـزل الميـزان هـو إلهامه للخلق أن يعملـوه ويعملـوا بـه. وقيـل: الميـزان محمد ﷺ، يقضي بينكم بكتاب الله »[1].

4- نظام الدين النيسابوري: « (والميزان) أي أنـزل العـدل والسوية في كتبه، أو ألهم اتخاذ الميـزان. وقيـل: هـو العقل. وقيل: الميزان نفسه وذلك في زمن نـوح -ﷺ-. وقيل: هو محمد ﷺ يقضي بينهم بالكتاب »[2].

[illegible]

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن الراجح في بيان ((الميزان)) أن يراد به العدل والإنصاف، وهـو مـا رجحـه جمهـور المفسـرين ومنهم الشيخ الشنقيطي، يدل لذلك أمور:

1- أنه اختيار الجمهور، ولقد حكى إجمـاع الجمهـور عليـه عدد من أئمة التفسـير بعبـارات متقاربـة، منهـم مـن قال أنه قول « الجمهور »[8]، ومن قال إنـه: « قـول أكثر المفسرين »[9]، وإن قول « الناس »[10].

2- لم يخالف أحد، فعلى الرغم من وجـود أقـوال أخـرى ذكرت تحت تفسير الميـزان، إلا أنـه لـم يجـزم أحـد بترجيح قول منها خلاف ما ذهب إليه الجمهور.

---

[1]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/15).
[2]() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (25/24).
[3]() زاد المسير بن الجوزي (7/77).
[4]() التسهيل لابن جزي (4/33).
[5]() أنوار التنـزيل للبيضاوي (2/194).
[6]() فتح القدير للشوكاني (4/510).
[7]() فتح البيان للقنوجي (12/290).
[8]() زاد المسير لابن الجوزي (7/77).
[9]() الجامع لأحكام القرآن للقرطـبي (16/15)، فتـح القـدير للشـوكاني (4/510)، فتح البيان للقنوجي (12/290).
[10]() المحـرر الـوجيز لابـن عطيـة (3/156)، جـواهر الحسـان للثعـالبي (4/105).

3- إن إجماع الجمهور على ما رجحوه مبني على تفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير[1]، فآية سورة الشورى قوله تعالى: [سورة الشورى: 17] تفسرها آية سورة الحديد قوله تعالى: [سورة الحديد: 25] وآية سورة الرحمن قوله تعالى: [سورة الرحمن: 7-9] كما ذكر ذلك الإمام ابن كثير[2] وغيره.

4- الشيخ الشنقيطي أورد اعتراضاً قد يرد على تفسير الميزان بالعدل والإنصاف، بأن هذا « يشكل الفرق بين الكتاب والميزان؛ لأن الكتب السماوية كلها عدل وإنصاف ». ولكنه أيضاً ردّ هذا الإشكال بوجهين يقوّي بهما ما رجحه؛ فلا إشكال أن الكتب السماوية كلها عدل وإنصاف، ولا مانع أن يفسّر الميزان بأنه العدل والإنصاف...، قال: « الجواب من وجهين:

الأول: أن الشيء الواحد إذا عبّر عنه بصفتين مختلفتين جاز عطفه على نفسه تنزيلاً للتغاير بين الصفات منزلة التغاير في الذوات، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: [سورة الأعلى: 1-4] فالموصوف واحد والصفات مختلفة، وقد ساغ العطف لتغاير الصفات[3].

---

[1] () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127)، قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).

[2] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/110).

[3] () والبلاغيون يشترطون في العطف التناسب بجهة عامة، والجهة

وأما الوجه الثاني: فهو ما أشار إليه العلامة ابن القيم -رحمه الله- في أعلام الموقعين[4]، من المغايرة في الجملة بين الكتاب والميزان.

وإيضاح ذلك: أن المراد بالكتاب هو العدل والإنصاف المصرح به في الكتب السماوية.

وأما الميزان فيصدق بالعدل والإنصاف الذي لم يصرح به في الكتاب السماوية، ولكنه معلوم مما صرح به فيها.

فالتأفيف في قوله تعالى: [illegible] [سورة الإسراء: 23] من الكتاب لأنه مصرح به في الكتاب، ومنع ضرب الوالدين مثلاً المدلول عليه بالنهي على التأفيف من الميزان، أي من العدل والإنصاف الذي أنزله الله مع رسله.

وقبول شهادة العدلين في الرجعة والطلاق المنصوص في قوله تعالى: [illegible] [سورة الطلاق: 2] من الكتاب الذي أنزله الله لأنه مصرح به فيه، وقبول شهادة أربعة عدول في ذلك من الميزان الذي أنزله الله مع رسله.

وتحريم أكل مال اليتيم المذكور في قوله [illegible] [سورة النساء: 10] من الكتاب. وتحريم إغراق مال اليتيم وإحراقه،المعروف من ذلك الميزان الذي أنزله الله مع رسله.

وجلد القاذف الذكر للمحصنة الأنثى ثمانين جلدة ورد شهادته والحكم بفسقه المنصوص في قوله تعالى: [illegible]

الجامعة... وللتفصيل في ذلك انظر: مختصر التفتازاني على تخليص المفتاح للقزويني في علم المعاني والبيان والبديع (2/40)، وعقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي (1/200).

[4]() في موضوع طويل عن القياس. أعلام الموقعين لابن القيم، الجزء الأول، من ص(101) إلى ص(250).

[سورة النور: 4-5] من الكتاب الذي أنزله الله ﷻ. وعقوبة القاذف الذكر لذكر مثله، والأنثى القاذفة للذكر أو لأنثى بمثل تلك العقوبة المنصوصة في القرآن من الميزان المذكور.

وحلّية المرأة التي كانت مبتونة بسبب نكاح زوج ثان وطلاقه لها بعد الدخول المنصوص في قوله تعالى: ﷻ [سورة البقرة: 230] أي فإن طلقها الزوج الثاني بعد الدخول وذوق العسيلة، فلا جناح عليهما أي لا جناح على المرأة التي كانت مبتوتة والزوج الذي كانت حراماً عليه؛ أن يتراجعا بعد نكاح الثاني وطلاقه لها، من الكتاب الذي أنزله الله ﷻ. وأما إن مات الزوج الثاني بعد أن دخل بها وكان موته قبل أن يطلقها، فحليتها للأول الذي كانت حراماً عليه، من الميزان الذي أنزله الله ﷻ مع رسله عليهم السلام »[1]. اهـ. والله أعلم بالصواب.

ﷻ ﷻ ﷻ

الجُـــــزْء

65- قوله تعالى: ﷻ [سورة الزخرف: 15].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:
1- أن المراد بالجزاء: الولد عموماً.
2- أن المراد بالجزء: البنات خصوصاً.
وهذان القولان (1+2) متداخلان جداً، فيدخل القول الثاني تحت القول الأول، وذلك أن لفظ الولد في اللغة العربية شامل للأبناء والبنات[2]، ومن ناحية

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/185-187).
[2] () القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(417)، باب الدال، فصل الواو.

أخرى أن البنات أحد النوعين اللذان يولدان.

3- أن (جزءاً) تعني نصيباً، أي جعلوا له من عباده نصيباً. مع العلم أن المفسرين الذين فسروا الجزء أنه النصيب، فسروا النصيب بأنه قول المشركين: الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

4- أن (جزءاً) تعني عدلاً ونظيراً، يعني الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله [1].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « قوله تعالى: ((وجعلوا له من عباده جزءاً))، قال بعض العلماء (جزءاً) أي عدلاً ونظيراً، يعني الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله. وقال بعض العلماء: (جزءاً) أي ولداً. وقال بعض العلماء: (جزءاً) يعني البنات.

وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية: أن الجزء النصيب، واستشهد على ذلك بآية الأنعام، أعني قوله تعالى: [سورة الأنعام: 136].

قال مقيده[2] عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر أن قول ابن كثير -رحمه الله- غير صواب في الآية؛ لأن المجعول لله في آية الأنعام هو النصيب مما ذرأ من الحرث والأنعام، والمجعول له في آية الزخرف هذه جزء من عباده لا مما ذرأ من الحرث والأنعام. وبين الأمرين فرق واضح كما ترى[3].

---

[1] () الأقوال الأربعة كلها ذكرها الماوردي في النكت والعيون (5/219) بتصرف في ترتيبها.

[2] () الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-.

[3] () نعم الفرق واضح، ويظهر لي أنه أشكل على الشيخ الشنقيطي المراد من كلام ابن كثير فإنه لم يقصد التطابق التام بين الآيتين، فآية سورة الأنعام متعلقة بالحرث والأنعام، وآية سورة الزخرف متعلقة بالأبناء والبنات، وأن النصيب (الجزء) الذي جعلوه لله -

وأن قول من قال: إن المراد بالجزء العدل والنظر الذي هو الشريك غير صواب أيضاً؛ لأن إطلاق الجزء على النظير ليس بمعروف في كلام العرب.

أما كون المراد بالجزء في الآية الولد، وكون المراد بالولد خصوص الإناث؛ فهذا هو التحقيق في الآية.

وإطلاق الجزء على الولد يوجه بأمرين:

أحدهما: ما ذكره بعض علماء العربية من أن العرب

هذا [illegible] الضمير هو قول المشركين: الملائكة بنات [illegible] - تعالى [illegible] علواً [illegible] - [illegible] أعلم [illegible].

= [illegible] كثير -رحمه-: « [illegible] مخبراً [illegible] فيما [illegible] جعلهم [illegible] لطواغيتهم [illegible]

[illegible] سورة [illegible] قوله [illegible]:

[illegible]

[illegible] [سورة الأنعام:

[illegible]

[illegible] :

[illegible]

[illegible] [سورة النجم:

21-22]، وقال جل وعلا هنا: [illegible]

[illegible]

ثم قال جل وعلا: [illegible]

[illegible]

المرأة إذا ولدت البنات، وامرأة مجزئة أي تلد البنات [1]، قالوا ومنه قول الشاعر:

إن أجزأت حرة يوماً فلا عجب قد
تجزئ الحرة المذكار أحياناً

وقول الآخر:

زوجتها من بنات الأوس مجزئة
للعوسج اللدن في أبياتها زجل

الثاني: وهو التحقيق إن شاء الله أن المراد بالجزء في الآية الولد، وأنه أطلق عليه اسم الجزء؛ لأن الفرع كأنه جزء من أصله والولد كأنه بضعة من الوالد كما لا يخفى.

وأما كون المراد بالولد المعبر عنه بالجزء في الآية خصوص الإناث فقرينة السياق دالة عليه دلالة واضحة؛ لأن جعل المذكور لله من عباده هو بعينه الذي أنكره الله [سورة الزخرف: 16]، وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار. ثم ذكر تمام الإنكار فقال جلت عظمته: [سورة الزخرف: 17] أي إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به ويتوارى من القوم من خجله من ذلك... فكيف تأنفون أنتم من ذلك وتنسبونه إلى الله ». تفسير القرآن العظيم (4/125).

[1] () القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(45)، باب الهمزة، فصل الجيم. والبيتان ذكرهما ابن منظور في لسان العرب تحت مادة (جزأ) ولم ينسبها. انظر: لسان العرب لابن منظور (طبعة ملونة) (2/268) باب الجيم، مادة: جزأ.

شديداً [illegible]

[سورة الزخرف: 16-18] »[1].

الموافقون:

وأعني بهم كل الذين فسّروا الآية أنه يراد بها ما ادّعاه المشركون: أن الملائكة بنات الله، سواء فسّر الجزء بالولد أو البنت أو النصيب، فإن كل من ذكر أن الآية تشير إلى ادعاء المشركين أن الملائكة بنات الله، فهو قد وافق الشنقيطي في تحديد المراد بالآية. وعليه يلاحظ اجتماع الأقوال الثلاثة الأولى في مجمل الأقوال واعتبار من قال ولو بواحد منها موافقاً للشنقيطي، فمنهم:

1- الإمام الطبري -بعد ذكر الآيات- قال: « يقول تعالى ذكره [illegible] وجعل هؤلاء المشركون لله [illegible] »[2].

2- [illegible] »[3].

3- [illegible] [سورة الزخرف: 9] أي: ولئن سألتهم عن خالق السماوات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءاً، أي قالوا الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءاً له

---

(1) أضواء البيان للشنقيطي (7/214-217).

(2) جامع البيان للطبري (25/34).

(3) الوجيز للواحدي (2/971).

وبعضاً منه، كما يكون الولد جزءاً لوالده »[1].

4- ابن الجوزي: « قوله تعالى ((وجعلوا له من عباده جزءاً)) أما الجعل هاهنا فمعناه: الحكم بالشيء، وهم الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، والمعنى جعلوا له نصيباً من الولد »[2].

5- البقاعي: «...((من عباده)) الذين أبدعهم كما أبدع غيرهم ((جزءاً)) أي ولداً هو لحصرهم إياه في الأنثى أحد قسميْ الأولاد، وكل ولد فهو جزء من والده. ومن كان له جزء كان محتاجاً فلم يكن إلها. وذلك لقولهم: الملائكة بنات الله. فثبت بذلك طيش عقولهم، وسخافة آرائهم »[3].

6- السعدي: « يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولداً، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه:

منها:أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولداً.

ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهم بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومنها: الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراهتهم لذلك [illegible]

---

[1] () مدارك التنزيل للنسفي (4/87).

[2] () زاد المسير لابن الجوزي (7/92).

[3] () نظم الدرر للبقاعي (17/399).

[illegible]

[illegible]

[illegible] »[1].

7- سيد قطب: « ((وجعلوا له من عباده جزءاً، إن الإنسان لكفور مبين)) فالملائكة عباد الله، ونسبة بنوتهم له معناها عزلهم من صفة العبودية، وتخصيصهم بقرابة خاصة بالله؛ وهم عباد كسائر العباد، لا مقتضى لتخصيصهم بصفة غير صفة العبودية في علاقتهم بربهم وخالقهم. وكل خلق الله عباد له خالصو العبودية. وادعاء الإنسان هذا الادعاء يدمغه بالكفر الذي لا شبه فيه: ((إن الإنسان لكفور مبين)).
ثم يحاجهم بمنطقهم وعرفهم، ويسخر من سخف دعواهم أن الملائكة إناث ثم نسبتهم إلى الله : ((أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين؟)).
فإذا كان -سبحانه- متخذاً أبناء، فما له يتخذ البنات ويصفيهم هم بالبنين؛ وهل يليق أن يزعموا هذا الزعم بينما هم يستنكفون من ولادة البنات لهم ويستاءون: ((وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم)).
أفما كان من اللياقة والأدب ألا ينسبوا إلى الله من يستاءون هم إذا بشروا به، حتى ليسود وجه أحدهم من السوء الذي يبلغ حداً يجل عن التصريح به، فيكظمه ويكتمه وهو يكاد يتميز من السوء؟! أفما كان من اللياقة والأدب ألا يخصوا الله بمن ينشأ في الحلية والدعة والنعومة، فلا يقدر على جدال ولا قتال؛ بينما هم -في بيئتهم- يحتفلون بالفرسان والمقاويل من الرجال؟!.

---

[1]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(763).

إنه يأخذهم في هذا بمنطقهم، ويخجلهم من انتقاء ما يكرهون ونسبته إلى الله ﷻ. فهلا اختاروا ما يستحسنونه وما يسرون له فنسبوه إلى ربهم، إن كانوا لابد فاعلين؟!.

ثم يحاصرهم هم وأسطورتهم من ناحية أخرى. فهم يدعون أن الملائكة إناث. فعلام يقيمون هذا الادعاء؟ ((وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً. أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ويسألون)). أشهدوا خلقهم؟ فعلموا أنهم إناث؟ فالرؤية حجة ودليل يليق بصاحب الدعوى أن يرتكن إليه. وما يملكون أن يزعموا أنهم شهدوا خلقهم. ولكنهم يشهدون بهذه ويدعونه، فليحتملوا تبعة هذه الشهادة بغير ما كانوا حاضريه: ((ستكتب شهادتهم ويسألون)).. »[1].

[illegible]: [illegible] والمحلي[10]، والثعالبي[11]، والقاسمي[12]، وابن عاشور[13].

أما القول بأن الجزء يراد به العدل والنظير فلم يجزم أحد بترجيحه معنى للآية، فبالتالي لا يوجد مخالف للموافقين في هذا الموضع.

---

[1]() في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3181).
[2]() مختصر البغوي (2/843).
[3]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/183).
[4]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/69).
[5]() لباب التأويل للخازن (6/110).
[6]() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (25/44).
[7]() التسهيل لابن جزي (4/46).
[8]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/125).
[9]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/199).
[10]() تفسير الجلالين ص(412).
[11]() جواهر الحسان للثعالبي (4/123).
[12]() محاسن التأويل للقاسمي (14/5261).
[13]() التحرير والتنوير لابن عاشور (25/177).

تعقيب الباحث:

من النظر في أقوال المفسرين، يظهر -والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن قال بمثل ما قاله، وأن الآية فيها حكاية ما ادّعاه المشركون من جعل (جزء) نصيب من عباد الله [illegible]

[illegible]:

- [illegible][1] [illegible]

- [illegible] [illegible].

- [illegible] [illegible] [illegible][2].

---

[1] () جامع البيان للطبري (25/34)، التسهيل لابن جزي (4/46)، أنوار التنزيل للبيضاوي (2/199)، جواهر الحسان للثعالبي (4/123).

[2] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/125).

[3] () معجم مقاييس اللغة لابن فارس (1/455) باب الجيم والزاي وما يثلثهما).

[4] () القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(45) باب الهمزة، فصل الجيم.

[5] () رائد الطلاب لجبران مسعود ص(326).

[6] () لباب التأويل للخازن (6/110)، أنوار التنزيل للبيضاوي (2/199)، تفسير الجلالين ص(412)، نظم الدرر للبقاعي (17/399).

3- لقد قالوا بهذا القول الراجح إنه «الأكثرين»[1]، وهو «المشهور»[2].

4- المرجح أيضاً، الطف الآتي «أنحاء خلقه جزء فستغير »[3].

5- فائدة: تجمع بين القولين، ما رجحه الجمهور، والمرجوح وهذا أن يراد بالجزء: العدل والنظير يعني جميع المعبودات من دون الله « الآية[4] على بعدها[5] بالصواب[6].

---

[1] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/206)، جواهر الحسان للثعالبي (4/123).

[2] () التفسير الكريم للفخر الرازي (9/623).

[3] () حاشية الشهاب على البيضاوي (7/436).

[4] () يعني قوله تعالى: [سورة الزخرف: 16].

[5] () يعني قوله تعالى: [سورة الزخرف: 16].

[6] () التفسير الكبير للفخر الرازي (9/623).

المـراد بالرحمـة

66- قولــه تعــالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [سورة الزخرف: 31-32].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:
1- أن المراد بالرحمة: النبوة وإنزال الوحي[1].
2- أن الرحمة اسم يعم كل خير من عند الله [2].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه اللـه-: « قولــه تعـالى: ((أهـم يقسـمون رحمـة ربـك)) الظـاهر المتبادر أن المراد برحمة ربك النبوة وإنزال الوحي.
وإطلاق الرحمـة علـى ذلـك متعـدد فـي القـرآن الكريـــم، كقـــوله تعـــالى فـــي الـــدخان ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [سورة الدخان: 5-6]، وقولـه في آخر القصـص: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [سورة القصص: 86]، وقولـه فـي آخـر الأنبيـاء: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [سورة الأنبياء: 107] »[3].

الموافقون:
إن الرحمة المذكورة في قولـه تعالى ((أهم يقسمون رحمة ربك)) يـراد بهـا النبـوة والرسـالة. هـذا مـا اتفـق علـى اختياره جمهور المفسرين ومعهم الشيخ الشنقيطي، فمنهم:

---

[1]() أضواء البيان للشنقيطي (7/242).
[2]() المحرر الوجيز لابن عطية (13/217).
[3]() أضواء البيان للشنقيطي (7/242).

1- الإمام الطبري[1].
2- الماوردي[2].
3- الواحدي[3].
4- البغوي[4].
5- النسفي[5].
6- الزمخشري[6].
7- النيسابوري[7].
8- ابن الجوزي[8].
9- الفخر الرازي[9].
10- القرطبي[10].
11- الخازن[11].
12- نظام الدين النيسابوري[12].
13- ابن جزي[13].
14- أبوحيان[14].
15- ابن كثير[15].
16- البيضاوي[16].
17- المحلي[17].
18- البقاعي[18].
19- القاسمي[19].
20- السعدي[20].
21-

---

[1]() جامع البيان للطبري (25/40).
[2]() النكت والعيون للماوردي (5/223).
[3]() الوجيز للواحدي (2/973).
[4]() مختصر البغوي (2/844).
[5]() مدارك التنـزيل للنسفي (4/89).
[6]() الكشاف للزمخشري (4/241).
[7]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/183).
[8]() زاد المسير لابن الجوزي (7/96).
[9]() التفسير الكبير للفخر الرازي (9/630).
[10]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/83).
[11]() لباب التأويل للخازن (6/111).
[12]() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (25/49).
[13]() التسهيل لابن جزي (4/50).
[14]() البحر المحيط لأبي حيان (9/370).
[15]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/127).
[16]() أنوار التنـزيل للبيضاوي (2/200).
[17]() تفسير الجلالين ص(413).
[18]() نظم الدرر للبقاعي (17/421).
[19]() محاسن التأويل للقاسمي (14/5269)
[20]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(765).

سيد قطب[1].
22- ابن عاشور[2].

المخالفون:
وهم من رجّحوا أن الرحمة المذكورة في الآية شاملة لكل الفضائل والمكرمات والخيرات من عند الله ، والنبوة من ضمنها، وقد قال بهذا من المفسرين:
1- ابن عطية[3]. 2- الثعالبي[4].

تعقيب الباحث:
الظاهر -والله أعلم- أن يراد بالرحمة في قوله تعالى ((أهم يقسمون رحمة ربك)) النبوة والرسالة، وهو ما ذهب إليه جمهور المفسرين قديماً وحديثاً، يدل لذلك:
1- دلالة السياق على هذا المعنى[5]، فإن ما قبلها من الآيات حديث عن إرسال الرسول بالدين الحق وتكذيب الكفار له [س ورة الزخرف: 30]، ثم اقتراحهم الاقتراح السخيف الجاهل بأن ينزل القرآن الكريم على أحد زعمائهم المعروفين -حكي القرآن الكريم عنهم- [س ورة الزخرف: 31] فجاءهم الرد مع الإنكار أن يكون لهم تحكم ورأي في إنزال الوحي ((أهم يقسمون رحمة ربك))، فيترجح أن يراد بـ ((رحمة ربك)) النبوة والرسالة « لأنه المناسب لما قبله »[6].
2- يؤيد هذا الترجيح أيضاً ما دلت عليه آيات أخرى من كتاب الله عبّر فيها عن النبوة والرسالة بالرحمة،

---

[1] () في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3186).
[2] () التحرير والتنوير لابن عاشور (25/201).
[3] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/217).
[4] () جواهر الحسان للثعالبي (4/126).
[5] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/125).
[6] () حاشية الشهاب على البيضاوي (7/440).

كقـوله تعـالى: ﴿ ﴾ [سورة الأنبياء: 107]، وقولـه تعالى: ﴿ ﴾ [سورة القصص: 86]، وقولـه تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الدخان: 5-6]، فتحمـل الرحمـة هنـا فـي سـورة الزخـرف علـى مـا حملت عليه في تلك الآيـات، وهـذا مـن نـوع تفسـير القرآن بالقرآن[1].

3- كـثرة المرجحيـن لهـذا القـول دليـل قـوته، مـع قلـة المخالفين لـه. والله أعلم بالصواب.

❁ ❁ ❁

[1] () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127)، قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).

معنى [illegible]

67- قولـه تعالى: [illegible] [سورة الزخرف: 32].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

1- أن معنـى ((سـخريا)) أي ليسـخر بعضـهم بعضـاً فـي الأعمال[1]، فجعل البعض محتاجاً إلى البعض لتحصـل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا[2].

2- أو يكـون معنـى ((سـخريا)) أي ليملـك بعضـهم بعضـاً بالأموال فيتخذوهم عبيداً[3].

قال ابـن كـثير عـن القـول الثـاني: « هـو راجـع إلـى الأول »[4].

3- وقيل: هـو مـن السـخرية الـتي بمعنـى الاسـتهزاء، أي ليستهزيء الغني بالفقير[5].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه اللـه-: « وقولـه تعالى ((ليتخذ بعضـهم بعضـاً سـخرياً)) التحقيـق إن شاء الله أنه من التسخير.

ومعنـى تسـخير بعضـهم لبعـض، خدمـة بعضـهم البعض، وعمل بعضهم لبعض؛ لأن نظام العالم في الـدنيا يتوقف قيامه على ذلك، فمن حكمته جل وعلا أن يجعـل هذا فقيراً مع كونه قوياً قادراً على العمل، ويجعـل هـذا ضعيفاً لا يقدر على العمل بنفسه، ولكنه تعالى يهيئ لـه دراهم يؤجر بها ذلك الفقير القوي فينتفع القـوي بـدارهم الضعيف، والضعيف بعمل القوي، فتنتظـم المعيشـة لكـل

---

[1]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/127).
[2]() فتح القدير للشوكاني (4/532).
[3]() زاد المسير لابن الجوزي (7/96).
[4]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/127).
[5]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/83) ولم يرجحه.

منهما وهكذا.. »[1].

إذاً الشيخ الشنقيطي يرجح في بيان معنى ((سخرياً)) القول الأول من مجمل الأقوال الواردة.

الموافقون:

ويمكن تقسيمهم إلى فئتين:

أ- الذين وافقوا الشنقيطي تماماً، يعني تدور عباراتهم في بيان معنى ((سخرياً)) حول تسخير الناس بعضهم بعضاً في الأعمال، بجعل البعض محتاجاً إلى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا، يدخل تحت هذه الفئة:

1- الإمام الطبري: « وقوله ((ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)) يقول ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل، يقول جعل تعالى ذكره بعضاً لبعض سبباً في المعاش في الدنيا »[2].

2- الواحدي: « ((ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)) ليسخّر الأغنياء بأموالهم الفقراء ويستخدموهم، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش في الدنيا، هذا بماله وهذا بأعماله... »[3].

3- النسفي: « ((ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)) ليصرف بعضهم بعضاً في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا إلى منافعهم، هذا بماله وهذا بأعماله »[4].

وبمثل هذا القول قال كل من:

4- الزمخشري[5]. 5- ابن عطية[6].

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/243).
[2] () جامع البيان للطبري (25/41).
[3] () الوجيز للواحدي (2/973).
[4] () مدارك التنزيل للنسفي (4/90).
[5] () الكشاف للزمخشري (4/242).
[6] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/218).

6- الفخر الرازي[1].
7- ابن جزي[2]. 8- أبوحيان[3]. 9- البيضاوي[4].
10- المحلي[5]. 11- الثعالبي[6].
12- البقاعي[7].
13- القاسمي[8]. 14- السعدي[9].
15- سيد قطب[10].

ولم أذكر كلام البقية اختصاراً ولأنه يشبه كلام من ذكرت.

ب- وهم الذين ذكروا القولين الأول والثاني من مجمل الأقوال عند بيانهم لمعنى ((سخريا))، وذلك لأن القول الثاني راجع إلى القول الأول ويدخل تحته دخولاً كاملاً فإن من أنواع تسخير الناس بعضهم بعضاً أن يشتري الأغنياء بأموالهم عبيداً يخدمونهم. ومن فئة الذين ذكروا القولين:

1- الماوردي[11]. 2- البغوي[12].
3- ابن الجوزي: « ((سخريا))..فيه قولان: أحدهما: يستخدم الأغنياء الفقراء بأموالهم، فيلتئم قوام العالم. الثاني: ليملك بعضهم بعضاً بالأموال فيخذوهم عبيداً »[13].

---

[1] () التفسير الكبير للفخر الرازي (9/630).
[2] () التسهيل لابن جزي (4/50).
[3] () البحر المحيط لأبي حيان (9/370).
[4] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/200).
[5] () تفسير الجلالين ص(413).
[6] () جواهر الحسان للثعالبي (4/126).
[7] () نظم الدرر للبقاعي (17/423).
[8] () محاسن التأويل للقاسمي (14/5269).
[9] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(765).
[10] () في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3187).
[11] () النكت والعيوب للماوردي (5/224).
[12] () مختصر البغوي (2/845).
[13] () زاد المسير لابن الجوزي (7/96).

4- الخازن[1].
5- ابن كثير: « وقوله جلت عظمته ((ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)) قيل: معناه ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره. وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضاً. وهو راجع إلى الأول »[2].
ذكرت عبارات ابن الجوزي وابن كثير لوضوح كلامهما، وكلام البقية يشبهه.

أما القول الثالث في مجمل الأقوال وهو أن يكون من السخرية والاستهزاء لم يرجحه أحد من المفسرين معنى للآية، وعليه فلا يوجد مخالف في هذا الموضع.

تعقيب الباحث:
الظاهر -والله أعلم- حمل ((سخرياً)) على المعنَيَيْن (القول الأول والثاني من مجمل الأقوال) واعتبارهما معنى واحداً، وهذا ما اتضح من تقسيم الموافقين والمخالفين، فإن من رجّح القول الأول فقط فهو موافق تماماً للشنقيطي، ومن ذكر القولين فإنه موافق أيضاً لأن القول الثاني: « راجع إلى الأول »[3] تماماً، فشراء الأغنياء بأموالهم عبيداً يخدمونهم هو نوع من أنواع أن يسخر الله الناس بعضهم لبعض، وإذا كان ذلك كذلك فإن الراجح هو ما ذكرته من أن (سخرياً) تعني خدمة الناس بعضهم بعضاً لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا.
أما القول بأن (سخرياً) تعني الاستهزاء؛ فلم يقل به أحد من المفسرين بأنه يصح معنى للآية، بل لقد اتفق عدد غير قليل منهم على التصريح بردّه وإبعاد أن يكون له طريق إلى الآية، فقال ابن عطية: « ولا مدخل

---

[1] () لباب التأويل للخازن (6/112).
[2] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/127).
[3] () المرجع السابق.

لمعنى الهزء في هذه الآية »[1]، ومثله قال الثعالبي[2]. وقال أبوحيان « ويبعد أن يكون ((سخريا)) هنا من الهزء »[3]. وقال البقاعي عن الهزء بأنه « لا يليق التعليل به »[4]. وقال الشوكاني ردّاً على القول بأن ((سخريا)) يراد به الاستهزاء: « وهذا وإن كان مطابقاً للمعنى اللغوي، ولكنه بعيد من معنى القرآن ومنافٍ لما هو مقصود السياق »[5]، ومثله قال القنوجي[6]. أما سيد قطب فقد ردّ معنى الاستهزاء بعبارة أشمل وأوسع، وذلك أن من بواعث الاستهزاء؛ استعلاء طبقة على طبقة، أو فرد على فرد، فقال ردًا على المعنى المرجوح ومرجحاً ما رجحه الجمهور: « وليس التسخير هو الاستعلاء.. استعلاء طبقة على طبقة، أو استعلاء فرد على فرد.. كلا! إن هذا معنى قريب ساذج، لا يرتفع إلى مستوى القول الإلهي الخالد. كلا! إن مدلول هذا القول أبقى من كل تغير أو تطور في أوضاع الجماعة البشرية، وأبعد مدى من ظرف يذهب وظرف يجيء.. إن كل البشر مسخر بعضهم لبعض. ودولاب الحياة يدور بالجميع، ويسخر بعضهم لبعض في كل وضع وفي كل ظرف. المقدر عليه في الرزق مسخر للمبسوط له في الرزق. والعكس كذلك صحيح. فهذا مسخر ليجمع المال، فيأكل منه ويرتزق ذاك. وكلاهما مسخر للآخر سواء بسواء. والتفاوت في الرزق هو الذي يسخر هذا لذاك، ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة.. العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل. والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل. وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء.. وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات،

---

[1] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/218).
[2] () جواهر الحسان للثعالبي (4/126).
[3] () البحر المحيط لأبي حيان (9/370).
[4] () نظم الدرر للبقاعي (17/423).
[5] () فتح القدير للشوكاني (4/532).
[6] () فتح البيان للقنوجي (12/350).

والتفـــاوت فـــي الأعمـــال والأرزاق.. »[1]. واللـــه أعلـــم بالصواب.

□ □ □

[1] () في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3187).

مرجع الضمير المنفصل

68- قوله تعالى: [سورة الزخرف: 57-58].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

1- أن المراد بـ (هو): محمد ﷺ وعليه يكون المعنى -على حد زعم المشركين- أي آلهتنا خير أم محمد ﷺ فنعبده وندع آلهتنا[1].

- أن المراد بـ (هو): عيسى -عليه السلام-. وفيه قولان:

أ - أي آلهتنا الملائكة خير أم عيسى -عليه السلام-، فإذا جاز أن يُعبد ويكون ابن الله ﷻ؛ كانت آلهتنا أولى بذلك[2].

ب- أو آلهتنا -الأصنام- خير أم عيسى -عليه السلام-، ويحتمل معنيين:

الأول: إن يكن عيسى -عليه السلام- في النار؛ فنحن نرضى أن تكون آلهتنا معه[3].

الثاني: أو إن ما تذكره -يا محمد ﷺ- من أن كل ما عُبد من دون الله ﷻ في النار ومن ضمنهم عيسى -عليه السلام- مع اعترافك بخلاف ذلك، يدل على أن ما تقوله من أنه نحن وآلهتنا في النار؛ ليس بحق أيضاً[4].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-:

---

[1] () النكت والعيون للماوردي (5/234).
[2] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/202).
[3] () مختصر البغوي (2/848).
[4] () أضواء البيان للشنقيطي (7/261).

« وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((أآلهتنا خير أم هو)) التحقيق أن الضمير في قوله ((هو)) راجع إلى عيسى، لا إلى محمد عليهما الصلاة والسلام.

قال بعض العلماء: ومرادهم بالاستفهام تفضيل معبوداتهم على عيسى -ﷺ-. قيل: لأنهم يتخذون الملائكة آلهة، والملائكة أفضل عندهم من عيسى -ﷺ-. وعلى هذا فمرادهم أن عيسى -ﷺ- عُبد من دون الله ﷻ، ولم يكن ذلك سبباً لكونه في النار، ومعبوداتنا خير من عيسى، فكيف تزعم أنهم في النار.

وقال بعض العلماء: أرادوا تفضيل عيسى على آلهتهم. والمعنى على هذا أنهم يقولون: عيسى خير من آلهتنا، أي في زعمك وأنت تزعم أنه في النار، بمقتضى عموم ما تتلوه من قوله ﷻ [سورة الأنبياء: 98]، وعيسى عَبَدَه النصارى من دون الله ﷻ، فدلالة قولك على أن عيسى في النار مع اعترافك بخلاف ذلك؛ يدل على أن ما تقوله من أنّا وآلهتنا في النار ليس بحق أيضاً »[1].

فالشيخ الشنقيطي يرى رجوع الضمير ((هو)) إلى عيسى -ﷺ-.

الموافقون:

لقد رجّح رجوع الضمير إلى عيسى -ﷺ- عدد كبير من المفسرين، منهم:

1- الواحدي[2]. 2- النسفي[3]. 3- ابن عطية[4].

4- ابن الجوزي[5]. 5- ابن جزي[6].

6- أبوحيان[7].

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () الوجيز للواحدي (2/977).

[3] () مدارك التنزيل للنسفي (4/93).

[4] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/242).

[5] () زاد المسير لابن الجوزي (7/103).

[6] () التسهيل لابن جزي (4/56).

[7] () البحر المحيط لأبي حيان (9/385).

7- ابن كثير[1].
8- المحلي[2].
9- الثعالبي[3].
10- البقاعي[4].
11- القاسمي[5].
12- السعدي[6].
13- سيد قطب[7].

ولم يجزم أحد بترجيح رجوع الضمير إلى غير عيسى -ﷺ-، وعليه لا يوجد مخالف في هذا الموضع.

تعقيب الباحث:
الذي يظهر -والله أعلم- أن الراجح رجوع الضمير (هو) إلى عيسى -ﷺ-، وهو ما ذهب إليه الجمهور من المفسرين، يدل لذلك:
1- أنه هو المذكور في الآيات، واستناداً إلى قاعدة: إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره؛ لأنه هو المقصود بالكلام[8]. يترجح رجوع الضمير إلى عيسى -ﷺ-.
2- أن رجوع الضمير (هو) إلى عيسى -ﷺ-، اختيار الجمهور؛ كما صرح بذلك ابن جزي[9].
3- صرح عدد من المفسرين بأن هذا القول هو « المترجح »[10]، وهو « الأظهر »[11]، وهو « الراجح »[12].

---

[1] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/131).
[2] () تفسير الجلالين ص(415).
[3] () جواهر الحسان للثعالبي (4/130).
[4] () نظم الدرر للبقاعي (17/456).
[5] () محاسن التأويل للقاسمي (14/5279).
[6] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(768).
[7] () في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3196).
[8] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (2/603).
[9] () التسهيل لابن جزي (4/56).
[10] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/242).
[11] () التسهيل لابن جزي (4/56).
[12] () جواهر الحسان للثعالبي (4/130).

4- لم يخالف أحد فيرجح رجوع الضمير إلى غير عيسى -ﷺ-. والله أعلم بالصواب.

المراد بالأزواج في قوله تعالى

69- قوله تعالى: [سورة الزخرف: 70].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

1- أن الأزواج هن نساؤهم المؤمنات في الدنيا، يكنّ معهم في الجنة.

2- أن الأزواج يراد بهم زوجاتهم من الحور العين.

3- أو يراد بالأزواج قرناؤهم ونظراؤهم وأشباههم في الطاعة[1].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « قوله تعالى في هذه الآية ((وأزواجكم)) فيه لعلماء التفسير وجهان:

أحدهما: أن المراد بأزواجهم نظراؤهم وأشباههم في الطاعة وتقوى الله ﷻ. واقتصر على هذا القول ابن كثير[2].

والثاني: أن المراد بأزواجهم نساؤهم في الجنة؛ لأن هذا الأخير أبلغ في التنعم والتلذذ من الأول.

ولذا يكثر في القرآن الكريم ذكر إكرام أهل الجنة بكونهم مع نسائهم، دون الامتنان عليهم بكونهم مع نظرائهم وأشباههم في الطاعة.

---

[1] () الأقوال الثلاثة ذكرها الماوردي في النكت والعيون (5/238)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (16/111).

[2] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/134).

قال تعالى: [سورة ص:

إذاً الشيخ الشنقيطي يرجح أن المراد بالأزواج هنا في قوله تعالى: ((ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون)) هن الزوجات، شاملاً نساءهم المؤمنات في الدنيا يكنّ معهم في الجنة، وكذلك نساءهم من الحور العين. يعني جمع الشيخ الشنقيطي في بيان المراد بالأزواج بين القولين الأول والثاني من مجمل الأقوال، يتضح ذلك من الآيات التي استشهد بها تأييداً لترجيحه.

الموافقون:

هم كل من ذكر أن المراد بالأزواج النساء المؤمنات زوجات المؤمنين في الجنة:

1- الإمام الطبري: « وقوله: ((ادخلوا الجنة أنتم وأزواجهم تحبرون)) يقول جل ثناؤه ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله ، مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم »[2].

2- البقاعي: «... ((ادخلوا الجنة)) ولما كانت الدار لا تكمل إلا بالرفيق السار، قال تعالى ((أنتم وأزواجكم)) أي نساؤكم اللاتي كن مشاكلات لكم في الصفات. وأما قرناؤهم من الرجال فدخلوا في قوله [سورة الزخرف: 69]، . (تحبرون) أي

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/280).

[2] () جامع البيان للطبري (25/57).

تكرمون وتزينون فتسرون سروراً يظهر أثره عليكم مستمراً يتجدد أبداً »[1].

3- ابن عاشور: «... وعطف أزواجهم عليهم في الإذن بدخول الجنة من تمام نعمة التمتع بالخلة التي كانت بينهم وبين أزواجهم في الدنيا »[2].

وبنحو كلام من ذكرتُ جاءت عبارات كل من الإمام النسفي[3]، وابن عطية[4]، والبيضاوي[5]، والمحلي[6].

المخالفون:

لقد اختار الإمام ابن كثير فقط القول الآخر في بيان المراد بالأزواج، فقال: « ((وأزواجكم)) نظراؤكم »[7].

تعقيب الباحث:

الظاهر -والله أعلم- أن يراد بالأزواج هنا في قوله تعالى ((ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون)) زوجات المؤمنين، بشمول اللفظ لزوجاتهم اللاتي كنّ معهم في الدنيا، وزوجاتهم من الحور العين، يدل لذلك أمور:

1- سياق الآيات يدل على شمول النعيم للمؤمنين وأزواجهم دون تحديد لنسائهم المؤمنات في الدنيا أو زوجاتهم من الحور العين، قال تعالى: [illegible] [سورة الزخرف: 70-71].

2- مما يرجح إرادة الزوجات دون النظراء والأشباه؛ قاعدة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى[8]، وذلك أن حمل لفظ الأزواج على

---

[1] () نظم الدرر للبقاعي (17/478).
[2] () التحرير والتنوير لابن عاشور (25/254).
[3] () مدارك التنزيل للنسفي (4/94).
[4] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/249).
[5] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/203).
[6] () تفسير الجلالين ص(415).
[7] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/134).
[8] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (2/473).

النظراء والأشباه يكون نوعاً من التوكيد، فإنهم يعتبروا داخلين في الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: [سورة الزخرف: 69]، فالأولى والأبلغ أن تحمل على أن يراد بها الزوجات. قال البقاعي: «... وأما قرناؤهم من الرجال فدخلوا في قوله ((كانوا مسلمين)) »[1].

3- إضافة إلى ما ذكره الشيخ الشنقيطي من آيات تؤيد اختياره، أقول: هناك آيات أخرى أيضاً تذكر صراحة كون الزوجات مع أزواجهم في الجنة، كقوله تعالى: [سورة الرعد: 23]، وقوله تعالى: [سورة غافر: 8]. وبالطبع هذا من تفسير القرآن بالقرآن[2].

4- استناداً إلى قاعدة: حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن الكريم ومعهود استعماله أولى[3]، فإن لفظ الزوج في القرآن الكريم غالباً ما يطلق في أكثر المواضع مراداً به المرأة ((الزوجة)) خصوصاً، فيما يزيد على خمسة وعشرين موضعاً، منها قوله تعالى: [سورة البقرة: 35]، وقوله تعالى: [سورة الأحزاب: 59]، وقوله تعالى: [سورة المعارج: 29-30].

---

[1] () نظم الدرر للبقاعي (17/478).

[2] () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(126)، قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).

[3] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/172)،قواعد التفسير لخالد السبت (2/798).

أسـأل اللـه أن يغفـر لـي ولجميـع المسـلمين، وأن يجعلني والمـؤمنين وزوجاتنـا وذرياتنـا فـي الجنـة، إنـه سـميع مجيب.

معنى كلمة □ □□□□□□ □

70- قولــه تعـالى: □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □ □□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□ [□□□□□ □□□□□□□□: □-□].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:
1- أن كلمة ((ويل)) تعني دعاء بالعذاب والهلاك.
2- أن ((ويل)) اسم وادٍ في جهنم[1].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « وقوله في هذه الآية الكريمة ((ويل لكل أفاك أثيم))، قال بعض العلماء: (ويل) وادٍ في جهنم. والأظهر أن لفظة (ويل) كلمة عذاب وهلاك، وأنها مصدر لا لفظ له من فعله، وأن المسوّغ للابتداء بها مع أنها نكرة كونها في معرض الدعاء عليهم بالهلاك »[2].
الموافقون:
رجّح أن المراد بكلمة (ويل) دعاء بالعذاب والهلاك؛ كل من:
1- الفخر الرازي: « اعلم أنه تعالى لما بيّن الآيات للكفار، وبيّن أنهم بأي حديث يؤمنون إذا لم يؤمنوا بها مع ظهورها، اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال: ((ويل لكل أفاك أثيم)) »[3].
2- المحلي: « (ويل) كلمة عذاب »[4].
3- سيد قطب: « والويل الهلاك، والأفاك الكذاب المارد على الكذب والأثيم الكثير المقارفة للإثم. والتهديد شامل لكل

---

[1]() ذكر القولين ابن عطية في المحرر الوجيز (13/299).
[2]() أضواء البيان للشنقيطي (7/342).
[3]() التفسير الكبير للفخر الرازي (9/672).
[4]() تفسير الجلالين ص(420).

من هذه صفته »[1].

4- ابن عاشور: «... وافتتح ذكره بالويل له تعجيلاً لإنذاره وتهديد قبل ذكر حاله. و (ويل) كلمة دعاء بالشر[2]، وأصل الويل الشر وحلوله »[3].

المخالفون:

وهم من رجّح أن كلمة (ويل) تعني اسم وادٍ في جهنم:

1- الطبري: « ((ويل لكل أفاك أثيم)) يقول تعالى ذكره الوادي السائل من صديد أهل جهنم لكل كذاب ذي إثم يربه مفتر عليه يسمع آيات الله تتلى عليه يقول يسمع آيات كتاب الله تقرأ عليه ثم يصر على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه ولا راجع عنه مستكبراً على ربه أن يذعن لأمره ونهيه... »[4].

2- القرطبي: « ((ويل)) وادٍ في جهنم. توعد من ترك الاستدلال بآياته. والأفاك: الكذاب. والإفك الكذب. ((أثيم)) أي مرتكب للإثم »[5].

3- البقاعي: «... ولما كان لا يبقى على الكفر نوع بقاء فضلاً عن الإصرار بعد هذا البيان إلاّ من يستحق النكال لمجاهرته بالعناد، قال على وجه الاستنتاج مهدداً: ((ويل)) أي مكان معروف في جهنم ((لكل أفاك)) أي مبالغ في صرف الحق عن وجهه ((أثيم)) أي مبالغ في اكتساب الإثم وهو الذنب، وعمل ما لا يحل مما يوجب العقاب »[6].

4- الشوكاني: « ((ويل لكل أفاك أثيم)) أي لكل كذاب كثير الإثم، مرتكب لما يوجبه، والويل: وادٍ في جهنم »[7].

---

[1] () في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3225).

[2] () في الأصل قال: دعاء بالشكر،و لعل الكاف زائدة خطأ مطبعي، والصحيح ما أثبته بدلالة بقية الكلام.

[3] () التحرير والتنوير لابن عاشور (25/331).

[4] () جامع البيان للطبري (25/85).

[5] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/158).

[6] () نظم الدرر للبقاعي (18/69).

[7] () فتح القدير للشوكاني (5/6).

ومن جمع القولين معاً تحت تفسيره لكلمة (ويل) فلم يجنح بعيداً، وأذكرهم ليُعرف قولهم:

1- ابن عطية: « (الويل) في كلام العرب: المصائب والحزن والهمّ والشِّدَّة من هذه المعاني، وهي لفظة تستعمل في الدعاء على الإنسان. ورُوي في بعض الآثار أن في جهنم وادياً اسمه: وَيْل »[1].

2- القنوجي: « (ويل) وادٍ في جهنم أو كلمة عذاب »[2].

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم صحة حمل لفظة (ويل) على المعنيين المذكورة عن المفسرين، فمن فسرها بأنها اسم وادٍ في جهنم استدل بما ورد عن النبي من حديث، فقد روى الصحابي أبوسعيد الخدري عن رسول الله أنه قال: « ويل وادٍ في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره »[3].

ومن فسرها بأنها تعني دعاء بالهلاك والعذاب بنى تفسيره على ما هو معروف من معناها في لغة العرب[4].

فلا مانع من حمل اللفظ في الآية على المعنيين. والله أعلم بالصواب.

---

[1]() المحرر الوجيز لابن عطية (13/299).

[2]() فتح البيان للقنوجي (12/419).

[3]() الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (3/75)، وفي نسخة المسند المحققة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط توسعوا في تخريجه والحكم عليه، ثم نقلوا قول الحاكم « هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه »، وذكروا موافقة الذهبي له. انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، التحقيق بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط (18/240-241).

[4]() القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(1382) باب اللام فصل الواو.

المـراد بقولـه [illegible]

71- قولـه تعالى: [illegible] [سورة الأحقاف: 9].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:
1- أن المراد بالآية ما يكون في الدنيا ، ثم فيه ثلاثة أوجه:
أ- يعني لا أدري ما يفعل بي ولا بكم فـي الـدنيا، فلا أدري ما يفعل بي أخرج كما أخرجت الأنبيـاء قبلـي، أو أقتـل كما قتل الأنبياء من قبلي، ولا أدري ما يفعل بكم، إنكم مصدقون أو مكذبون، أو معذبون أو مؤخرون[1].
ب- أنه لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله [illegible] (([illegible])) [illegible] « إنما هو شيء رأيته في منامي، وما (أتبع إلا ما يوحى إليّ) »[2].
جـ- أن المعنى: لا أدري ما أؤمر به ولا ما تؤمرون به[3].
2- أن المراد بالآيـة مـا يكـون فـي الآخـرة، « لمـا نزلـت فـرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا: كيف نتبع نبيًّا لا يدري ما يفعل به ولا بنا، وأنه لا فضل لـه علينـا، ولـولا أنـه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الـذي بعثـه بمـا يفعـل بـه، فنزلـت [illegible] [سورة الفتح: 5] [illegible] ».

---

[1] () حكاه الماوردي في النكت والعيون (5/272) عن الحسن البصري.
[2] () زاد المسير لابن الجوزي (7/133).
[3] () النكت والعيون للماوردي (5/272).

[illegible] [illegible: ...] [illegible] »(1).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « قوله تعالى: ((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) التحقيق إن شاء الله أن معنى الآية الكريمة: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في دار الدنيا، فما أدري أأخرج من مسقط رأسي أو أقتل كما فُعِلَ ببعض الأنبياء. وما أدري ما ينالني من الحوادث والأمور في تحمل أعباء الرسالة. وما أدري ما يفعل بكم أيخسف بكم، أو تنزل عليكم حجارة من السماء، ونحو ذلك. وهذا هو اختيار ابن جرير وغير واحد من المحققين.

وهذا المعنى في هذه الآية دلت عليه آيات من كتاب الله [illegible] [سورة الأعراف: 188]، وقوله تعالى آمراً له [illegible] [سورة الأنعام: 50].

وبهذا تعلم أن ما يروى عن ابن عباس وأنس وغيرهما[2] من أن المراد (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي في الآخرة فهو خلاف التحقيق »[3].

الشيخ الشنقيطي إذاً يرجح أن الآية يراد بها ما يكون في دار الدنيا.

الموافقون:

أعني بهم كل من رجح أن الآية يراد بها ما يكون في الدنيا، بأي واحد من التفصيلات الثلاثة المذكورة تحت القول الأول، ومنهم:

1- الإمام الطبري: « ... ذلك أمر من الله جل ثناؤه نبيه -[illegible]- أن يقوله للمشركين من قومه ويعلم أنه لا يدري إلام يصير

---

[1] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/185).
[2] () هو القول رقم (2) في مجمل الأقوال.
[3] () أضواء البيان للشنقيطي (7/377).

أمره وأمرهم في الدنيا أيصير أمره معهم أن يقتلوه أو يخرجوه من بينهم أو يؤمنوا به فيتبعوه، وأمرهم إلى الهلاك كما أهلكت الأمم المكذبة رسلها من قبلهم أو إلى التصديق له فيما جاءهم به من عند الله »[1].

2- الواحدي: « ((وما أدري ما يفعل بي)) إلى إيش يصير أمري معكم، أتقتلونني أم تخرجونني، ((ولا بكم)) أتعذّبون بالخسف أم بالحجارة، والمعنى: ما أدري إلى ماذا يصير أمري وأمركم في الدنيا »[2].

3- ابن جزي: « (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) فيها أربعة أقوال:

الأول: أنها في أمر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة،و قبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار، وهذا بعيد؛ لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله .

الثاني: أنها في أمر الدنيا، أي لا أدري بما يقضى الله عليّ وعليكم، فإن مقادير الله مغيبة، وهذا هو الأظهر.

الثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة.

الرابع: أن هذا كان في الهجرة إذ كان رسول الله قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل، فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية »[3].

القولان الثالث والرابع من كلام ابن جزي داخلان تحت القول الثاني مما ذكره.

4- ابن كثير -بعد أن ذكر أن المراد بالآية هو ما يكون في الدنيا- قال: «... ولا شك أن هذا هو اللائق به ، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا؟ أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم... »[4].

5- المحلي: « ((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) في الدنيا

---

[1] () جامع البيان للطبري (26/6).

[2] () الوجيز للواحدي (2/994).

[3] () التسهيل لابن جزي (4/74).

[4] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/155).

أأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي، أو ترموني بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم »[1].

6- الشوكاني: « ((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) أي ما يفعل بي فيما يستقبل من الزمان، هل أبقى في مكة أو أخرج منها؟ وهل أموت أو أقتل؟ وهل تعجل لكم العقوبة أم تمهلون؟ وهذا إنما هو في الدنيا. وأما في الآخرة فقد علم أنه وأمته في الجنة، وأن الكافرين في النار. وقيل: إن المعنى ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، وأنها لما نزلت فرح المشركون وقالوا: كيف نتبع نبيًّا لا يدري ما يفعل به ولا بنا، وإنه لا فضل له علينا؟ فنزل قوله تعالى: [illegible] [سورة الفتح: 2]. والأول أولى »[2].

7- السعدي: « ((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) أي لستُ إلا بشراً، ليس بيدي من الأمر شيء، والله تعالى هو المتصرف بي وبكم، الحاكم عليّ وعليكم، ولست الآتي بالشيء من عندي »[3].

ونجد من عبارات من ذكرت جاء كلام الإمام النسفي[4]، والفخر الرازي[5]، والقرطبي[6]، والبقاعي[7]، والقنوجي[8]، والقاسمي[9]، وابن عاشور[10].

أما القول بأنه يراد بالآية ما يكون في الآخرة فلم يرجحه أحد. وعليه فلا يوجد مخالف هنا.

تعقيب الباحث:

---

[1] () تفسير الجلالين ص(324).
[2] () فتح القدير للشوكاني (5/16).
[3] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(780).
[4] () مدارك التنزيل للنسفي (4/107).
[5] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/9).
[6] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/186).
[7] () نظم الدرر للبقاعي (18/135).
[8] () فتح البيان للقنوجي (13/15).
[9] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5342).
[10] () التحرير والتنوير لابن عاشور (26/17).

الذي يظهر رجحانه هنا -والله أعلم- أن الآية يراد بها ما يكون في دار الدنيا، وهو ما رجحه الشنقيطي ومن قال بمثل قوله، يدل لذلك أمور:

1- أن هذا القول دلت عليه آيات أخرى من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الأنعام: 50]، وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الأعراف: 188]، وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة هود: 31]، وتفسير القرآن بالقرآن أقوى أنواع التفسير[1].

2- سياق الآيات يستدل به المفسرون[2] على ترجيح أن يراد بالآية ما يكون في دار الدنيا، قال الإمام الطبري: « وإنما قلنا ذلك أولاها بالصواب لأن الخطاب من مبتدأ هذه السورة إلى هذه الآية والخبر خرج من الله ﷻ خطاباً للمشركين وخبراً عنهم وتوبيخاً لهم واحتجاجاً من الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ عليهم، فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن هذه الآية أيضاً سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم وتوبيخ لهم أو خبر عنهم، وإذا كان ذلك كذلك فمحال أن يقال للنبي ﷺ قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وآيات كتاب الله ﷻ في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون به في الجنان منعمون، وبذلك يرهبهم مرة ويرغبهم أخرى »[3].

3- إلحاقاً للنقطة السابقة، فقد ردّ الإمام النحاس على دعوى النسخ في آية الأحقاف، مرجحاً قول الجمهور، مستدلاً على صحة كلامه بسياق الآيات، قال: « محال أن يكون في هذا ناسخ ولا منسوخ من جهتين:
أحدهما: أنه خبر.

---

[1] () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127)، قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).
[2] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/125).
[3] () جامع البيان للطبري (26/6).

والآخر: أنه من أول السورة إلى هذا الموضع خطاب للمشركين واحتجاج عليهم وتوبيخ لهم، فوجب أن يكون هذا أيضاً خطاباً للمشركين كما كان قبله وما بعده، ومحال أن يقول النبي للمشركين ((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) في الآخرة، ولم يزل من أول مبعثه إلى مماته يخبر أن من مات على الكفر مخلد في النار، ومن مات على الإيمان واتبعه وأطاعه فهو في الجنة، فقد رأى ما يفعل به وبهم في الآخرة. وليس يجوز أن يقول لهم ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، فيقولون كيف نتبعك وأنت لا تدري أتصير إلى خفض ودَعَة أم إلى عذاب وعقاب ». انتهى كلام النحاس بواسطة نقل القرطبي[1] له.

4- مما يدل على قوة القول الراجح إجماع جمهور المفسرين عليه، مع عدم وجود مخالف رجح القول الآخر.

5- ترادفت عبارات المفسرين في ترجيح قول الجمهور، فقالوا إنه هو « الأظهر »[2]، وهو « اللائق به »[3]،وهو « الأولى »[4] ونحوها.

6- بل لقد صرّحوا بردّ القول المرجوح فقالوا عنه إنه « ضعيف »[5]، وإنه «بعيد»[6]، وإنه « ليس بظاهر »[7].

7- إلحاقاً للنقطة السابقة فيمن ردّ القول المرجوح، قال الفخر الرازي: «... وأكثر المحققين استبعدوا هذا القول واحتجوا عليه بوجوه:

الأول: أن النبي لابد وأن يعلم من نفسه كونه نبياً ومتى علم كونه نبياً علم أنه لا تصدر عنه الكبائر وأنه مغفور له، وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكاً في أنه هل هو مغفور له أم لا.

---

[1]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/186).
[2]() التسهيل لابن جزي (4/74).
[3]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/155).
[4]() فتح القدير للشوكاني (5/16)، فتح البيان للقنوجي (13/15).
[5]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/10).
[6]() التسهيل لابن جزي (4/74).
[7]() البحر المحيط لأبي حيان (9/435).

الثاني: لا شك أن الأنبياء أرفع حالا من الأولياء، فلما قال في هذا: [illegible] [سورة الأحقاف: 13]، فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذي هو رئيس الأتقياء وقدوة الأنبياء والأولياء شاكًّا في أنه هل هو من المغفورين أو من المعذبين؟

الثالث: أنه تعالى قال: [illegible] [سورة الأنعام: 124] والمراد منه كمال حاله ونهاية قربه من الله تعالى، ومن هذا حاله كيف يليق به أن يبقى شاكاً في أنه من المعذبين أو من المغفورين؟ فثبت أن هذا القول ضعيف »[1].

8- من الأدلة التي قد تؤيد القول المرجوح؛ حديث أم العلاء[2] -امرأة من الأنصار بايعت النبي - قالت: اقتُسم المهاجرون قُرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون[3] فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسّل وكفّن في أثوابه دخل رسول الله ، فقلتُ: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله -فقال النبي : « وما يدريك أن الله أكرمه » فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: « أما هو فقد جاءه اليقين -والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري- وأنا رسول الله- ما يفعل بي » قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً.

وفي رواية أخرى قال: « ما يفعل به »[4]. وفي رواية

---

[1] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/10).

[2] () أم العلاء بنت الحارث بن ثابت بن حارثة، صحابية أنصارية، يقال إنها زوجة زيد بن ثابت وأم ابنه خارجة. الإصابة (4/478)، تهذيب التهذيب (12/475).

[3] () عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي، صحابي أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، هاجر إلى الحبشة، توفي بعد شهوده بدراً في السنة الثانية من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم. الإصابة (2/464).

[4] () أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه.

أخرى، بعد قولها: فوالله لا أزكي أحداً بعده، قالت: فأحزنني ذلك، فنمت، فرأيت لعثمان عيناً تجري، فجئت رسول الله ﷺ وأخبرته، فقال: « ذلك عمله »[1].

ولكن هذا الحديث لا يقوى دليلاً فيما استدل به عليه، قال الإمام القرطبي: « حديث أم العلاء خرّجه البخاري، وروايتي فيه ((وما أدري ما يفعل به)) ليس فيه (بي ولا بكم)، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى »[2].

والإمام ابن كثير -بعد أن ذكر الحديث ولفظ « وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به » - قال: « وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ بدليل قولها فأحزنني ذلك »[3]، وهذا الذي قاله ابن كثير نقله عن القاسمي[4]، والشنقيطي[5] مؤيدين له. والله أعلم بالصواب.

المراد بـ [illegible]

72- قوله تعالى: [illegible] [سورة الأحقاف: 17-18].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

1- أن لفظ (الذي) يراد به الجنس، فالآية عامة في كلّ عاقّ لوالديه مكذب بالبعث.

فتح الباري (3/114)، الحديث رقم (1243).

[1]() البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ [illegible] (3/[illegible]).

[2]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/186).

[3]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/155).

[4]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5342).

[5]() أضواء البيان للشنقيطي (7/379).

2- أن المراد شخص بعينه، وقيل: هو عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما-[1].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « التحقيق إن شاء الله أن (الذي) في قوله ((والذي قال لوالديه)) بمعنى الذين، وأن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث.

والدليل من القرآن على أن (الذي) بمعنى الذين وأن المراد به العموم، أن (الذي) في قوله ((والذي قوله لوالديه)) مبتدأ خبره قوله تعالى ((أولئك الذين حق عليهم القول)). والإخبار عن لفظة (الذي) في قوله ((أولئك الذين حق عليهم القول)) بصيغة الجمع، صريح في أن المراد بالذي العموم لا الإفراد. وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

وبهذا الدليل القرآني تعلم أن قول من قال في هذه الآية الكريمة إنها نازلة في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- ليس بصحيح، كما جزمت عائشة -رضي الله عنهما- ببطلانه.

وفي نفس آية الأحقاف هذه دليل آخر واضح على بطلانه، وهو أن الله صرّح بأن الذين قالوا تلك المقالة حق عليهم القول، وهو قوله [سورة السجدة: 13] ومعلوم أن عبدالرحمن[2] بن أبي بكر -رضي الله عنهما- أسلم وحسن إسلامه، وهو من خيار المسلمين وأفاضل الصحابة -- »[3].

الشيخ الشنقيطي يرى أن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث.

---

[1] () ذكر القولين الإمام النسفي في مدارك التنزيل (4/109).

[2] () عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق القرشي، وأمه أم رومان والدة عائشة... كان اسمه عبد الكعبة فغيره النبي . (/).

[3] () أضواء البيان للشنقيطي (7/387).

الموافقون:

الجمع الغفير من المفسرين ذهبوا إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي، منهم:

1- الإمام الطبري: «... وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضالّ به كافر وبوالديه عاق، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله [illegible] ((illegible)) ((illegible)) ((illegible)) ((illegible))... »[1].

2- [illegible]: « ((illegible)) ((illegible)) ((illegible)) ((illegible)) »[2].

3- الخازن: «... والقول الصحيح أنه ليس المراد من الآية شخص معين، بل المراد كل شخص كان موصوفاً بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث فأبى وأنكر »[3].

4- ابن كثير: «... لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين؛ فقال: ((والذي قال لوالديه أف لكما)) وهذا عام في كل من قال هذا. ومن زعم أنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما-؛ فقوله ضعيف؛ لأن عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه [إلى أن قال:] وقوله ((أولئك)) بعد قوله ((والذي قال)) دليل على ما ذكرنا من أنه جنس يعم كل من كان كذلك »[4].

5- البقاعي: «... ولما ذكر سبحانه هذا المحسن بادئاً به لكون المقام للإحسان، أتبعه المسيء المناسب لمقصود السورة المذكور صريحاً في مطلعها فقال تعالى ((والذي

---

[1] () جامع البيان للطبري (26/13).
[2] () مدارك التنزيل للنسفي (4/109).
[3] () لباب التأويل للخازن (6/135).
[4] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/159).

قال لوالديه)) مع اجتماعهما كافراً لنعمهما نابذاً لوصيتنا بهما، فكان كافراً بنعمة أعظم منعم محسوس بعد الكفر بنعمة أعظم منعم مطلقاً، والتثنية مشيرة إلى أنه أغلظ الناس كبداً؛ لأن العادة جرت بقبول الإنسان كلام أصله ولو كان واحداً، وأن الاجتماع مطلقاً له تأثير، فكيف إذا كان والداً... »[1].

6- الشوكاني: « لما ذكر سبحانه من شكر نعمة الله سبحانه عليه وعلى والديه، ذكر من قال لهما قولاً يدل على التضجر منهما عند دعوتهما له إلى الإيمان، فقال: ((والذي قال لوالديه أف لكما))، الموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول، ولهذا أخبر عنه بالجمع »[2].

7- السعدي: « لما ذكر تعالى حال الصالح البار لوالديه، ذكر حال العاق، وأنها شر الحالات، فقال ((والذي قال لوالديه)) إذ دعواه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وخوّفاه الجزاء. وهذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما، أن يدعواه إلى ما فيه سعادته الأبدية، وفلاحه السرمدي، فقابلهما بأقبح مقابلة، فقال (أف لكما) أي تبًّا لكما ولما جئتما به »[3].

ويُشبه كلام من ذكرت كلامُ كل من الواحدي[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[6]، والفخر الرازي[7]، ونظام الدين النيسابوري[8]، وابن جزي[9]، وأبي حيان[10]، والبيضاوي[11]،

---

[1] () نظم الدرر للبقاعي (18/152).
[2] () فتح القدير للشوكاني (5/21).
[3] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(781).
[4] () الوجيز للواحدي (2/996).
[5] () الكشاف للزمخشري (4/295).
[6] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/351).
[7] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/21).
[8] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/11).
[9] () التسهيل لابن جزي (4/77).
[10] () البحر المحيط لأبي حيان (9/441).
[11] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/213).

والقنوجي[1]، والقاسمي[2]، وسيد قطب[3]، وابن عاشور[4].

ولا يوجد مخالف هنا، فإن أحداً من المفسرين على مرّ العصور لم يرجح أن يكون المراد بالآية الصحابي عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما-.

تعقيب الباحث:

الظاهر -والله أعلم- أن الراجح كون لفظ (الذي) في الآية يراد به الجنس، يعني جنس القائلين ذلك القول، وأن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث، يدل على ذلك:

1- سياق الآية ولحاقها[5] يدل على إرادة هذا المعنى، فإنه -[illegible]- «

[illegible] معين »[6].

ودلالة سياق الآيات على هذا المعنى الراجح أشار إليها أيضاً من المفسرين: ابن كثير[7]، والبقاعي[8]، والشوكاني[9]، والسعدي[10]، وغيرهم[11].

---

[1]() فتح البيان للقنوجي (13/26).
[2]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5349).
[3]() في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3263).
[4]() التحرير والتنوير لابن عاشور (26/37).
[5]() قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد أولى.. قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/125)، قواعد التفسير لخالد السبت (1/249).
[6]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/22).
[7]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/159).
[8]() نظم الدرر للبقاعي (18/152).
[9]() فتح القدير للشوكاني (5/21).
[10]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(781).
[11]() المحرر الوجيز لابن عطية (13/352)، البحر المحيط لأبي حيان (4419)، التحرير والتنوير لابن عاشور (26/37).

2- وجود قرينة في الآيات تؤيد القول الراجح، قاعدة مهمة في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين[1]، فإن هذه الآية فيها « ما يدل على أنها عامة؛ قوله تعالى: ((أولئك الذين حق عليهم القول)) بصيغة الجمع، ولو أراد واحداً بعينه لقال ذلك الذي حق عليه القول »[2].
أشار إلى هذه الناحية الترجيحية من المفسرين:النسفي[3]، والزمخشري[4]، وأبوحيان[5]، والشنقيطي[6]، وغيرهم[7].

3- قرينة أخرى أيضاً في الآيات يترجح بها كون الآية عامة ولا يراد بها شخص بعينه، وهي « أن الله صرح بأن الذين قالوا تلك المقالة حق عليهم القول، وهو قوله: [سورة السجدة: 13] »[8]. وعليه فإن « الأصوب أن تكون عامّة في أهل هذه الصفات، ولم يقصد بها عبدالرحمن ولا غيره من المؤمنين، والدليل القاطع على ذلك قوله تعالى: ((أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم))، وكان عبدالرحمن -- من أفضل الصحابة، وممن الأبطال، وممن له في الإسلام غناء »[9].

4- القول بأن المراد بالآية عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما-؛ بُني على ما قاله مروان بن الحكم[10]، وذلك أنه

---

[1] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/299).
[2] () التسهيل لابن جزي (4/77).
[3] () مدارك التنزيل للنسفي (4/109).
[4] () الكشاف للزمخشري (4/295).
[5] () البحر المحيط لأبي حيان (9/441).
[6] () أضواء البيان للشنقيطي (7/387).
[7] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/11)، فتح القدير للشوكاني (5/21)، التحرير والتنوير لابن عاشور (26/37).
[8] () أضواء البيان للشنقيطي (7/387).
[9] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/352).
[10] () مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يقال ولد بعد الهجرة بسنتين، ولي إمرة المدينة المنورة لمعاوية - لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية بايعه بعض أهل الشام في قصة طويلة، فكانت مدته في الخلافة قدر نصف سنة، مات سنة خمس وستين من الهجرة. الإصابة (3/478).

« لما كتب معاوية إلى مروان يبايع الناس ليزيد، قال عبدالرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقليه، أتبايعون لأبنائكم؟ فقال مروان: يا أيها الناس، هو الذي قاله الله فيه ((والذي قال لوالديه أف لكما))[1] »، وهذا القول مردود بوجوه:

أ- أنه « إن صح نزولها في عبدالرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، فإن خصوص السبب لا يوجب التخصيص »[2].
وكيف وقد أجمع المفسرون على بطلانه، منهم: النسفي[3]، الزمخشري[4]، وابن عطية[5]، والفخر الرازي[6]، ونظام الدين النيسابوري[7]، وابن جزي[8]، وأبوحيان[9]، والقنوجي[10]، والشنقيطي[11]، وابن عاشور[12].

ب- أنه لو كان المراد بقوله ((والذي قال لوالديه أف لكما)) عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- قبل إسلامه بأنه « روي أنه لما دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت، قال ((أتعدانني أن أخرج)) من القبر، يعني أبعث بعد الموت ((وقد خلت القرون من قبلي)) يعني الأمم الخالية، فلم أر أحداً منهم بعث فأين عبدالله بن جدعان،و أين فلان وفلان؟ إذا عرفت هذا فنقول:

---

[1] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/21).
[2] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/213).
[3] () مدارك التنزيل للنسفي (4/109).
[4] () الكشاف للزمخشري (4/295).
[5] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/351).
[6] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/21).
[7] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/11)، وحكى إجماع المفسرين على إنكار أن يراد بالآية عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما-.
[8] () التسهيل لابن جزي (4/77).
[9] () البحر المحيط لأبي حيان (9/441).
[10] () فتح البيان للقنوجي (13/26).
[11] () أضواء البيان للشنقيطي (7/387).
[12] () التحرير والتنوير لابن عاشور (26/37) وحكي الإجماع على أن الآية يراد بها العموم في كل عاقّ مكذب.

قوله ((أولئك الذين حق عليهم القول)) المراد هؤلاء الذين ذكرهم عبدالرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله، وهم الذين حق عليهم القول، وبالجملة فهو عائد إلى المشار إليهم بقوله ((وقد خلت القرون من قبلي)) لا إلى المشار إليه بقوله ((والذي قال لوالديه أف لكما)) »[1].

جـ- ما قاله مروان بن الحكم؛ أنكرته أم المؤمنين « وهي المصدوقة »[2] عائشة بنت أبي بكر الصديق، وأخوها عبدالرحمن لأبيها وأمها، الحديث أخرجه الإمام البخاري « كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايع له بعد أبيه، فقال له عبدالرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه ((والذي قال لوالديه أف لكما أتعداناني))، فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري »[3]. قال الحافظ ابن حجر: « نفي عائشة أن تكون نزلت في عبدالرحمن وال بيته أصح إسناداً وأولى بالقبول »[4].

وبناءًا على ما قالته أم المؤمنين؛ حمل المفسرون معنى الآية على العموم، وهم جميع المفسرين المذكورين تحت فقرة (الموافقون): الطبري، والواحدي، النسفي، والزمخشري، ابن عطية، الفخر الرازي، الخازن، نظام الدين النيسابوري، ابن جزي، أبوحيان، ابن كثير، البيضاوي، البقاعي، الشوكاني، القنوجي، القاسمي، السعدي، سيد قطب، ابن عاشور، وكذلك الشنقيطي.

5- حكى بعض المفسرين[5] أن اسم ابن أبي بكر المقصود هنا:

---

[1] () ذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير (10/22) حكاية عن الكلبي.

[2] () البحر المحيط لأبي حيان (9/441).

[3] () أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير، سورة الأحقاف، فتح الباري (8/576) الحديث رقم (4827).

[4] () فتح الباري (8/577).

[5] () مختصر البغوي (2/861)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/197).

عبدالله[6]... أقول: سواء كان عبدالرحمن أو عبدالله -[illegible]-
[illegible].

[illegible]

[6]() عبدالله بن أبي بكر الصديق، شقيق أسماء بنت أبي بكر، وهو الذي في قصة الهجرة كان يأتي للرسول [illegible]
[illegible] ([illegible]/[illegible]).

73- قوله تعالى: [illegible] [illegible].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:
1- أن معنى الآية: أن الذي أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها هو الكافر؛ لأنه لا يجزي بحسناته إلا في الدنيا خاصة[1].
2- أن الآية وازعة وواعظة لأولي النهى من المؤمنين عن الشهوات واستكمال الطيبات[2].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « اعلم أن للعلماء كلاماً كثيراً في هذه الآية قائلين إنها تدل على أنه ينبغي التقشف والإقلال من التمتع بالمآكل والمشارب والملابس ونحو ذلك.
وأن عمر بن الخطاب -- كان يفعل ذلك خوفاً منه أن يدخل في عموم من يقال لهم يوم القيامة: ((أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)) الآية. والمفسرون يذكرون هنا آثاراً كثيرة في ذلك، وأحوال أهل الصفة وما لاقوه من شدة العيش.
قال مقيده[3] عفا الله عنه وغفر له: التحقيق إن شاء الله في معنى هذه الآية هو أنها في الكفار وليست في المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التي أباحها الله لهم، لأنه تعالى ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم.
وإنما قلنا: إن هذا هو التحقيق؛ لأن الكتاب والسنة الصحيحة دالان عليه والله تعالى يقول: [illegible]

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/493).
[2] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/356).
[3] () الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-.

[illegible] [سورة النساء: 59]. أما كون الآية في الكفار فقد صرح الله تعالى به في قوله: ((ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم)).

والقرآن والسنة الصحيحة، قد دلا على أن الكافر إن عمل عملاً صالحاً مطابقاً للشرع، مخلصاً فيه لله ﷻ، كالكافر الذي يبر والديه، ويصل الرحم ويقري الضيف، وينفس عن المكروب، ويعين المظلوم يبتغي بذلك وجه الله ﷻ يثاب بعمله في دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية، ونحو ذلك ولا نصيب له في الآخرة. فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: [illegible] [سورة هود: 15-16]، وقوله تعالى: [illegible] [سورة الشورى: 20].

وقد قيد تعالى هذا الثواب الدنيوي المذكور في الآيات بمشيئته وإرادته، في قوله تعالى: [illegible] [سورة الإسراء: 18].

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها » [1] هذا لفظ مسلم في صحيحه.

وفي لفظ له عن رسول الله ﷺ: « إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر

---

[1]() أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار - جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا. صحيح مسلم بشرح النووي (17/149).

لـه حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته »[1] اهـ.

فهذا الحديث الثابت عـن النـبي ﷺ فيـه التصـريح، بـأن الكافر يجازى بحسناته في الـدنيا فقـط، وأن المـؤمن يجـازى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً. وبمقتضى ذلك، يتعيـن تعيينـاً لا محيص عنه، أن الذي أذهب طيباته في الـدنيا واسـتمتع بهـا هو الكافر، لأنه لا يجزى بحسناته إلا في الدنيا خاصة.

وأما المؤمن الذي يجزى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً، فلم يذهب طيباته في الدنيا؛ لأن حسناته مدخرة لـه في الآخـرة، مع أن الله تعالى يثيبه بها في الدنيا كما قال تعالى: ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷺ ﷻ [سورة هود: 3-5].

فجعل المخـرج مـن الضـيق لـه ورزقـه مـن حيـث لا يحتسب ثواباً في الدنيا وليس ينقص أجر تقواه في الآخرة.

والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة، وعلى كل حال فـالله -جل وعلا- أباح لعباده على لسان نبيه ﷺ الطيبـات فـي الحيـاة الدنيا، وأجاز لهم التمتع بها، ومع ذلـك جعلهـا خاصـة بهـم فـي الآخرة، كما قال تعالى: ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷺ ﷻ [سورة الأعراف: 32].

فـدل هـذا النـص القـرآن أن تمتـع المـؤمنين بالزينـة والطيبـات مـن الـرزق فـي الحيـاة الـدنيا لـم يمنعهـم مـن اختصاصهم بالتنعم بذلك يوم القيامة، وهو صريح في أنهم لـم يذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا.

ولا ينافي هذا أن من كان يعاني شدة الفقر فـي الـدنيا كأصحاب الصفة، يكون لهم أجر زائد على ذلك؛ لأن المـؤمنين يؤجرون، بما يصيبهم في الدنيا من المصـائب والشـدائد، كمـا هو معلوم »[2].

خلاصةً: يرى الشـيخ الشـنقيطي أن الـذي أذهـب طيبـاته فـي الدنيا واستمتع بها هو: الكافر، لأنـه لا يجـزى بحسـناته إلا فـي الدنيا خاصة.

---

[1] () المرجع السابق (17/150).

[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/393-395).

الموافقون:

ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي جمهور من المفسرين، منهم:

1- الإمام الطبري -بعد أن أورد الآية- قال: « يقول تعالى ذكره ويوم يعرض الذين كفروا بالله على النار يقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فيها [إلى أن قال:] وقال ((فاليوم تجزون عذاب الهون)) يقول تعالى ذكره يقال لهم فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا تجزون أي تثابون عذاب الهون يعني عذاب الهوان وذلك عذاب النار الذي يهينهم »[1].

2- الواحدي: « ((ويوم يعرض الذين كفروا على النار)) فيقال لهم ((أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)) وذلك أنهم يفعلون ما يشتهون، لا يتوقّون حراماً ولا يجتنبون مأثماً ((فاليوم تجزون عذاب الهون)) الهوان »[2].

3- البقاعي: « ولما كان الظاهر في هذه السورة الإنذار كما يشهد به مطلعها، قال ذاكراً بعض ما يبكت به المجرمون يوم البعث الذي كانوا به يكذبون ويكون فيه توفيه جزاء الأعمال، عاطفاً على ما تقديره: اذكر لهم هذا لعلهم يأنفون أن يكونوا المسيئين فيكونوا من المحسنين، ((ويوم)) أي واذكر لهم يوم يعرضون، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف الذي أوجب لهم الجزاء إشارة إلى أن الأمر كان ظاهراً لهم ولكنهم ستروا أنوار عقولهم، فقال ((يعرض الذين كفروا)) أي من الفريقين المذكورين[3] ((على النار)) أي يصلون لهبها ويقلبون فيها كما يعرض اللحم الذي يشوي، مقولاً لهم على سبيل

---

[1]() جامع البيان للطبري (26/14).

[2]() الوجيز للواحدي (2/996).

[3]() الجن والإنس، وقد سبق ذكرهما في الآيات السابقة، قال تعالى: [illegible]

التنديم والتقريع والتوبيخ والتشنيع لأنهم لم يذكروا الله حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمره سبحانه ونهيه ((أذهبتم طيباتكم)) أي لذاتكم باتباعكم الشهوات ((في حياتكم)) ونفّر منها بقوله تعالى ((الدنيا)) أي القريبة الدنية المؤذن وصفها لمن يعقل بحياة أخرى بعدها، فكان سعيكم في حركاتكم وسكناتكم لأجلها حتى نلتموها ((واستمتعتم)) أي طلبتم وأوجدتم انتفاعكم ((بها)) وجعلتموها غاية حظكم في رفعتكم ونعمتكم »[1].

4- السعدي: «... يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على النار حين يوبخون ويقرعهم، فيقال لهم ((أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)) حيث اطمأننتم إلى الدنيا، واغتررتم بلذاتها، ورضيتم بشهواتها، وألهتكم طيباتها عن السعي لأخرتكم، وتمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم. ((فاليوم تجزون عذاب الهون)) »[2].

5- سيد قطب: « ((ويوم يعرض الذين كفروا على النار...))، والمشهد سريع حاسم، ولكنه يتضمن لفتة عميقة عريضة. إنه مشهد العرض على النار. وفي مواجهتها وقبيل سوقهم إليها، يقال لهم عن سبب عرضهم عليها وسوقهم إليها ((أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها))... فقد كانوا يملكون الطيبات إذن، ولكنهم استنفدوها في الحياة الدنيا، فلم يدخروا للآخرة منها شيئاً؛ واستمتعوا غير حاسبين فيها للآخرة حساباً. استمتعوا بها استمتاع الأنعام للحصول على اللذة بالمتاع، غير ناظرين فيها للآخرة، ولا شاكرين لله نعمته، ولا

 [illegible].

[1] () نظم الدرر للبقاعي (18/159).

[2] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(782).

متورعين فيها عن فاحش أو حرام، ومن ثَمَّ كانت لهم دنيا ولم تكن لهم آخرة، واشتروا تلك اللمحة الخاطفة على الأرض بذلك الأمد الهائل الذي لا يعلم حدوده إلا الله [1]».

وبمثل هذا الترجيح وبعبارات مشابهة ومقاربة جاء تفسير كل من الإمام البغوي[2]، والنسفي[3]، والقرطبي[4]، ونظام الدين النيسابوري[5]، والبيضاوي[6]، والمحلي[7]، والشوكاني[8]، والقاسمي[9].

لا يوجد مخالفون.

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن الذي أذهب طيباته في الحياة الدنيا واستمتع بها هو الكافر، وهذا هو المعنى الذي رجّحه الشنقيطي ومن ذهب إلى مثل ما قاله، يدل لذلك أمور:

1- أن هذا المعنى هو الظاهر المتبادر من لفظ الآية، «والأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل [10]»، فلقد صرّح الله -في هذه الآية- بأن الكافر هو الذي أذهب طيباته في الحياة الدنيا، قال تعالى: ((ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها...)).

2- لقد دلت آيات أخرى أيضاً على نحو ما دلت عليه هذه الآية، قال تعالى: [illegible]

---

[1] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3264).
[2] () مختصر البغوي (2/861).
[3] () مدارك التنزيل للنسفي (4/110).
[4] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/199).
[5] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/12).
[6] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/214).
[7] () تفسير الجلالين ص(425).
[8] () فتح القدر للشوكاني (5/22).
[9] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5352).
[10] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/137)، قواعد التفسير لخالد السبت (2/843).

[illegible]

الشورى: 20]. وهكذا فإن الكافر الذي لا يؤمن بيوم القيامة والبعث والجزاء والجنة والنار، ومع ذلك يعمل « عملاً صالحاً مطابقاً للشرع، مخلصاً فيه لله ، كالكافر الذي يبر والديه، ويصل الرحم، ويقري الضيف، وينفس عن المكروب، ويعين المظلوم يبتغي بذلك وجه الله ؛ يثاب بعمله في الدنيا خاصة بالرزق والعافية ونحو ذلك، ولا نصيب له في الآخرة... وقد قيد تعالى هذا الثواب الدنيوي بمشيئته وإرادته، في قوله تعالى: [illegible] [سورة الإسراء: 18]»[1].

3- لقد أكّد عدد غير قليل من المفسرين[2] أن الآية مقصود بها الكافر، فهو الذي يذهب طيباته في الحياة الدنيا، وليس له في الآخرة إلى العذاب. ومع ذلك أشاروا إلى أنه يستفاد من الآية أن تكون وازعة ورادعة لأولى النهى من المؤمنين ومحرضة لهم على الورع والتقلل من الدنيا، فيؤثروا اجتناب اللذات رجاء الثواب العظيم في الآخرة، مع أنه « ليس في الآية ما يقتضي منع المسلم من تناول الطيبات في الدنيا إذا توخّى حلالها وعمل بواجبه الديني فيما عدا ذلك، وإن كان الزهد في الاعتناء بذلك أرفع درجة وهي درجة رسول الله وخاصةٍ من

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/393).

[2] () منهم: ابن عطية في المحرر الوجيز (13/356)، وابن الجوزي في زاد المسير (7/139)، والخازن في لباب التأويل (6/136)، وابن جزي في التسهيل (4/78)، وأبوحيان في البحر المحيط (9/444)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (4/160)، والثعالبي في جواهر الحسان (4/153).

أصحابه »[1].

وهكذا نجد « أن هذه الآية لا تدل على المنع من التنعم، لأن هذه الآية وردت في حق الكافر، وإنما وبخ الله الكافر لأنه يتمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم بطاعته والإيمان به، وأما المؤمن فإنه يؤدي بإيمانه شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعه، والدليل عليه قوله تعالى: [illegible] [سورة الأعراف: 32] »[2]، « فدل هذا النص القرآني أن تمتع المؤمنين بالزينة والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا لم يمنعهم من اختصاصهم بالتنعم بذلك يوم القيامة، وهو صريح في أنهم لم يذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا »[3]، « نعم لا ينكر أن الاحتراز عن التنعم أولى؛ لأن النفس إذا اعتادت التنعم صعب عليها الاحتراز والانقباض، وحينئذ فربما حمله الميل إلى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي، وذلك مما يجر بعضه إلى بعض ويقع في البعد عن الله تعالى بسببه »[4]، « ولا ينافي هذا أن من كان يعاني شدة الفقر في الدنيا كأصحاب الصفة، يكون لهم أجر زائد على ذلك؛ لأن المؤمنين يؤجرون بما يصيبهم في الدنيا من المصائب والشدائد، كما هو معلوم »[5].

4- وختام القول: « التحقيق أن المراد هو أنه ما كتب للكافر حظ من الطيبات إلا الذي أصابه في دنياه، وليس في الآية أن كل من أصاب الطيبات في الدنيا فإنه لا يكون له منها حظ في الآخرة »[6]. والله أعلم بالصواب.

□ □ □

---

[1] () التحرير والتنوير لابن عاشور (26/43).
[2] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/23).
[3] () أضواء البيان للشنقيطي (7/395).
[4] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/23).
[5] () أضواء البيان للشنقيطي (7/395).
[6] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/13).

هل يدخل الجنّ الجنة ؟

74- قولـه تعـالى: [ ] [سورة الأحقاف: 31].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف المفسرون في بيان هذه الآية؛ وهل تدل علـى أن للجـن ثواباً (دخـول الجنـة) وعقاباً (دخـول النـار)؛ علـى أقوال:

1- أن الجن يكون لهم الثواب في الإحسان، كما يكون عليهـم العقاب في الإساءة كالإنس[1].

2- وقيل: إنه لا ثواب لهم إلا النجاة من النار[2].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشـيخ محمـد الأميـن الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: «... منطوق هذه الآية أن من أجاب [من الجـن] داعـي اللـه ﷺ محمداً ﷺ وآمن به وبما جاء به من الحق؛ غفر الله ﷻ لـه ذنـوبه وأجاره من العذاب الأليم.

ومفهومـاً أعنـي مفهـوم مخالفتهـا المعـروف بـدليل الخطاب، أن من لم يجب داعي الله ﷻ [ ] [سورة هود 119]، وقوله تعالى: [ ] [سورة السجدة: 13]، وقوله تعالى: [ ] [سورة الأعـراف: 38]، وقـوله تعـالى: [ ]

---

[1] () مختصر البغوي (2/863).

[2] () مدارك التنزيل للنسفي (4/112)، حكاه عن أبي حنيفة.

[illegible] [سورة الشعراء: 94-95].

أما دخول المؤمنين المجيبين داعي الله ﷻ من الجن الجنة، فلم تتعرض له الآية الكريمة بإثبات ولا نفي، وقد دلت آية أخرى على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة، وهي قوله تعالى في سورة الرحمن: [illegible] ﷻ [illegible] [سورة الرحمن: 46-47]. وبه تعلم أن ما ذهب إليه بعض أهل العلم؛ قائلين إنه يفهم من هذه الآية أن المؤمنين من الجن لا يدخلون الجنة، وأن جزاء إيمانهم وإجابتهم داعي الله ﷻ؛ هو الغفران وإجارتهم من العذاب الأليم فقط، كما هو نص الآية، كله خلاف التحقيق »[1].

الشيخ الشنقيطي يرجح دخول الجن المؤمن الطائع الجنة.

الموافقون:

ما رجحه الشيخ الشنقيطي من تساوي الجن مع الإنس في الثواب والعقاب، وأن لمؤمنهم الجنة ولكافرهم النار؛ اتفق معه فيه عدد غير قليل من المفسرين، منهم:

1- الزمخشري: «... والصحيح أنهم في حكم بني آدم، لأنهم مكلفون مثلهم »[2].

2- الفخر الرازي: «... والصحيح أنهم في حكم بني آدم فيستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية... والدليل على صحة هذا القول أن كل دليل على أن البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حق الجن »[3].

3- نظام الدين النيسابوري: «.. والصحيح أنهم في حكم بني آدم. يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون »[4].

4- ابن كثير: «... والحق أن مؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف... [يدل عليه] قوله جل وعلا: [illegible] [سورة

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/401).

[2] () الكشاف للزمخشري (4/304).

[3] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/29).

[4] () غريب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/17).

الرحمن: 46-47] فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس؛ ((فقالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد))[1]، فلم يكن تعالى ليمتنّ عليهم بجزاء لا يحصل لهم، وأيضاً فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل، فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأوْلى والأحرى. ومما يدل أيضاً على ذلك عموم قوله تعالى: [سورة الكهف: 107]. وما أشبه ذلك من الآيات »[2].

5- الشوكاني: «... وفي هذه الآية دليل على أن حكم الجن حكم الإنس في الثواب والعقاب والتعبد بالأوامر والنواهي [وذكر القول الثاني ثم قال بعده:] والأول أوْلى... وقد قال سبحانه في مخاطبة الجن والإنس [سورة الرحمن: 46-47] فامتن سبحانه على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، ولا ينافي هذا الاقتصار هاهنا على ذكر إجارتهم من عذاب أليم، ومما يؤيد هذا أن الله سبحانه قد جازى

---

[1] () هذا جزء من حديث رواه جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: خرج رسول الله على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: « لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله [illegible] ». [illegible] : « [illegible] ». [illegible] (/) [illegible] (/) [illegible].

[2] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/171).

كافرهم بالنار وهو مقام عدل، فكيف لا يجازي محسنهم بالجنة وهو مقام فضل؟ ومما يؤيد هذا أيضاً ما في القرآن الكريم في غير موضع أن جزاء المؤمن الجنة، وجزاء من عمل الصالحات الجنة، وجزاء من قال: لا إله إلا الله الجنة، وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة »[1].

6- السعدي: « ((يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم)) وإذا أجارهم من العذاب الأليم، فما ثَمَّ بعد ذلك إلا النعيم، فهو جزاء من أجاب داعي الله »[2].

وبنحو هذا قد رجّح الإمام القرطبي[3]، والخازن[4]، والبيضاوي[5]، والثعالبي[6]، والبقاعي[7]، والقنوجي[8]، والقاسمي[9].

ولم يرجح القول الآخر أحد من المفسرين، فلا مخالف هنا إذاً.

تعقيب الباحث:

الظاهر -والله أعلم- أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون فيها، وأن الكافرين منهم يدخلون النار، وهذا المعنى هو ما اتفق فيه الشنقيطي مع جمهور المفسرين، يدل عليه أمور:

1- تفسير القرآن بالقرآن[10]، فآية سورة الأحقاف هنا ((يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم)) قد ذكر فيها أن المؤمنين من الجن تغفر لهم ذنوبهم ويجاروا من العذاب الأليم، ولم

---

[1] () فتح القدير للشوكاني (5/26).
[2] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(783).
[3] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/218).
[4] () لباب التأويل للخازن (6/142).
[5] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/215).
[6] () جواهر الحسان للثعالبي (4/158).
[7] () نظم الدرر للبقاعي (18/183).
[8] () فتح البيان للقنوجي (13/38).
[9] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5366).
[10] () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

يتعرض فيها لدخول الجنة بنفي ولا إثبات. ويقول الله تعالى في سورة الرحمن [[illegible] : [illegible]]، « وقد تقرر في الأصول أن الموصلات من صيغ العموم[1]، فقوله ((لمن خاف)) يعمّ كل خائف مقام ربه، ثم صرّح بشمول ذلك للجن والإنس معاً بقوله ((فبأي آلاء ربكما تكذبان))، فبين أن الوعد بالجنتين لمن خاف مقام ربه، من الائه أي نعمة على الإنس والجن.

ويستأنس لهذا أيضاً بقوله تعالى: [سورة الرحمن: 56، 74] فإنه يشير إلى أن في الجنة جناً يطمثون النساء كالإنس »[2].

2- إلحاقاً للنقطة السابقة، وعند قوله تعالى [سورة الأحقاف: 19]، قال البقاعي: «... وهذا ظاهر، أو نصٌ في أن الجن يثابون بالإحسان كما يعاقبون بالعصيان »[3].

3- ويقول جل وعلا في سورة الأنعام [سورة الأنعام: 132]، وقد قال قبلها [سورة الأنعام: 130]، وقال تعالى في سورة الذاريات [[illegible] : [illegible]]، فالله خلق الجن والإنس ليعبدوه، وأرسل الرسل إليهم لبيان الدّين، ووعد المطيع بالجنة، والعاصي بالنار.

4- لقد أجمع المفسرون على هذا القول الراجح، وهو دخول الجن المؤمنين الجنة، وعبّروا عن ترجيحهم له بألفاظ

---

[1] () انظر: مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ص(246).

[2] () دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي ص(263)، مطبوع في المجلد العاشر من أضواء البيان.

[3] () نظم الدرر للبقاعي (18/158).

متقاربة؛ فقالوا: إنه هو « الصحيح »[1]، وهو « الحق »[2]، وهو « الأظهر »[3]، وهو « الأولى »[4].

5- ويؤيد هذا الترجيح أيضاً كلّ « ما في القرآن الكريم في غير موضع أن جزاء المؤمن الجنة، وجزاء من عمل الصالحات الجنة، وجزاء من قال لا إله إلا الله الجنة، وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة »[5].

6- وختاماً: إن مؤمني الجن « إذا أجارهم من العذاب الأليم، فما ثَمَّ بعد ذلك إلا النعيم »[6]، « ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمني الجن لا يدخلون الجنة وإن أجيروا من النار، ولو صح لقلنا به »[7]. والله أعلم بالصواب.

□ □ □

---

[1] () الكشاف للزمخشري (4/34)، التفسير الكبير للفخر الرازي (10/29)، لباب التأويل للخازن (6/142)، غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/17).
[2] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/171).
[3] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/215).
[4] () فتح القدير للشوكاني (5/26).
[5] () المرجع السابق.
[6] () تفسير الكريم الرحمن للسعدي ص(783).
[7] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/171).

مَنْ هم أولوا العزم من الرسل؟

75- قوله تعالى: [illegible] [illegible].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف المفسرون في بيان من هم أولوا العزم من الرسل، ومنشأ اختلافهم في تحديد معنى (من) في قوله تعالى: ((من الرسل))، وهو على نوعين:

أ - أن (من) لبيان الجنس، والرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم أولوا عزم، فيكون المعنى: اصبر يا محمد كما صبر جميع الرسل قبلك[1].

ب- أن (من) للتبعيض، فيراد بـ (من الرسل) بعض الرسل[2]،ثم اختلفوا اختلافاً كثيراً في تحديد بعض الرسل المرادين بالآية على أقوال كثيرة:

1- أنهم المذكورين في سورة الأحزاب وسورة الشورى، قال تعالى: [illegible] [سورة الأحزاب: 7] وقال تعالى: [illegible] [سورة الشورى: 13]، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا « أشهر الأقوال »[3].

---

[1] () مختصر البغوي (2/864)، مدارك التنزيل للنسفي (4/112)، الكشاف للزمخشري (4/305)، المحرر الوجيز لابن عطية (13/376)، زاد المسير لابن الجوزي (7/144)، التفسير الكبير للفخر الرازي (10/31)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220)، لباب التأويل للخازن (6/143)، غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري(26/18)، التسهيل لابن جزي (4/82)، البحر المحيط لأبي حيان (9/452)، فتح القدير للشوكاني (5/28)، فتح البيان للقنوجي (13/41)، محاسن التأويل للقاسمي (15/5369).

[2] () مدارك التنزيل للنسفي (4/112).

[3] () هذا القول ذكره النيسابوري في إيجاز البيان (2/192)، معتبراً إياه هو فقط المراد بأولي العزم. وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (4/172)،

2- أن أولي العزم منهم كانوا الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن فلم تزدهم المحن إلا جداً في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم[1].
3- قيل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى[2].
4- نوح وهود وإبراهيم[3].
5- نوح وهود وإبراهيم وشعيب وموسى[4].
6- إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد[5].
7- منهم: إسماعيل ويعقوب وأيوب، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم[6].
8- أن كلهم ألوا عزم إلا يونس -[7].

قال عنه إنه: « أشهر الأقوال ». وكذلك قال عنه البقاعي في نظم الدرر، وزاد: « هو الظاهر ». وهو ما رجحه الشنقيطي في أضواء البيان (7/418).
كما ورد ضمن الأقوال المحتملة للآية في: مختصر البغوي (2/864)، مدارك التنزيل للنسفي (4/112)، زاد المسير لابن الجوزي (7/144)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220)، لباب التأويل للخازن (6/143)، فتح القدير للشوكاني (5/28)، فتح البيان لقنوجي (13/41)، محاسن التأويل للقاسمي (15/5369).

[1] () جامع البيان للطبري (26/24).
[2] () النكت والعيون للماوردي (5/288)، التسهيل لابن جزي (4/82)، أنوار التنزيل للبيضاوي (2/215).
[3] () النكت والعيون للماوردي (5/288)، فتح القدير للشوكاني (5/28)، فتح البيان للقنوجي (13/41).
[4] () النكت والعيون للماوردي (5/288).
[5] () النكت والعيون للماوردي (5/288)، زاد المسير لابن الجوزي (7/144)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220)، فتح القدير للشوكاني (5/28)، فتح البيان للقنوجي (13/41).
[6] () النكت والعيون للماوردي (5/288)، زاد المسير لابن الجوزي (7/144)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220)، فتح القدير للشوكاني (5/28)، فتح البيان للقنوجي (13/41).
[7] () الوجيز للواحدي (2/999)، مختصر البغوي (2/864)، المحرر الوجيز لابن عطية (13/376)، زاد المسير لابن الجوزي (7/144)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220)، لباب التأويل للخازن (6/143).

9- هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام[1]، وهم ثمانية عشر؛ إبراهيم وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداوود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط عليهم السلام[2].

10- هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين، وهم ستة: نوح وهود وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف[3].

11- وقيل: هم ستة نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح[4]، ويعقوب صبر

---

[1]() الآيات من رقم (83) على رقم (86) من سورة الأنعام.

[2]() مختصر البغوي (2/864)، المحرر الوجيز لابن عطية (13/376)، زاد المسير لابن الجوزي (7/144)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220)، لباب التأويل للخازن (6/143)، التسهيل لابن جزي (4/82)، البحر المحيط لأبي حيان (9/452)، فتح القدير للشوكاني (5/288)، فتح البيان للقنوجي (13/41).

[3]() الآيات من رقم (59) إلى رقم (171) من سورة الأعراف، وذكر هذا القول في: مختصر البغوي (2/864)، زاد المسير لابن الجوزي (7/144)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (016/220)، لباب التأويل للخازن (6/143)، فتح القدير للشوكاني (5/28)، فتح البيان للقنوجي (13/41).

[4]() على قول من يرى أن الذبيح هو إسحاق - وقد حرر الشيخ الشنقيطي مسألة تعيين الذبيح مرجحاً أنه إسماعيل - عند تفسير قوله تعالى: [illegible]

على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على السجن، وأيوب صبر على الضر[1].

12- أنهم الستة المذكورون في النقطة السابقة ويضاف إليهم: « موسى قال له قومه ((إنا لمدركون)) قال ((كلا إن معي ربي سيهدين))، وداود بكى على خطيئته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لبنة على لبنة، وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها »[2].

13- نوح وهود وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام[3].

14- إبراهيم وموسى وداود وعيسى[4].

15- أنهم اثنا عشر نبياً أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام[5].

16- كل من لقي من أمته شدة[6].

17- نوح وهود وصالح وموسى وداود وسليمان.

[illegible] [سورة الصافات: 99-107]. انظر: أضواء البيان 06/691).

[1]() مختصر البغوي (2/864)، المحرر الوجيز لابن عطية (13/376)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220)، لباب التأويل للخازن (6/143)، غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/18).

[2]() الكشاف للزمخشري (4/305)، التفسير الكبير للفخر الرازي (10/31)، البحر المحيط لأبي حيان (9/452)، أنوار التنزيل للبيضاوي (2/215).

[3]() زاد المسير لابن الجوزي (7/144)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220).

[4]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220)، فتح القدير للشوكاني (5/28)، فتح البيان للقنوجي (13/41).

[5]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220)، فتح القدير للشوكاني (5/28)، فتح البيان للقنوجي (13/41).

[6]() التسهيل لابن جزي (4/82)، البحر المحيط لأبي حيان (9/452).

18- أنهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً[1].
19- نوح وإبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.
20- نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وهارون أو داود.
21- نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وهارون أو داود، وآدم.
22- نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وهارون أو داود، وإسحاق ويعقوب ويوسف[2].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « قوله تعالى ((فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل))، اختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في هذه الآية الكريمة اختلافاً كثيراً.

وأشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة، وهم الذين قدمنا ذكرهم في الأحزاب[3]، والشورى[4]، وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وعلى هذا القول فالرسل الذين أمر رسول الله أن يصبر كما صبروا أربعة فصار هو خامسهم.

واعلم أن القول بأن المراد بأولي العزم جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن لفظة (من) في قوله ((من الرسل)) بيانية، يظهر أنه خلاف التحقيق، كما دل على ذلك بعض الآيات القرآنية، كقوله تعالى: [illegible]

---

[1] () القولان رقم (17+18) ذُكرا في فتح البيان للقنوجي (13/41)..
[2] () الأقوال (19+20+21+22) ذُكرت في محاسن التأويل للقاسمي (15/5369).
[3] () [سورة الأحزاب: 7]، أضواء البيان (6/572).
[4] () [سورة الشورى: 13] أضواء البيان (7/178).

»[1].

الموافقون:

رجح مثل ترجيح الشنقيطي في أن أولي العزم من الرسل هم الخمسة المذكورون في سورة الأحزاب وسورة الشورى عدد قليل من المفسرين، منهم:

1- النيسابوري[2]. 2- ابن كثير[3]. 3- البقاعي[4].

المخالفون:

وهم كل من لم يرجح قولاً واحداً، وإنما فسروا الآية على احتمال المعنيين من اعتبار (من) بيانية، أو اعتبارها تبعيضية، فيقولوا: إن (من) قد تكون بيانية ويراد بها جميع الرسل، وقد تكون تبعيضية، ثم يختلفوا في تحديد هذا البعض المراد. وقد ذكرتُ في مجمل الأقوال تقريباً كل ما ورد عن المفسرين من الأقوال المحتملة على اعتبار (من) تبعيضية، واكتفي هنا بذكر المفسرين:

1- الطبري[5]. 2- الماوردي[6].
3- الواحدي[7].
4- البغوي[8] 5- النسفي[9]. 6- الزمخشري[10].
7- ابن عطية[11]. 8- ابن الجوزي[12].

---

[1]() أضواء البيان للشنقيطي (7/408).
[2]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/192).
[3]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/172).
[4]() نظم الدرر للبقاعي (18/190).
[5]() جامع البيان للطبري (26/26).
[6]() النكت والعيون للماوردي (5/288).
[7]() الوجيز للواحدي (2/999).
[8]() مختصر البغوي (2/864).
[9]() مدارك التنزيل للنسفي (4/112).
[10]() الكشاف للزمخشري (4/305).
[11]() المحرر الوجيز لابن عطية (13/376).
[12]() زاد المسير لابن الجوزي (7/144).

9- الفخر الرازي[1].
10- القرطبي[2]. 11- الخازن[3]. 12- نظام الدين النيسابوري[4].
13- ابن جزي[5]. 14- أبوحيان [6].
15- البيضاوي[7].
16- الشوكاني[8]. 17- القنوجي[9].
18- القاسمي[10].

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- صحة حمل لفظة (من) في قوله تعالى ((من الرسل)) على المعنيين المذكورين من اعتبارها بيانية أو تبعيضية، يدل لذلك:

1- أن اعتبار (من) لبيان الجنس، وأن المراد بذلك جميع الرسل عليهم السلام قد ذكره عدد كبير من المفسرين -ذكرتهم عند ذكر هذا القول في مجمل الأقوال- وحكى القاسمي أن هذا القول قد « ذهب إليه جمهور المفسرين »[11].
2- إلحاقاً للنقطة السابقة وأن المراد بأولي العزم جميع الرسل، يوكد ذلك الثعالبي بقوله: «... ولا محالة أن لكل نبي ورسول عزماً وصبراً »[12].
3- على اعتبار أن (من) تبعيضية، فيظهر -والله أعلم- أن الصحيح هو ما ذهب إليه الشنقيطي وموافقوه؛ من أن

---

[1]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/31).
[2]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/220).
[3]() لباب التأويل للخازن (6/143).
[4]() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/18).
[5]() التسهيل لابن جزي (4/82).
[6]() البحر المحيط لأبي حيان (9/452).
[7]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/215).
[8]() فتح القدير للشوكاني (5/28).
[9]() فتح البيان للقنوجي (13/41).
[10]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5369).
[11]() المرجع السابق.
[12]() جواهر الحسان للثعالبي (4/158).

بعض الرسل الموصوفين بـ (أولوا العزم) هم الخمسة المذكورون في سورة الأحزاب وسورة الشورى،قال تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ [سورة الأحزاب: 7]، وقال تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ [سورة الشورى: 13]، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الرسل أجمعين نبينا محمد صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، وذلك أنه قال تعالى في سورة الأحقاف هنا ((فاصبر كما صبر أولوا العزم)) فأمره هنا بالصبر كصبرهم، وهناك في سورة الأحزاب، وسورة الشورى ذكر النبي محمداً مع الأربعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فدل هذا على أن المأمور أن يصبر كصبرهم؛ هم من ذُكر هو وإياهم سوياً، ولم يرد ذكر النبي محمد مع أنبياء آخرين في آية سوى في الآيات المذكورة، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً[1].

4- تأكيداً للنقطة السابقة، قال ابن عاشور: «... وهذه الآية اقتضت أن محمداً من أولي العزم لأن تشبيه الصبر الذي أمر به بصبر أولي العزم من الرسل يقتضي أنه مثلهم لأنه ممتثل أمر ربه، فصبره مثيل لصبرهم، ومَنْ صبر صبرهم كان منهم لا محالة »[2].

5- أما بقية الأقوال غير ما رجحه الشنقيطي وموافقوه، فليس لدى أي منها من القوى من يؤهلها أو بعضها لأن يكون راجحاً، فعلى سبيل المثال؛ القول بأن أولي العزم هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر[3]، فإن من ضمن المذكورين يونس -، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽

---

[1] () تفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير، شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(128).
[2] () التحرير والتنوير لابن عاشور (26/67).
[3] () القول رقم (9) في مجمل الأقوال.

 [سورة القلم: 48]، فنهاه أن يكون كصاحب الحوت وهو يونس -[1]-.

6- وهذه فائدة عن امتثال النبي محمد لأمر الله إياه بالصبر، انقلها من كلام الشيخ العلامة السعدي -رحمه الله- « ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله ، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين، سادات الخلق، أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم، ثمَّ يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم.

فامتثل لأمر ربه، فصبر صبراً لم يصبره نبي قبله، حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة، وقاموا جميعاً بصده عن الدعوة إلى الله ، وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة، وهو لم يزل صادعاً بأمر الله ، مقيماً على جهاد أعداء الله، صابراً على ما يناله من الأذى. حتى مكّن الله له في الأرض، وأظهر دينه على سائر الأديان، وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً »[2]. والله أعلم بالصواب.

---

[1] () قصص الأنبياء لابن كثير ص(366).

[2] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(784).

معنى (أضل أعمالهم)

76- قولـه تعالى: ﴿ ﴾ [سورة محمد: 1].

مجمل الأقوال الواردة:
1- معنـى ((أضـل أعمـالهم)): أبطلهـا فلـم يقبلهـا؛ وأراد بالأعمال ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام.
2- أو يكون المعنى: أبطل كيـدهم ومكرهـم بـالنبي ﷺ، وجعـل الدائرة عليهم[1].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: « وقوله تعـالى فـي هـذه الآيـة الكريمـة ((أضـل أعمـالهم)) أي أبطل ثوابها، فما عمله الكـافر مـن حسـن فـي الـدنيا، كقِـرى الضيف، وبرّ الوالدين، وحمى الجار، وصلة الرحـم، والتنفيـس عن المكروب، يبطل يوم القيام ويضمحل، ويكون لا أثـر لـه، كما قال تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الفرقان: 23]، وهذا هو الصواب في معنى الآية.
وقيل: أضل أعمـالهم أي أبطـل كيـدهم الـذي أرادوا أن يكيدوا به النبي ﷺ »[2].

الموافقون:
ما ذهب إليه الشنقيطي من أن معنـى ((أضـل أعمـالهم)) أي أبطل ثواب الأعمال التي عملها الكفار من برّ وصـلة ونحوهـا، قد ذهب إليه أيضاً عدد من المفسرين، منهم:
1- الواحـدي: « ((أضـل أعمـالهم)) أحبطهـا، فلا يـرون فـي الآخرة لها جزاء »[3].
2- ابن الجوزي: « ((أضل أعمالهم)) أي أبطلهـا، ولـم يجعـل

---

[1] () ذكرهما البغوي، مختصر البغوي (2/865).
[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/414).
[3] () الوجيز للواحدي (1/1000).

لها ثواباً، فكأنها لـم تكـن، وقـد كـانوا يُطعمـون الطعـام، ويصلون الأرحام، ويتصدقون، ويفعلون ما يعتقدونه قربـة »[1].

3- ابـن كـثير: « ((أضـل أعمـالهم)) أي أبطلهـا وأذهبهـا ولـم يجعل لهـا ثوابـاً ولا جـزاءاً، كقـوله تعـالى: [illegible] [سورة الفرقان: 23] »[2].

وبنحو هذه العبارات جاءت عبارات كل من الطبري[3]، والنيسابوري[4]، والمحلي[5]، والقاسمي[6] وسيد قطب[7].

المخالفون:

في هذا الموضع لم يرجح أحـد القـول الآخـر -غيـر مـا رجحـه الشـنقيطي وموافقـوه- ولكـن كـثيراً مـن المفسـرين جمعوا القولين عند تفسير الآية معتـبرين إياهمـا معنـىً للآيـة، وهؤلاء يمكن تصنيفهم إلى فئتين:

أ- الذين، ربطوا بين القولين، بحمل لفظ الآيـة علـى العمـوم، منهم:

1- ابن عطية: « وقوله تعالى ((أضـل أعمـالهم)) أي أتلفهـا، لم يجعل لها غاية خير ولا نفعاً. وروي أن هذه الآية نزلت بعد بدر، وأن الإشارة بقوله ((أضل أعم الهم)) ه ي إل ى الإنفاق الذي أنفقوه في سفرهم إلى بدر. وقيل: المـراد بالأعمال أعمالهم البرَّة فـي الجاهليـة مـن صـلة الرحـم ونحوه. واللفظ يعم جميع ذلك »[8].

2- البقـاعي: « ((أضـل)) أي أبطـل إبطـالاً عظيمـاً يزيـل العين والأثر، ((أعمالهم)) التي هي أرواحهم المعنوية،

---

[1] () زاد المسير لابن الجوزي (7/147).
[2] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (04/172).
[3] () جامع البيان للطبري (26/25).
[4] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/193).
[5] () تفسير الجلالين ص(427).
[6] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5372).
[7] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3280).
[8] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/383).

وهي كل شيء يقصدون به نفع أنفسهم من جلب نفع أو دفع ضر بعد أن وفر سيئاتهم وأفسد بالهم، ومن جملة أعمالهم ما يكيدونكم به لأنها إذا ضلت عما قصدوا بها بجعله سبحانه لها ضالة ضائعة هلكت من جهة أنها ذهبت في المهالك ومن جهة أنها ذهبت في غير الجهة التي قصدت لها فبطلت منفعتها المقصودة منها فصارت هي باطلة، فأذْهِبوا أنتم أرواحهم الحسية بأن تبطلوا صورهم وأشباحهم بأن تقطعوا أوصالهم وأنتم في غاية الاجتراء عليهم، فإن ربهم الذي أوجدهم قد أبطلهم وأذن لكم في إبطالهم، فإنه قد علم أنه لا صلاح لهم، والمؤذي طبعاً يقتل شرعاً، فمن قدرتم على قتله فهو محكوم بكفره، محتوم بخيبته وخسره »[1].

3- السعدي: « ((أضل)) الله ((أعمالكم)) أي: أبطلها وأشقاهم بسببها، وهذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق وأولياء الله، أن الله [illegible] »[2].

وبنحو ذلك قال كل من نظام الدين النيسابوري[3]، وابن جزي[4]، وأبي حيان[5]، وابن عاشور[6].

ب- الفئة الثانية هم الذين ذكروا القولين فقط دون ربط بينهما، معتبرين إياهما معاً تفسيراً للآية، منهم:

1- النسفي: « ((أضل أعمالهم)) أبطلها وأحبطها، وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل، وأعمالهم ما عملوه في كفرهم من

---

[1] () نظم الدرر للبقاعي (18/195).
[2] () تيسر الكريم الرحمن للسعدي ص(784).
[3] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/21).
[4] () التسهيل لابن جزي (4/83).
[5] () البحر المحيط لأبي حيان (9/458).
[6] () التحرير والتنوير لابن عاشور (26/74).

صلة الأرحام وإطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام. أو ما عملوه من الكيد لرسول الله ﷺ، والصد عن سبيل الله »[1].

2- البيضاوي: « ((أضل أعمالهم)) جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الأسارى وحفظ الجوار ضالة أي ضائعة محيطة بالكفر أو مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن. أو ضلالاً حيث لم يقصدوا به وجه الله تعالى. أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله وإظهار دينه على الدين كله »[2].

3- الشوكاني: « ((أضل أعمالهم)) أي أبطلها وجعلها ضائعة. قال الضحاك: معنى ((أضل أعمالهم)) أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم في كفرهم. وقيل: أبطل ما عملوه في الكفر مما يسمونه مكارم أخلاق؛ من صلة الأرحام، وفكّ الأسارى، وقرى الأضياف، وهذه وإن كانت باطلة من أصلها، لكن المعنى أنه سبحانه حكم ببطلانها »[3].

وبنحو ذلك قد جاء كلام كل من البغوي[4]، والزمخشري[5]، والقرطبي[6]، والخازن[7]، والقنوجي[8].

تعقيب الباحث:

باستعراض أقوال المفسرين حول بيان المراد بـ ((أضل أعمالهم))، يظهر -والله أعلم- صحة إرادة المعنيين المذكورين وذلك بحمل اللفظ على العموم وشموله لكل ما يندرج تحته من أعمال. وذلك أن كلا المعنيين؛ سواء قيل إن أعمال الكفار الحسنة التي عملوها في الدنيا من بِرّ وصلة ونحوها تبطل يوم القيامة فلا يكون لها أثر ينفعهم، قد دلت

---

[1] () مدارك التنزيل للنسفي (4/113).
[2] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/216).
[3] () فتح القدير للشوكاني (5/30).
[4] () مختصر البغوي (2/865).
[5] () الكشاف للزمخشري (4/307).
[6] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/223).
[7] () لباب التأويل للخازن (6/144).
[8] () فتح البيان للقنوجي (13/47).

على المعنى آيات أخرى -وقد سبق قريباً في موضع ترجيحي الكلام على قولـه تعالى: [سورة الأحقاف: 20]- ومنها قولــه تعـالى: [سورة إبراهيم: 18]، وقوله تعـالى: [سورة النور: 39]، قولـه تعالى: [سورة الفرقان: 23]. وأما أن يراد بالآية إبطال ما يكيدون بـه النـبي ، فقد دلت عليـه أيضاً آيـات أخـرى؛ كقـوله تعـالى: [سورة الأنفـال: 30]، وقـوله تعـالى: [سورة فاطر: 10]، وقوله تعالى: [سورة الطارق: 15-17]. وخير ما يفسر به القرآن القرآن[1]، فيصح حمـل قولــه ((أضـل أعمـالهم)) علـى العمـوم فيـراد جميـع المعاني. والله أعلم بالصواب.

المراد بوضع الحرب أوزارها

77- قولــه تعـالى:

[1]() شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

[سورة محمد: 4].

مجمل الأقوال الواردة:
1- ((حتى تضع الحرب أوزارها)): أي أثقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر ما يحتمل الإنسان، فسمى الأسلحة أوزاراً لأنها تحمل[1].
2- ((حتى تضع الحرب أوزارها)): الأوزار في هذه الآية الآثام، جمع وزر، لأن الحرب لابد أن يكون فيها آثام في أحد الجانبين[2].
3- ((حتى تضع الحرب أوزارها)): حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا، أو يسالموا[3].
4- ((حتى تضع الحرب أوزارها)): حتى يظهر الإسلام على الدين كله.
5- ((حتى تضع الحرب أوزارها)): يعني حتى ينزل عيسى ابن مريم -عليه السلام-[4].

نظرة سريعة على مجمل الأقوال:
1- القول الأول فسر فيه لفظ (الأوزار) فقط، على أن الأوزار هي آلات الحرب من السلاح والخيول ونحوها.
2- القول الثاني فسر فيه لفظ الأوزار على عموم الحرب، بمعنى أن أي حرب بين فريقين لابد أن يكون فيها جانب مصيب وجانب مخطئ، وهذا بصورة عامة وعليه فسر لفظ الأوزار هنا، وإلا فإن الحرب بين المسلمين والكفار واضح فيها أن الآثام على الكفار لعدم استجابتهم للدعوة إلى الإسلام.
3- القول الثالث يراد به أي حرب يخوضها المسلمون مع المشركين أو الكفار عموماً في أي منطقة، فإذا

---

[1] () مختصر البغوي (2/865).
[2] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/387).
[3] ()مختصر البغوي (2/865)، مدارك التنزيل للنسفي (4/114).
[4] () القولان رقم (4، 5) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون (5/293).

أسلم كفار تلك المنطقة بأن دخلوا في دين الإسلام، فقد وضعوا عن أنفسهم وزر الكفر، أو يسالموا بأن يدخلوا في الذمة.

4- القول الرابع مبني على عموم العلاقة مع الكفار، فإن المسلمين يقومون بواجب نشر الإسلام في الأرض، فإذا وقف في طريقهم من الكفار من يريد منع نشر الإسلام، قاتلوه، أما إذا أسلم أهل الأرض جميعاً ودخلوا في دين الإسلام ولم يبق كافر، فقد وضعت الحرب أوزارها.

5- وأما تفسير وضع الحرب أوزارها بنزول عيسى -ﷺ-، فمعلوم من النصوص الواردة في نزول عيس -ﷺ- وقتله للمسيح الدجال، يعيش الناس بعد ذلك تحت حكمه في أمن وأمان وإيمان، فلا كافر يقاتل ولا ذمّي تؤخذ منه الجزية[1]. والله أعلم.

ترجيح الشنقيطي:

[illegible] -[illegible]-: « [illegible] (([illegible])) [illegible] (([illegible])) [illegible] (([illegible])) [illegible].

وأظهر الأقوال في معنى وضع الحرب أوزارها أنه وضع السلاح، والعرب تسمي السلاح وزراً، وتطلق العرب الأوزار على آلات الحرب وما يساعد فيها كالخيل، ومنه قول الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكوراً[2]

وفي معنى أوزار الحرب أقوال أخر معروفة

---

[1] () انظر: أشراط الساعة ليوسف الوابل ص(337-364).

[2] () البيت في ديوان الأعشى، في قصيدة لـه مطلعها:

غَشِيتَ لليلى بليلٍ خدروا وطالبتها ونذرت النذورا

والأعشى هو: ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير، شاعر جاهلي، انظر: شرح ديوان الأعشى ص(89).

تركناها؛ لأن هذا أظهرها عندنا. والعلم عند الله تعالى »[1].

الشيخ الشنقيطي يرى إذاً أن المراد بوضع الحرب أوزارها يعني وضع السلاح، فالأوزار آلات الحرب من السلاح ونحوه، ووضع السلاح تعبير عن انتهاء الحرب.

الموافقون:

قال مثل قول الشنقيطي في بيان المراد بوضع الحرب أوزارها قلة من المفسرين، منهم:

1- القنوجي: « ((حتى تضع الحرب أوزارها)) أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها من السلاح والكراع[2]، والمعنى أن المسلمين مخيرون بين تلك الأمور الأربعة[3] إلى غاية هي أن لا تكون حرب مع الكفار بأن لا تبقى لهم شوكة »[4].

2- ابن عاشور: « والأوزار: الأثقال، ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل، فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمّال أو المسافر أثقاله »[5].

المخالفون:

وهم الأكثرية وقد جعلوا المراد بوضع الحرب أوزارها شاملاً لمعانٍ أكثر، فكل من سرد الأقوال عند تفسيره للآية، أو أوجد رابطة بين بعض الأقوال وبعضها، تفسّر بمجملها الآية، فإنهم يدخلون تحت هذا التصنيف، وأذكر أمثلة منهم وأشير إلى البقية:

1- الطبري: « وقوله ((حتى تضع الحرب أوزارها)) يقول تعالى ذكره فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها المشركين بالله بأن يتوبوا إلى

---

[1]() أضواء البيان للشنقيطي (7/422).

[2]() الكراع: اسم يجمع الخيل. القاموس المحيط للفيروزأبادي ص(980) باب العين فصل الكاف.

[3]() الضرب والشد، والمن والفداء.

[4]() فتح البيان للقنوجي (13/51).

[5]() التحرير والتنوير لابن عاشور (26/82).

الله [illegible] من شركهم فيؤمنوا به وبرسوله ويطيعوه في أمره ونهيه فذلك وضع الحرب أوزارها. وقيل: حتى تضع الحرب أوزارها، والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها، وقيل: معنى ذلك حتى يضع المحارب أوزاره »[1].

2- [illegible] »[2].

3- النيسابوري: « ((حتى تضع الحرب أوزارها)) أهل الحرب آثامها، فلا يبقى إلا مسلم أو مسالم. أو أوزارها: أثقالها من الكراع والسلاح »[3].

4- ابن كثير: « ((حتى تضع الحرب أوزارها)) حتى لا يبقى شرك، وهذا كقوله تعالى [illegible] [سورة البقرة: 193]، ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أي أوزار المحاربين وهم المشركون بأن يتوبوا إلى الله [illegible]، وقيل أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى »[4].

5- [illegible] »[5].

6- البقاعي: « ((حتى تضع الحرب أوزارها)) وهي أثقالها، أي الآلات التي تثقل القائمين بها من النفقات

---

[1] () جامع البيان للطبري (26/27).
[2] () الوجيز للواحدي (2/1001).
[3] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/193).
[4] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/173).
[5] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/216).

والسلاح والكراع ونحوه، وذلك لا يكون وفي الأرض كافر، وذلك على زمن عيسى عليه الصلاة والسلام حين تخرج الأرض بركاتها، وتكون الملة واحدة وهي الإسلام لله رب العالمين »[1].

ونحو أقوال المذكورين جاءت أقوال كل من الماوردي[2]، والبغوي[3]، والنسفي[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[6]، وابن الجوزي[7]، والفخر الرازي[8]، والقرطبي[9]، والخازن[10]، ونظام الدين النيسابوري[11]، وابن جزي[12]، وأبي حيان[13]، والثعالبي[14]، والقاسمي[15].

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن المراد بوضع الحرب أوزارها أحد المعاني الآتية:

1- القول الأول في مجمل الأقوال، وهو أن أوزار الحرب هي آلاتها وأثقالها من السلاح والخيول ونحوها، فالأمر من الله لعباده المؤمنين بأن يقاتلوا الكفار، بعد [illegible]

---

[1] () نظم الدرر للبقاعي (18/205).
[2] () النكت والعيون للماوردي (5/293).
[3] () مختصر البغوي (2/865).
[4] () مدارك التنزيل للنسفي (4/114).
[5] () الكشاف للزمخشري (4/310).
[6] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/387).
[7] () زاد المسير لابن الجوزي (7/148).
[8] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/39).
[9] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/228).
[10] () لباب التأويل للخازن (6/146).
[11] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/23).
[12] () التسهيل لابن جزي (4/84).
[13] () البحر المحيط لأبي حيان (9/460).
[14] () جواهر الحسان للثعالبي (4/162).
[15] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5374).

[سورة الأنفال: 12]، وهي من أنكى ضربات الحرب لأنها تعطل من المضروب جميع جسده، إذ البنان أعظم آلة المقاتل وأصلها »[1]، وعلى المؤمنين أن يثخنوا الكفار بالقتل « والإثخان في القوم: أن يكثر فيهم القتلى والجرحى »[2]، ثم بعد ذلك يشدوا وثاق من بقي حياً من الكافرين ليقع أسيراً في يد المسلمين، وبالطبع عندما تنتهي الحرب أو المعركة سيضع المحاربون أسلحتهم وأثقالهم عن كاهلهم.

2- القول الثالث من مجمل الأقوال وهو أن يراد بوضع الحرب أوزارها؛ إسلام المشركين أو مسالمتهم، فهذا مبني على أن معنى أوزار الحرب: آثامها، فدخول كفار منطقةٍ ما في الإسلام أو رضاهم بدفع الجزية مع استسلامهم لحكم المسلمين، يكونوا قد رفعوا عن أنفسهم إثم الصدّ عن سبيل الله ، وإثم منع تبليغ دعوة الإسلام.

3- القولان الرابع والخامس في مجمل الأقوال، يدلان -عند حمل الآية عليهما- على دوام مقاتلة المسلمين للكفار إلى يوم القيامة، فإن المعارك بين الإسلام والكفر والحق والباطل لا تتوقف، بناءً على سنة التدافع

[سورة الحج: 40]، قال ابن عطية عند قوله تعالى ((حتى تضع الحرب أوزارها)) « وظاهر اللفظة أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبداً، وذلك أن الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تضع أوزارها، فجاء هذا اللفظ كما تقول: أنا أفعل كذا وكذا إلى

---

[1] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/386).
[2] () المرجع السابق.

يوم القيامة، وإنما تريد أنك تفعله دائماً »[3].

فالذي أراه صحة حمل الآية على ما ذكرته من المعاني. والله أعلم بالصواب.

□ □ □

[3] () المرجع السابق.

معنى قوله تعالى ﴿ ﴾

78- قولــه تعــالى: ﴿ ﴾ [سورة محمد: 35].

مجمل الأقوال الواردة:
1- (وأنتم الأعلون)، أن يكون في موضع الحال، والمعنى لا تهنــوا وتبــدءوا بطلــب الصــلح والمهادنــة وأنتــم الأعلــون، أي والحــال أنكــم أنتــم الأعلــون الأقهــرون الأغلبون لأعدائكم، وإن غلبوكم في بعض الأوقات[1].
2- ويحتمل أن يكون معنى (وأنتم الأعلون) إخبار بمغيَّب أبرزه الوجود بعد ذلك[2].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه اللــه-: « وقولــه تعــالى ((وأنتــم الأعلــون)) جملــة حاليــة أي فلا تضعفوا عن قتال الكفار وتـدعوا إلـى إسلم، أي تبـدءوا بطلـب السـلم أي الصـلح والمهادنـة وأنتـم الأعلـون. أي والحــال أنكــم أنتــم الأعلــون أي الأقهــرون الأغلبــون لأعدائكم، ولأنكم ترجون من الله ﴿ مــن النصــر والثــواب ما لا يرجون.
وهــذا التفســير فــي قولــه ((وأنتــم الأعلــون)) هــو الصواب. وتدل عليه آيات مـن كتـاب اللـه، كقـوله تعـالى بعده ((والله معكم)) لأن من كان الله ﴿ معــه هــو الأعلــى وهو الغالب وهو القـاهر المنصـور الموعـود بـالثواب، فهـو جدير بأن لا يضعف عن مقاومة الكفار ولا يبـدأهم بطلـب الصـلح والمهادنـة. وكقـوله تعـالى ﴿ ﴾ [سـورة الصـافات: 173]، وقولــه تعــالى ﴿ ﴾

---

[1]() المحرر الـوجيز لابـن عطيـة (13/421)، زاد المسـير لابـن الجـوزي (7/156)، أضواء البيان للشنقيطي (7/596).
[2]() المحرر الوجيز لابن عطية (13/422).

[سورة غافر: 51]، وقوله [سورة الروم: 47]، وقوله تعالى [سورة التوبة: 14].

ومما يوضح معنى آية القتال هذه قوله تعالى [سورة النساء: 104]؛ لأن قوله تعالى ((وترجون من الله ما لا يرجون)) من النصر الذي وعدكم الله به والغلبة وجزيل الثواب، وذلك كقوله هنا ((وأنتم الأعلون)). وقوله ((والله معكم)) أي بالنصر والإعانة والثواب »[1].

الموافقون:

جمهور من المفسرين ذهبوا في بيان معنى الآية إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي، منهم:

1- الطبري: « وقوله تعالى ((وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون)) يقول لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم ((والله معكم)) يقول والله معكم بالنصر لكم عليهم »[2].

2- الواحدي[3].

3- البغوي: « ((فلا تهنوا)) لا تضعفوا ((وتدعوا إلى السلم)) أي لا تدعوا إلى الصلح ابتداء، منع الله المسلمين أن يدعوا ألكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا ((وأنتم الأعلون)) الغالبون »[4].

4- النسفي[5]. 5- الزمخشري[6]. 6- ابن

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/596).
[2] () جامع البيان للطبري (26/40).
[3] () الوجيز للواحدي (2/1005).
[4] () مختصر البغوي (2/870).
[5] () مدارك التنزيل للنسفي (4/118).
[6] () الكشاف للزمخشري (4/321).

الجوزي[1].
7- الفخر الرازي[2].
8- الخازن: « ((وتدعوا إلى السلم)) يعني ولا تدعوا الكفار إلى الصلح أبداً، منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا ((وأنتم الأعلون)) يعني وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم، أخبر الله تعالى أن الأمر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم، وإن غلبوا المسلمين في بعض الأوقات، ((والله معكم)) يعني بالنصر والمعونة، ومن كان الله معه فهو العالي الغالب »[3].
9- نظام الدين النيسابوري[4]. 10- ابن جزي[5].
11- أبوحيان[6].
12- البيضاوي[7]. 13- المحلي[8].
14- الثعالبي[9].
15- البقاعي: « ((فلا تهنوا)) أي تضعفوا ضعفاً يؤدي بكم إلى الهوان والذل ((وتدعوا)) أي أعداءكم ((إلى السلم)) أي المسالمة وهي الصلح ((وأنتم)) أي والحال أنكم ((الأعلون)) على كل من ناوأكم... »[10].
16- الشوكاني[11]. 17- القنوجي[12].
18- القاسمي[13].
19- [illegible]: « ((فلا تهنوا)) [illegible] »

---

[1]() زاد المسير لابن الجوزي (7/156).
[2]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/61).
[3]() لباب التأويل للخازن (6/155).
[4]() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/34).
[5]() التسهيل لابن جزي (4/90).
[6]() البحر المحيط لأبي حيان (9/476).
[7]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/217).
[8]() تفسير الجلالين ص(430).
[9]() جواهر الحسان للثعالبي (4/170).
[10]() نظم الدرر للبقاعي (18/263).
[11]() فتح القدير للشوكاني (5/42).
[12]() فتح البيان للقنوجي (13/78).
[13]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5391).

[illegible]

20- سيد قطب[2]. 21- ابن عاشور[3].

[illegible]

ولم يخالف أحد هنا فلا يوجد مخالفون.

تعقيب الباحث:

الظاهر -والله أعلم- أن الراجح في معنى الآية هو ما رجحه الشيخ الشنقيطي، متفقاً في ذلك مع ما ذهب إليه جمهور المفسرين، يدل لذلك أمور:

1- دلالة آيات من القرآن الكريم عليه، وقد سبق ذكرها تحت (ترجيح الشنقيطي)، ولا مانع من إعادتها، فمنها قوله تعالى [illegible] [سورة التوبة: 14]، وقوله تعالى [illegible] [سورة الروم: 47]، وقوله تعالى [illegible] [سورة الصافات: 173]، وقوله تعالى [illegible] [سورة غافر: 51]. وهذا من نوع تفسير القرآن بالقرآن أفضل وأقوى أنواع التفسير[4].

2- إجماع جمهور المفسرين عليه دليل على قوته وترجيحه، مع عدم وجود مخالف رجّح قولاً غيره.

3- القول الثاني وهو أن الآية قد يراد بها الإخبار بمغيب

---

[1]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(790).

[2]() في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3302).

[3]() التحرير والتنوير لابن عاشور (26/131).

[4]() شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

أبرزه الوجود بعد ذلك، لا يبدو لي هذا القول غريباً عن الأول، بل هو يدخل تحته، فطالما أن الله قد أخبر عباده المؤمنين أنه معهم وناصرهم، وأنهم هم الأعلون القاهرون الغالبون لغيرهم من المِلَل والنِحَل، فإنهم وإن غُلبوا في بعض الأوقات فإن العاقبة الحسنة بالفوز والظفر لا بد وأن تكون لهم طالما وعدهم الله ، أنهم هم الأعلون. والله أعلم بالصواب.

المراد بالفتح

79- قوله تعالى: [illegible] [سورة الفتح: 1].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف في بيان المراد بالفتح المذكور في الآية على أقوال:

1- أنه ما كان يوم الحديبية من صلح.

2- أن هذا الفتح فتح مكة، والمعنى أنه وُعد بفتح مكة بهذه الآية.

3- أنه فتح خيبر.

4- ((إنا فتحنا..)) أي حكمنا لك بإظهار دينك والنصرة على عدوّك[1].

ترجيح الشنقيطي:

[illegible] «:- [illegible] – [illegible] (([illegible])) [illegible].

وإيضاح ذلك أن الصلح المذكور؛ هو السبب الذي تهيأ به للمسلمين أن يجتمعوا بالكفار فيدعوهم إلى الإسلام وبينوا لهم محاسنه، فدخل كثير من قبائل العرب بسبب ذلك في الإسلام، ومما يوضح ذلك أن الذين شهدوا صلح الحديبية مع النبي ﷺ في ذي القعدة عام ست كانوا ألفاً وأربعمائة، ولما أراد النبي ﷺ غزو مكة حين نقض الكفار العهد، كان خروجه إلى مكة في رمضان عام ثمان، وكان معه عشرة آلاف مقاتل، وذلك يوضح أن الصلح المذكور من أعظم الفتوح لكونه سبباً لقوة المسلمين وكثرة عددهم.

وليس المراد بالفتح المذكور فتح مكة، وإن قال بذلك جماعة من أهل العلم. وإنما قلنا ذلك لأن أكثر أهل العلم على ما قلنا، ولأن ظاهر القرآن الكريم يدل عليه لأن سورة الفتح هذه نزلت بعد صلح الحديبية في طريقه

---

[1] () الأقوال (1، 2، 3، 4) ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (7/159).

 راجعاً إلى المدينة، ولفظ الماضي في قوله (إنا فتحنا) يدل على أن ذلك الفتح قد مضى، فدعوى أنه فتح مكة ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين خلاف الظاهر. والآية التي في فتح مكة دلت على الاستقبال لا على المضي، وهي قوله تعالى [ ] [سورة النصر: 1] »[1].

إذاً الشيخ الشنقيطي يرى مثل جمهور المفسرين أن الفتح المراد في أول سورة الفتح هو صلح الحديبية.

الموافقون:

إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي قد ذهب عدد كبير من المفسرين وأن المراد بالفتح هو صلح الحديبية، منهم:

1- البغوي[2].
2- ابن عطية[3].
3- النيسابوري[4].
4- القرطبي[5].
5- الخازن[6].
6- نظام الدين النيسابوري[7].
7- ابن جزي[8].
8- ابن كثير[9].
9- الثعالبي[10].
10- الشوكاني[11].
11- القنوجي[12].
12- القاسمي[13].

---

[1]() أضواء البيان للشنقيطي (7/603).
[2]() مختصر البغوي (2/871).
[3]() المحرر الوجيز لابن عطية (13/429).
[4]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/196).
[5]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/261).
[6]() لباب التأويل للخازن (6/157).
[7]() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/39).
[8]() التسهيل لابن جزي (4/92).
[9]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/182).
[10]() جواهر الحسان للثعالبي (4/172).
[11]() فتح القدير للشوكاني (5/46).
[12]() فتح البيان للقنوجي (13/85).
[13]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5395).

13- السعدي[1].

المخالفون:

ويمكن تصنيفهم إلى أكثر من فئة:

أ- الذين رجّحوا أن الفتح المذكور في الآية يراد به فتح مكة، منهم:

1- الزمخشري[2]. 2- الفخر الرازي[3].

3- أبوحيان [4]. 4- المحلي[5].

ب- من رجّح أن معنى الآية: ((إنا فتحنا)) أي حكمنا لك بإظهار دينك والنصرة على عدوّك، ورجّح هذا الواحدي[6].

تعقيب الباحث:

الظاهر-والله أعلم- أن المراد بالفتح هنا في أول سورة الفتح هو صلح الحديبية،يدل لذلك أمور:

1- إجماع الجمهور عليه، فصرّح بأنه قول « الجمهور » ابن عطية[7]، ونظام الدين النيسابوري[8] والثعالبي[9] والشنقيطي[10]، وابن عاشور[11]، وبأنه قد « قاله

---

[1]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(791).
[2]() الكشاف للزمخشري (4/323).
[3]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/65).
[4]() البحر المحيط لأبي حيان (9/482).
[5]() تفسير الجلالين ص(430).
[6]() الوجيز للواحدي (2/1007).
[7]() المحرر الوجيز لابن عطية (13/429).
[8]() غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/39).
[9]() جواهر الحسان للثعالبي (4/172).
[10]() أضواء البيان للشنقيطي (7/603).
[11]() التحرير والتنوير لابن عاشور (26/145).

الأكثرون » ابن الجوزي[1] والقرطبي[2] والشوكاني[3] والقنوجي[4]، وبأنه هو « الأصح » أو « الصحيح » ابن عطية[5] والخازن[6] وابن جزي[7] والثعالبي[8]، وأنه هو « الأرجح » الشوكاني[9]، والقنوجي[10].

ولا شك أن إجماع جمهور المفسرين على تفسير يرجحه على غيره[11].

2- بناء على قاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير[12]. فإن الوارد في سبب نزول سورة الفتح يؤيد أنها نزلت بعد صلح الحديبية وفي شأن ذلك الصلح، يقول ابن عطية: « ... نزلت السورة مؤنسة للمؤمنين لأنهم كانوا استوحشوا من ردّ قريش لهم، ومن تلك المهادنة التي هادنهم النبي ﷺ، فنزلت السورة[13]

---

[1]() زاد المسير لابن الجوزي(7/159).
[2]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/261).
[3]() فتح القدير للشوكاني (5/46).
[4]() فتح البيان للقنوجي (13/85).
[5]() المحرر الوجيز لابن عطية (13/429).
[6]() لباب التأويل للخازن (6/157).
[7]() التسهيل لابن جزي (4/92).
[8]() جواهر الحسان للثعالبي (4/172).
[9]() فتح القدير للشوكاني (5/46).
[10]() فتح البيان للقنوجي (13/85).
[11]() قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/288).
[12]() المرجع السابق (1/258).
[13]() الأحاديث الواردة في شأن الحديبية وما حصل فيها من مواقف والصلح الذي أبرم، أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما، انظر: فتح الباري (5/329)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكذلك (7/439-458) كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، وكذلك (8/582) كتاب التفسير، باب (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً). وصحيح مسلم بشرح النووي (12/135-143) كتاب الجهاد والسير - صلح الحديبية. وجامع الأصول في أحاديث الرسول (8/286-332) تحت حرف الغين الكتاب الأول: في الغزوات والسرايا والبعوث.

مؤنسة لهم في صدّهم عن البيت، ومُذهبةً ما كان في قلوبهم ،ومنه حديث عمر -- الشهير، وما قال للنبي ولأبي بكر --، واستقبل رسول الله في تلك السَّفرة أنه هادن عَدُوَّه ريثما يتقوّى هو، وظهرت على يديه آية الماء في بئر الحديبية حيث وضع فيه سهمه وثاب الماء حتى كفى الجيش، واتفقت بيعة الرضوان، وهي الفتح الأعظم، وبلغ هديه محلّه، واستقبل فتح خيبر، وامتلأت أيدي المؤمنين خيراً، واتفقت في ذلك الوقت ملحمة عظيمة بين الروم وفارس ظهرت فيها الروم فكانت من جملة الفتح على رسول الله ، وسرَّ بها هو والمسلمون لظهور أهل الكتاب على المجوس وانخضاد الشوكة العظمى من الكفر »[1].

3- البناء اللغوي للآية يدل أيضاً على إرادة صلح الحديبية بالفتح المذكور، وذلك أن « لفظ الماضي في قوله ((إنا فتحنا)) يدل على أن ذلك الفتح قد مضى، فدعوى أنه فتح مكة ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين خلاف الظاهر »[2] و « الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل »[3].

4- فائدة: لخّص صاحب كتاب الرحيق المختوق[4] بنود معاهدة صلح الحديبية، فقال: « ... قواعد الصلح، وهذه هي:

1- الرسول يرجع من عامه، فلا يدخل مكة، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً، معهم سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا يتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض.
2- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس،ويكف بعضهم عن بعض.
3- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش

---

[1] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/429) بتصرف يسير.
[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/603).
[3] () قواعد التفسير لخالد السبت (2/843).
[4] () هو الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق.

4- من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه -أي هارباً منهم- رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد -أي هارباً منه- لم يرد عليه »[1].

ثم حاول سبر أغوار بنود هذه المعاهدة، ليبين بعض ما اشتملت عليه من معاني الفتح العظيم الذي هيأه الله لعباده المؤمنين بسبب هذه المعاهدة، فقال: « هذا هو صلح الحديبية، ومن سبر أغوار بنوده مع خلفياته لا يشك أنه فتح عظيم للمسلمين، فقريش لم تكن تعترف بالمسلمين أي اعتراف، بل كانت تهدف استئصال شأفتهم، وتنتظر أن تشهد يوماً ما نهايتهم، وكانت تحاول بأقصى قوتها الحيلولة بين الدعوة الإسلامية، وبين الناس، بصفتها ممثلة الزعامة الدينية والصدارة الدنيوية في جزيرة العرب، ومجرد الجنوح إلى الصلح اعتراف بقوة المسلمين، وأن قريشاً لا تقدر على مقاومتهم، ثم البند الثالث يدل بفحواه على أن قريشاً نسيت صدارتها الدنيوية وزعامتها الدينية، وأنها لا تهمها الآن إلا نفسها، أما سائر الناس وبقية جزيرة العرب فلو دخلت في الإسلام بأجمعها، فلا يهم ذلك قريشاً، ولا تتدخل في ذلك بأي نوع من أنواع التدخل. أليس هذا فشلاً ذريعاً بالنسبة إلى قريش؟ وفتحاً مبيناً بالنسبة إلى المسلمين؟ إن الحروب الدامية التي جرت بين المسلمين وبين أعدائهم لم تكن أهدافها -بالنسبة إلى المسلمين- مصادرة الأموال وإبادة الأرواح، وإفناء الناس، أو إكراه العدو على اعتناق الإسلام، وإنما كان الهدف الوحيد الذي يهدفه المسلمون من هذه الحروب، هو الحرية الكاملة للناس في العقيدة والدين [سورة الكهف: 29] . لا يحول بينهم وبين ما يريدون أي قوة من القوات، وقد حصل هذا الهدف بجميع أجزائه ولوازمه،

---

[1] () الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص(455).

وبطريق ربما لا يحصل بمثله في الحروب مع الفتح المبين، وقد كسب المسلمون لأجل هذه الحرية نجاحاً كبيراً في الدعوة، فبينما كان عدد المسلمين لا يزيد على ثلاثة آلاف قبل الهدنة صار عدد الجيش الإسلامي في سنتين عند فتح مكة عشرة آلاف.

أما البند الثاني فهو جزء ثان لهذا الفتح المبين، فالمسلمون لم يكونوا بادئين بالحروب، وإنما بدأتها قريش، يقول الله تعالى: [illegible] [سورة التوبة: 13]، أما المسلمون فلم يكن المقصود من دورياتهم العسكرية إلا أن تفيق قريش عن غطرستها وصدها عن سبيل الله، وتعمل معهم بالمساواة، كل من الفريقين يعمل على شاكلته، فالعقد بوضع الحرب عشر سنين حد لهذه الغطرسة والصد، ودليل على فشل من بدأ بالحرب وعلى ضعفه وانهياره.

[illegible]

أعطت قريش هذه الخلال الثلاث للمسلمين، وحصلت بإزائها خلة واحدة فقط، وهي ما في البند الرابع، ولكن تلك الخلة تافهة جداً، ليس فيها شيء يضر بالمسلمين، فمعلوم أن المسلم ما دام مسلماً لا يفر عن الله ورسوله، وعن مدينة الإسلام، ولا يفر إلا إذا ارتد عن الإسلام ظاهراً أو باطناً، فإذا ارتد فلا حاجة إليه للمسلمين، وانفصاله من المجتمع الإسلامي خير من بقائه فيه، وهذا الذي أشار إليه رسول الله بقوله: « إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله »[1]. وأما من أسلم من أهل مكة فهو وإن لم يبق للجوئه إلى المدينة سبيل لكن أرض الله واسعة، ألم تكن الحبشة واسعة للمسلمين حينما لم يكن يعرف أهل المدينة عن الإسلام شيئاً؟ وهذا الذي أشار إليه النبي بقوله: « ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً »[2].

---

[1]() صحيح مسلم بشرح النووي (12/139)، كتاب الجهاد والسير، صلح الحديبية.

[2]() المرجع السابق.

والأخذ بمثل هذا الاحتفاظ، وإن كان مظهر الاعتزاز لقريش، لكنه في الحقيقة ينبيء عن شدة انزعاج قريش وهلعهم وخورهم. وعن شدة خوفهم على كيانهم الوثني. وكأنهم كانوا قد أحسوا أن كيانهم اليوم على شفا جرف هار. لا بد له من الأخذ بمثل هذا الاحتفاظ. وما سمح به النبي من أنه لا يسترد من فرَّ إلى قريش من المسلمين، فليس هذا إلا دليلاً على أنه يعتمد على تثبت كيانه وقوته كمال الاعتماد، ولا يخاف عليه من مثل هذا الشرط »[3]. والله أعلم بالصواب.

كيف يدخل المؤمنون والمؤمنات الجنة

80- قوله تعالى: [سورة الفتح: 5-6].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف المفسرون في بيان تعلق اللام في قوله ((ليدخل)) والمعنى المترتب عليه، على أقوال:

1- أن اللام متعلقة بقوله (يزدادوا)، أي يزدادوا... ليدخل ويعذب.

2- [illegible]... [illegible].

3- أو متعلقة بـ (ينصرك) أي نصرك الله بالمؤمنين... ليدخل ويعذب.

4- أو متعلقة بمحذوف يدل عليه ما قبله، تقديره: يبتلي

---

[3]() الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص(458).

بتلك الجنود من يشاء، فيقبل الخير أهله والشر ممن قضى له به... ليدخل ويعذب[1].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « أظهر الأقوال وأصحها في الآية أن اللام في قوله ((ليدخل)) متعلقة بقوله [illegible] [سورة الفتح: 4].

وإيضاح المعنى ((هو الذي أنزل السكينة)) أي السكون والطمأنينة إلى الحق في قلوب المؤمنين، ليزدادوا بذلك إيماناً لأجل أن يدخلهم بالطمأنينة إلى الحق وازدياد الإيمان، جنات تحري من تحتها الأنهار »[2].

إذاً كلام الشيخ الشنقيطي يعبّر عنه بالقول الأول من مجمل الأقوال الواردة.

الموافقون:

لقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي من تعلق اللام في ((ليدخل)) بالطمأنينة إلى الحق وازدياد الإيمان؛ عدد من المفسرين، منهم:

1- ابن عطية: « قوله تعالى ((ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)) معناه: فازدادوا وتلقّوا ذلك، فتمكن -بعد ذلك- قوله تعالى ((ليدخل المؤمنين)) أي بتكسُّبهم القبول لما أنزل الله تعالى عليهم »[3].

وبنحو هذا قال أيضاً:

2- البقاعي[4]. 3- ابن عاشور[5].

المخالفون:

المخالفون هنا أكثر من فئة:

---

[1] () ذكر الأقوال كلها (1، 2، 3، 4) الشوكاني في فتح القدير (5/47)، ورجح هو منها القول رقم (4).

[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/604).

[3] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/435).

[4] () نظم الدرر للبقاعي (18/287).

[5] () التحرير والتنوير لابن عاشور (26/151).

أ- من رجّح أن اللام متعلقة بـ ((إنا فتحنا)) وأن المعنى كأنه قال إنا فتحنا لك ما فتحنا... ليدخل ويعذب، ومن قال بهذا:
1- الطبري[1].
ب- من رجح أن اللام متعلقة بمحذوف، تقديره: يبتلي بتلك الجنود من يشاء، فيقبل الخير من أهله، والشر ممن قضي له به... ليدخل ويعذب، وممن قال بهذا:
1- المحلي[2]. 2- الشوكاني[3].
3- القنوجي[4].

تعقيب الباحث:
الظاهر -والله أعلم- أنه يجوز تعلق اللام في ((ليدخل)) بأي واحد من الاحتمالات المذكورة في مجمل الأقوال، وتوصلت لهذه النتيجة بأمور:
1- أنه ليس لدى أي واحد من الأقوال دليل قوي يرجحه هو فقط ويدفع ما سواه من الأقوال، وهي كلها مبنية على اجتهاد المفسر في استنباط ما يصلح أن تتعلق به اللام في ((ليدخل)).
2- أن من المفسرين من ذكر أن جميع الأقوال قد تصلح أن تكون متعلقاً لتلك اللام، وهو الإمام البيضاوي؛ فبعد أن ذكر الأقوال المحتملة فيما يصح أن تتعلق به لام ((ليدخل)) قال: «... أو جميع ما ذكر »[5].
3- الإمام البقاعي ذكر تعلق اللام بالسكينة وزيادة الإيمان، وربط هذا بالجهاد الذي يخوضه جنود الله المؤمنون في مواجهة الكفار نشراً للدين وإعلاءً لرايته، وبعد ابتلاء الله بتلك الجنود من يشاء يكون الفتح والنصر، يقول البقاعي: «... ولما دل على

---

[1] () جامع البيان للطبري (26/46).
[2] () تفسير الجلالين ص(431).
[3] () فتح القدير للشوكاني (5/47).
[4] () فتح البيان للقنوجي (13/90).
[5] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/220).

الفتح بالنصر وما معه، وعلل الدين بالسكينة، علل علة الدليل وهي ((ليزدادوا إيماناً)) وعلل ما دل عليه ملك الجنود من تدبيرهم، وتدبير الأكوان بهم بقوله تعالى -زيادة في السكينة- ((ليدخل)) أي بما أوقع في السكينة ((المؤمنين والمؤمنات)) الذي جبلهم جبلة خير بجهاد بعضهم ودخول بعضهم في الدين بجهاد المجاهدين، ولو سلط على الكفار جنوده من أول الأمر فأهلكوهم أو دمر عليهم بغير واسطة، لفات دخول أكثرهم الجنة، وهم من آمن منهم بعد صلح الحديبية، ((جنات)) أي بساتين لا يصل إلى عقولكم من وصفها إلا ما تعرفونه بعقولكم وإن كان الأمر أعظم من ذلك ((تجري)) ودلّ وقرّب وبعّض بقوله ((من تحتها الأنهار)) فأي موضع أردت أن تجري منه نهراً قدرت على ذلك؛ لأن الماء قريب من وجه الأرض مع صلابتها وحسنها، وإن كان الماء لا يطيب إلا بالقرار قال تعالى ((خالدين فيها)) أي لا إلى آخر »[1].

4- من وجدتهم من المفسرين ذكروا الأقوال المحتملة سرداً دون ترجيح قول على آخر، وجدتهم أكثر من الموافقين وجدهم أو المخالفين وجدهم أو يقارب عدد المجموعتين معاً، فمنهم: الفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والخازن[4]، وأبوحيان[5]، والبيضاوي[6]، والقاسمي[7].

هذا ما ظهر لي، والله أعلم بالصواب.

□ □ □

---

[1] () نظم الدرر للبقاعي (18/287).
[2] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/69).
[3] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/264).
[4] () لباب التأويل للخازن (6/158).
[5] () البحر المحيط لأبي حيان (9/485).
[6] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/220).
[7] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5399).

المراد بالإيمان المنفي عن الأعراب

81- قوله تعالى: [ ] [سورة الحجرات: 14].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف في المراد بالإيمان المنفي عن الأعراب المذكورين في الآية، والإسلام المثبت لهم:

1- أن الإيمان المنفي عنهم في هذه الآية هو مسماه الشرعي الصحيح، والإسلام المثبت لهم فيها هو الاستسلام والانقياد باللسان والجوارح دون القلب.

2- أن المراد بنفي الإيمان في قوله ((لم تؤمنوا)): نفي كمال الإيمان، لا نفيه من أصله[1].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الأعراب وهم أهل البادية من العرب قالوا آمنا، وأن الله جل وعلا أمر نبيّه أن يقول لهم ((لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا))، وهذا يدل على نفي الإيمان عنهم وثبوت الإسلام لهم، وذلك يستلزم أن الإيمان أخص من الإسلام لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، ومعلوم أن مسمى الإيمان الشرعي الصحيح والإسلام الشرعي الصحيح هو استسلام القلب بالاعتقاد واللسان بالإقرار والجوارح بالعمل، فمؤداهما واحد كما يدل له قوله تعالى: [ ] [سورة الذاريات: 35-36].[2]

---

[1] () ذكرهما الشنقيطي في أضواء البيان (7/637).

[2] () يقول ابن كثير: « احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة فمن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين. وعندنا

وإذا كان ذلك كذلك فإنه يحتاج إلى بيان وجه الفرق بين الإيمان والإسلام في هذه الآية الكريمة؛ لأن الله نفى عنهم الإيمان دون الإسلام، ولذلك وجهان معروفان عند العلماء، أظهرهما عندي أن الإيمان المنفي عنهم في هذه الآية هو مسماه الشرعي الصحيح، والإسلام المثبت لهم فيها هو الإسلام اللغوي الذي هو الاستسلام ولانقياد بالجوارح دون القلب. وإنما ساغ إطلاق الحقيقة اللغوية هنا على الإسلام مع أن الحقيقة الشرعية مقدمة على اللغوية على الصحيح؛ لأن الشرع الكريم جاء باعتبار الظاهر، وأن توكل السرائر إلى الله ، فانقياد الجوارح في الظاهر بالعمل واللسان بالإقرار يكتفي به شرعاً، وإن كان القلب منطوياً على الكفر، ولهذا ساغ إرادة الحقيقة اللغوية في قوله ((ولكن قولوا أسلمنا)) لأن انقياد اللسان والجوارح في الظاهر إسلام لغوي مكتفى به شرعاً عن التنقيب عن القلوب، وكل انقياد استسلام وإذعان يسمى إسلاماً لغة. ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل مسلم الجاهلية[3]:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما استوت شددها ... جميعاً وأرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذباً زلالا

أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال ». تفسير القرآن العظيم (4/236).

[3]() زيد بن عمرو بن نفيل العدوي -والد سعيد بن زيد أحد العشرة- قال ابن حجر: ذكره البغوي وابن منده وغيرهما في الصحابة، وفيه نظر لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين، وأخرج البخاري من طريق سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: خرج زيد بن عمرو إلى الشام يسأل عن الدين فاتفق له علماء اليهود والنصارى على أن الدين دين إبراهيم ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً فقال ورفع يديه اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم، وفي مسند الطيالسي (1/190) عن سعيد بن زيد أنه قال للنبي

إذا هي سيقت إلى بلدة أطاعت فصبت عليها وأسلمت وجهي سجالا لمن أسلمت له الريح تصرف حالا فحالا

فالمراد بالإسلام في هذه الأبيات الاستسلام والانقياد، وإذا حمل الإسلام في قوله ((ولكن قولوا أسلمنا)) انقدنا واستسلمنا بالألسنة والجوارح، فلا إشكال في الآية.

وعلى هذا القول فالأعراب المذكورون منافقون، لأنهم مسلمون في الظاهر، وهم كفار في الباطن.

الوجه الثاني: أن المراد بنفي الإيمان في قوله ((لم تؤمنوا)) نفي كمال الإيمان، لا نفيه من أصله. وعليه فلا إشكال أيضاً لأنهم مسلمون مع أن إيمانهم غير تام، وهذا لا إشكال فيه عند أهل السنة والجماعة القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص.

وإنما استظهرنا الوجه الأول، وهو أن المراد الإسلام معناه اللغوي دون الشرعي، وأن الأعراب المذكورين كفار في الباطن وإن أسلموا في الظاهر؛ لأن قوله جل وعلا: ((ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)) يدل على ذلك دلالة كما ترى، لأن قوله ((يدخل)) فعل في سياق النفي وهو من صيغ العموم، وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود:

ونحو لا شربت أو إن شربا واتفقوا إن مصدر قد جلبا[1]

فقوله: ((ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)) في معنى لا دخول للإيمان في قلوبكم. والذين قالوا بالثاني قالوا إن المراد بنفي دخوله نفس كماله. والأول أظهر كما ترى.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((قالت الأعراب)) المراد به بعض الأعراب، وقد استظهرنا أنهم منافقون لدلالة القرآن على ذلك، وهم من جنس

---

[1]() البيت من منظومة (مراقي السعود) في أصول الفقه، لعبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي. انظر: نشر البنود على مراقي السعود، وهو شرح له للمنظومة (1/219).

الأعـراب الـذين قـال اللـه فيهـم [illegible]
[سورة التوبة: 98]، وإنما قلنـا إن المـراد بعض الأعراب في هذه الآية؛ لأن الله [illegible] بين فـي موضـع آخر أن منهم من ليس كذلك، وذلك في قولـــه تعـالى [illegible]
[سورة التوبة: 99] »[1].

خلاصة: يرى الشيخ الشنقيطي أن الإيمان المنفـي عن الأعراب هو الإيمان بمسماه الشرعي الصحيح الـذي هو اعتقاد القلب وإقرار اللسان وعمل الجوارح. والإسلام المثبـت لهـم هـو الإسـلام اللغـوي الـذي هـو الاستسـلام والانقيـاد بـالجوارح دون القلـب. وعليـه فهـؤلاء الأعـراب المـذكورون فـي الآيـة منـافقون؛ لأنهـم مسـلمون فـي الظاهر، وهم كفار في الباطن.

الموافقون:

الجمهـور مـن المفسـرين رجحـوا مثـل ترجيـح الشنقيطي في بيـان معنـى الآيـة، وسـأذكر كلام بعضـهم وأشير إلى البقية اختصاراً، فمنهم:

1- الواحدي: « ((قالت الأعراب آمنا)) نزلت في نفـر مـن بني أسد[2] قدموا المدينة في سـنة جدبـة بـذراريِّهم، وأظهـروا كلمـة الشـهادة، ولـم يكونـوا مـؤمنين فـي السرِّ، فقال الله تعالى ((قل لم تؤمنوا ولكـن قولـوا أسلمنا)) أي: لم تصدقوا الله ورسوله بقلوبكم، ولكن أظهرتم الطاعة مخافة القتل والسَّـبي ((ولمَّـا يـدخل الإيمـان فـي قلـوبكم وإن تطيعـوا اللـه ورسـوله))

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/636-639).

[2] () أسد، اسم لعدة قبائل، منهم أسد بـن عبـدالعزى بـن قصـي بـن كلاب، ومنهم: أسد بن خزيمة بـن مدركـة بـن إليـاس بـن مضـر. ويظهـر لـي أن المقصود هنا هي القبيلة الثانية لشهرتهم وكونهم أعرابـاً. انظـر: الأنسـاب للسمعاني (1/97)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص(190).

ظاهراً وباطناً ((لا يلتكم)) لا ينقصكم ((من)) ثواب ((أعمالكم شيئاً...)) »[1].

2- النيسابوري: « ((قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)) أي: وإن صاروا سلما بالشهادتين، فإنهم لم يصدقوا ولم يثقوا بما دخلوا فيه »[2].

3- القرطبي: « ومعنى ((ولكن قولوا أسلمنا)) أي استسلمنا خوف القتل والسبي، وهذه صفة المنافقين؛ لأنهم أسلموا في ظاهر إيمانهم ولم تؤمن قلوبهم، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب. وأما الإسلام فقبول ما أتى به النبي في الظاهر، وذلك يحقن الدم، ((وإن تطيعوا الله ورسوله)) يعني إن تخلصوا الإيمان ((لا يلتكم)) أي لا ينقصكم ((من أعمالكم شيئاً)) »[3].

4- البقاعي: « ولما كان الإيمان التصديق بالقلب فلا إطلاع عليه لآدمي إلا باطلاعه سبحانه فكانوا كاذبين في دعواه، قال ((قل)) أي تكذيباً لهم مع مراعاة الأدب في عدم التصريح بالتكذيب ((لم تؤمنوا)) أي لم تصدق قلوبكم لأنكم لو آمنتم لم تمنوا بإيمانكم لأن الإيمان التصديق بجميع ما لله من الكمال الذي منه أنه لولا منّه بالهداية لم يحصل الإيمان، فله ولرسوله -الذي كان ذلك على يديه- المن والفضل.

ولما كان التقدير ما كان الأصل في أن يكون الرد به وهو: فلا تقولوا آمنا. فإنه كذب، وعدل عنه للاحتراز عن النهي عن القول بالإيمان، عطف عليه ((ولكن قولوا)) لأنكم أسلمتم للدنيا لا للدين، وعدل عنه لئلا تكون شهادة لهم بالإسلام في الجملة ((أسلمنا)) أي أظهرنا الانقياد في الظاهر للأحكام الظاهرة فأمنا من أن نكون حرباً للمؤمنين وعوناً للمشركين، يقال: أسلم الرجل، إذا دخل في السلم، كما يقال: أشتى، إذا دخل في الشتاء، ولم يقل:

---

[1] () الوجيز للواحدي (2/1019).
[2] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/203).
[3] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/348).

ولكن أسلمتم، لما فيه من الشهادة لهم بالإسلام الملازم للإيمان المنفي عنهم، فكان يكون تناقضاً. والآية من الاحتباك[1]: نفي الإيمان الشرعي أولا يدل على إثبات الإسلام اللغوي ثانياً، والأمر بالقول بالإسلام ثانياً يدل على النهي عن القول بالإيمان أولاً »[2].

5- الشوكاني: « ((قالت الأعراب آمنا)) وهم بنو أسد أظهروا الإسلام في سنة مجدبة يريدون الصدقة، فأمر الله سبحانه رسوله أن يردّ عليهم فقال ((قل لم تؤمنوا)) أي لم تصدقوا تصديقاً صحيحاً عن اعتقاد قلب وخلوص نية وطمأنينة ((ولكن [illegible]

6- السعدي: « ... يخبر تعالى عن مقالة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله دخولاً من غير بصيرة، ولا قيام بما يجب ويقتضيه الإيمان، إنهم ادعوا مع هذا وقالوا: آمنا؛ أي إيماناً كاملاً مستوفياً لجميع أموره، هذا موجب هذا الكلام، فأمر الله رسوله أن يرد عليهم، فقال (قل لم تؤمنوا) أي لاتدّعوا لأنفسكم مقام الإيمان ظاهراً وباطناً كاملاً. ((ولكن قولوا أسلمنا)) أي دخلنا في الإسلام، واقتصروا على ذلك. ((و)) السبب في ذلك أنه ((لما يدخل الإيمان في قلوبكم)) وإنما آمنتم خوفاً أو رجاءً أو نحو ذلك مما هو السبب في إيمانكم، فلذلك لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم، وفي

---

[1] () الاحتباك عند أهل البلاغة: أن تذكر جملتان؛ في كل منهما متقابلان، ثم يختصر؛ أي يحذف من شقّي الجملة أي من طرفي كل واحدة من الجملتين ضد ما ذكر في الأخرى ويبقى منهما ضد ما حذف. انظر: عقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي (2/141).

[2] () نظم الدرر للبقاعي (18/385).

[3] () فتح القدير للشوكاني (5/69).

قوله ((ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)) أي: وقت هذا الكلام الذي صدر منكم، فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك، فإن كثيراً منهم منَّ الله عليهم بالإيمان الحقيقي، والجهاد في سبيل الله »[1].

- « : : «
 .( )
 .

وهم قالوا آمنا حين كانوا في شك لم يتمكن الإيمان منهم فأنبأهم الله بما في قلوبهم وأعلمهم أن الإيمان هو التصديق بالقلب لا بمجرد اللسان لقصد أن يخلصوا إيمانهم ويتمكنوا منه كما بينه عقب هذه الآية بقوله ((إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله)) الآية.

والاستدراك بحرف (ولكن) لرفع ما يتوهم من قوله (لم تؤمنوا) أنهم جاءوا مضمرين الغدر بالنبي . وإنما قال (ولكن قولوا أسلمنا) تعليماً لهم بالفرق بين الإيمان والإسلام فإن الإسلام مقرُّه اللسان والأعمال البدنية، وهي قواعد الإسلام الأربعة: الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج الكعبة الوارد في حديث عمر عن سؤال جبريل النبي عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحُج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » [2] فهؤلاء الأعراب لما جاءوا مظهرين الإسلام وكانت قلوبهم غير مطمئنة لعقائد الإيمان لأنهم حديثوا عهد به كذبهم الله في قولهم(آمنا) ليعلموا أنهم لم يخف باطنهم على الله ، وأنه لا يُعتد بالإسلام إلا إذا قارنه الإيمان، فلا يغني

---

[1] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(802).

[2] () أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، تعريف الإسلام والإيمان وأمارات الساعة، صحيح مسلم بشرح النووي (1/157).

أحدهما بدون الآخر، فالإيمان بدون إسلام عناد، والإسلام بدون إيمان نفاق، ويجمعهما طاعة الله ورسوله ﷺ.

وكان مقتضى ظاهر نظم الكلام أن يقال: قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم، أو أن يقال: قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا، ليتوافق المستدرك عنه والاستدراك بحسب النظم المتعارف في المجادلات، فعدل عن الظاهر إلى هذا النظم لأن فيه صراحة بنفي الإيمان عنهم فلا يحسبوا أنهم غالطوا رسول الله ﷺ.

واستغنى بقوله (لم تؤمنوا) عن أن يقال: لا تقولوا آمنا، لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن الإعلان بالإيمان لأنهم مطالبون بأن يؤمنوا ويقولوا آمنا قولاً صادقاً لا كاذباً فقيل لهم (لم تؤمنوا) تكذيباً لهم مع عدم التصريح بلفظ التكذيب ولكن وقع التعريض لهم بذلك بعد في قوله [illegible] إلى قوله [illegible] [سورة الحجرات: 15] أي لا أنتم ولذلك جيء بالاستدراك محمولاً على المعنى.

وعدل عن أن يقال: ولكن أسلمتم إلى (قولوا أسلمنا) تعريضاً بوجوب الصدق في القول ليطابق الواقع، فهم يشعرون بأن كذبهم قد ظهر، وذلك مما يُتعير به، أي الشأن أن تقولوا قولاً صادقاً »[1].

وأيضاً الإمام الطبري[2]، والبغوي[3]، والنسفي[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[6]، وابن الجوزي[7]،

---

[1] () التحرير والتنوير لابن عاشور (26/246).
[2] () جامع البيان للطبري (26/89).
[3] () مختصر البغوي (2/880).
[4] () مدارك التنزيل للنسفي (4/132).
[5] () الكشاف للزمخشري (4/366).
[6] () المحرر الوجيز لابن عطية (4/366).
[7] () زاد المسير لابن الجوزي (7/187).

والخازن[1]، ونظام الدين النيسابوري[2]، والبيضاوي[3]، والمحلي[4]، والثعالبي[5]، والقنوجي[6]، والقاسمي[7].

المخالفون:

لم أجد من خالف في هذا الموضع من الأئمة إلا:

1- [illegible]: « ... [illegible] »[8].

2- ابن كثير: « ... إن هؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا بمنافقين وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادّعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه فأدبوا في ذلك »[9].

تعقيب الباحث:

الظاهر-والله أعلم- أن ما ذهب إليه الشنقيطي والموافقون هو الراجح -إن شاء الله تعالى- من أن الأعراب المذكورين في الآية منافقون، والإيمان المنفي عنهم هو الإيمان بمسماه الشرعي الصحيح من اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، والإسلام المثبت لهم هو معناه اللغوي فقط المشتمل على قول اللسان والأعمال الظاهرة فقط، على ما يأتي بيانه:

---

[1] () لباب التأويل للخازن (6/192).
[2] () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (26/71).
[3] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/226).
[4] () تفسير الجلالين ص(436).
[5] () جواهر الحسان للثعالبي (4/193).
[6] () فتح البيان للقنوجي (13/154).
[7] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5471).
[8] () بدائع التفسير لابن القيم (4/184).
[9] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/219).

1- القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، وهذا أحسن وأقوى أنواع التفسير[1]، وقد دلت آيات من كتاب الله ﷻ على أن مِن الأعراب مَنْ أسلم في الظاهر وباطنه لا زال منطوياً على الكفر، بل ويكيد للإسلام والمسلمين وهو بينهم، يقول تعالى ﷻ [illegible] [سورة التوبة: 98]، وبالمقابل ذكر فريقاً آخر من الأعراب دخلوا في الإسلام وصدَّقوا وصَدَقوا في إيمانهم، قال تعالى ﷻ [illegible] [سورة التوبة: 99].

2- اتفاق الجمهور من المفسرين قديماً حديثاً عليه، وإجماع جمهور المفسرين على تفسير يرجحه على غيره[2].

3- مع ملاحظة أن القول الآخر قلةٌ من رجّحه لا توازي قوة القول الراجح.

4- علماً أنه لا يمنع أن يراد القول الآخر، والمراد به نفي كمال الإيمان لا نفيه من أصله، فإن هذا « لا إشكال فيه عند أهل السنة والجماعة القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص »[3].

5- ولكن القول الأول -ما رجّحه الجمهور- أظهر؛ لما سبق ذكره من أسباب. والله أعلم بالصواب.

❁ ❁ ❁

---

[1]() شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127)، قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).

[2]() قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/288)

[3]() أضواء البيان للشنقيطي (7/638).

ما هو القول الذي لا يبدل

82- قولـــه تعـالى ﴿ ﴾ [سورة ق: 14]، مـع قولـــه تعـالى: ﴿ ﴾ [سورة ق: 28-29].

مجمل الأقوال الواردة

اختلف في المراد بالقول الذي لا يبدل:

1- أن القول الذي لا يبدل هو الوعيد الذي قدم به إليهم في قولـه (كل كذب الرسل فحق وعيد)[1].

2- أن المراد بالقول الذي لا يبدل قولـه تعـالى ﴿ ﴾ [الأعراف: 18، هود: 119، السجدة: 13، ص: 85][2]. والقول الأول والثاني متشابهان تماماً.

3- وقيل معنى (ما يبدل القول لديّ): ما يكذب عندي ولا يغيّر القول عن جهته، لأني أعلم الغيب وأعلـم كيـف ضلّوا وكيف أضللتموهم[3].

4- وقيل: (ما يبدل القول لدي) فيما أوجّه من أمر ونهي.

5- أو فيما وعد به من طاعة ومعصية.

6- أو في أن الحسنة بعشر أمثالها.

7- أو بخمس الصلوات خمسين صلاة [4].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه اللـه-: « قولـه تعالى ((كلٌّ كذب الرسل فحق وعيد)) هذه الآيـة الكريمـة تـدل علـى أن مـن كـذب الرسـل يحـق عليـه العـذاب أي يتحتـم ويثبـت فـي حقـه ثبوتـاً لا يصـح معـه تخلفـه عنـه، فـإن تكـذيبهم الرسـل علـة صـحيحة لكـون

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/647).

[2] () جامع البيان للطبري (26/105).

[3] () زاد المسير لابن الجوزي (7/197)، ولم يرجحه.

[4] () الأقوال رقـم (4، 5، 6، 7) ذكرهـا المـاوردي فـي النكـت والعيـون (5/352)، ولخصها العز في اختصار النكت (3/224).

الوعيد بالعذاب حق ووَجَبَ عليهم.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات آخر؛ كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة [illegible] [سورة ق: 28-29]، والتحقيق أن المراد بالقول الذي لا يبدل لديه هو الوعيد الذي قدم به إليهم، وقولـه تعـالى فـي سـورة ص [illegible] [سورة ص: 14] »[1].

الموافقون:

كل من رجح في بيان المراد بالقول الذي لا يبدل حسب القولين الأول والثاني في مجمل الأقوال الواردة فإنه يصنف موافقاً للشنقيطي في ترجيحه؛ لأن القولين متشابهين والقائل بأحدهما قائل بالآخر، فمنهم:

1- الطبري: « وقوله ((كل كذب الرسل فحق وعيد)) يقول تعالى ذكره كل هؤلاء الذين ذكرناهم كذبوا رسل الله ﷺ الذين أرسلهم فحق وعيد، يقول فوجب لهم الوعيد الذي وعدناهم على كفرهم بالله ﷻ وحل بهم العذاب والنقمة، وإنما وصف ربنا جل ثناؤه ما وصف في هذه الآية من إحلاله عقوبته بهؤلاء المكذبين الرسل ترهيباً منه بذلك مشركي قريش وإعلاماً منه لهم أنهم إن لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ أنه مُحِل بهم من العذاب مثل الذي أحل بهم ». ويقول أيضاً: ((ما يبدل القول لدي..)) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيله للمشركين وقرناءهم من الجن يوم القيامة إذ تبرأ بعضهم من بعض، ما يغيّر القول الذي قلته لكم في الدنيا، وهو قوله [illegible] [هود: 119، السجدة: 13] ولا قضائي الذي قضيته فيهم فيها »[2].

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/647).

[2] () جامع البيان للطبري (26/98، 105).

2- الواحدي: « ((فحق وعيد)) وجب عليهم العذاب ». ويقول أيضاً: « ((لا تختصموا لدي وقد قمت إليكم بالوعيد)) حذّرتكم العقوبة في الدنيا على لسان الرسل ((ما يبدل القول لديَّ)) لا تبديل لقولي ولا خلف لوعدي ((وما أنا بظلام للعبيد)) فأعاقب بغير جرم »[1].

3- النسفي: « ((كل)) أي كل واحد منهم ((كذب الرسل)) لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميعهم ((فحق وعيد)) فوجب وحلّ وعيدي، وفيه تسلية لرسول الله وتهديد لهم ». ويقول أيضاً: « ((لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد)) أي لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب، فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجّة عليّ... ((ما يبدل القول لدي)) أي لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي بإدخال الكفار في النار »[2].

4- ابن عطية: « والوعيد الذي حق هو ما سبق به القضاء من تعذيب الكفرة وإهلاك الأمم المكذبة، وفي هذا تخويف من كذب محمداً » ويقول أيضاً - عند بيان معنى قوله تعالى ((ما يبدل القول لدي..))-: « المعنى: قد قدمت بالوعيد أني أعذب الكفار في ناري فلا يُبَدَّل القول لديّ ولا ينقض ما أبرمه كلامي »[3].

5- ابن كثير: « ((كل كذب الرسل)) أي كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذبت رسولهم ومن كذب رسولاً فكأنما كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا [سورة الشعراء: 105] وإنما جاءهم رسول واحد فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم ((فحق وعيد)) أي فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على

---

[1] () الوجيز للواحدي (2/1022، 1024).
[2] () مدارك التنزيل للنسفي (4/134، 136).
[3] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/538، 557).

التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك ». وقال أيضاً: « ... ((لا تختصموا لديّ)) أي عندي ((وقد قدمت إليكم بالوعيد)) أي قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبيانات والبراهين، ((ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد)) أي لست أعذب أحداً بذنب أحد، ولكن لا أعذب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه »[1].

6- الثعالبي: « والوعيد الذي حق هو ما سبق به القضاء من تعذيبهم ». وقال أيضاً: « ... وقوله سبحانه ((ما يبدل القول لدي)) أي لا ينقض ما أبرمه كلامي من تعذيب الكفرة، ثم أزال سبحانه موضع الاعتراض بقوله ((وما أنا بظلام للعبيد)) أي هذا عدل فيهم لأني أنذرت وأمهلت وأنعمت »[2].

7- السعدي: « ... فهؤلاء كلهم كذبوا الرسل، الذين أرسلهم الله إليهم، فحق عليهم وعيد الله وعقوبته، ولستم أيها المكذبون لمحمد خيراً منهم، ورسلهم أكرم على الله من رسولكم ، فاحذروا جرمهم، لئلا يصيبكم ما [illegible] ». [illegible] « ... ((ما يبدل القول لديّ)) أي لا يمكن أن يخلق ما قاله الله جل وأخبر به، لأنه لا أصدق من الله قيلاً، ولا أصدق حديثاً »[3].

[illegible]

---

[1] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/223، 226).
[2] () جواهر الحسان للثعالبي (4/195، 200).
[3] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(804، 806).
[4] () الكشاف للزمخشري (4/372، 378).
[5] () البحر المحيط لأبي حيان (9/532، 538).

[illegible] وسيد قطب[7]، وابن عاشور[8].

ولا يوجد مخالف للموافقين هنا. إلا أن بعض المفسرين جمعوا أكثر من قول عند بيانهم للمراد بالقول الذي لا يبدل، فمثلاً:

1- الماوردي [9]، ذكر الأقوال (4، 5، 6، 7).

2-3-4- البغوي[10] والقرطبي [11]، والخازن [12]، ذكروا القولين رقم (2، 3).

5-6- ابن الجوزي [13] وابن جزي [14]، ذكرا القولين رقم (1، 3).

تعقيب الباحث:

الظاهر -والله أعلم- أنه لا خلاف في ترجيح ما ذهب إليه الشنقيطي وموافقوه في أن المراد بالقول الذي لا يبدل هو ما أوعد الله به الكفار المكذبين للرسل من العذاب والعقاب، يدل لذلك أمور:

1- دلالة آيات من القرآن الكريم عليه، كقوله تعالى

[illegible]

 [سورة الأعراف: 18] ،وقوله تعالى

[illegible]

---

[1]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/228).
[2]() تفسير الجلالين ص(438).
[3]() نظم الدرر للبقاعي (18/417، 429).
[4]() فتح القدير للشوكاني (5/74، 77).
[5]() منح البيان للقنوجي (13/166، 175).
[6]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5488، 5508).
[7]() في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3361، 3365).
[8]() التحرير والتنوير لابن عاشور (26/296، 316).
[9]() النكت والعيون للماوردي (5/345، 353).
[10]() مختصر البغوي (2/883، 885).
[11]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/8، 17).
[12]() لباب التأويل للخازن (6/195، 197).
[13]() زاد المسير لابن الجوزي (7/192، 197).
[14]() التسهيل لابن جزي (4/114، 117).

[سورة هود: 119]، وقوله تعالى [سورة السجدة: 13]، وقوله تعالى [سورة يس: 7] ،وقوله تعالى [سورة ص: 14]، وقوله تعالى [سورة ص: 84-85]، ومعلوم أن « تفسير القرآن بالقرآن أقوى أنواع التفسير »[1].

2- إن سياق الآيات يدل عليه، فانظر: يقول الله [سورة ق: 20-29]، و « دلالة السياق »[2] من مرجحات الأقوال عند المفسرين.

3- أنه قول جمهور المفسرين، وقد صرّح الإمام ابن الجوزي بأن هذا القول قد « قاله الأكثرون »[3].

4- فائدة: « ما قاله بعض أهل العلم من أن الله يصح

---

[1] () قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).
[2] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/125).
[3] () زاد المسير لابن الجوزي (7/197).

أن يخلف وعيده؛ لأنه قال إنه لا يخلف وعده[1] ولم يقل إنه لا يخلف وعيده، وأن إخلاف الوعيد حسن لا قبيح، وإنما القبيح هو إخلاف الوعد، وأن الشاعر قال:

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إبعادي ومنجز موعدي[2]

لا يصح بحال؛ لأن وعيده تعالى للكفار حقٌّ ووجبَ عليهم بتكذيبهم للرسل، كما دل عليه قوله هنا ﴿ ﴾ [سورة ق: 14]، وقد تقرر في الأصول أن الفاء من حروف العلة[3]، كقوله: سها فسجد؛ أي لعله سهوه، وسرق فقطعت يده؛ أي لعلة سرقته، ومنه قوله تعالى ﴿ ﴾ [سورة المائدة: 38]، وبهذا تعلم أن الوعيد الذي لا يمتنع إخلافه هو وعيد عصاة المسلمين بتعذيبهم على كبائر الذنوب؛ لأن الله تعالى أوضح ذلك في قوله ﴿ ﴾ [سورة النساء: 48-116]، وهذا في الحقيقة تجاوز من الله عن ذنوب عباده المؤمنين العاصين، ولا إشكال في ذلك»[4]. والله أعلم بالصواب.

❁ ❁ ❁

المراد بالاستفهام في قوله (هل من مزيد)

---

[1]() قال تعالى ﴿ ﴾ [سورة الروم: 6].

[2]() البيت لعامر بن الطفيل، أحد شعراء الحماسة في الجاهلية، كان أحد فرسان العرب وشعرائهم، أدرك الإسلام ولم يُسلم، مات سنة (10هـ). انظر: ديوان عامر بن الطفيل ص(58).

[3]() في شرح الكوكب المنير عقد فصلاً لبيان المعاني التي يأتي عليها حرف الفاء. انظر: شرح الكوكب المنير (1/233).

[4]() أضواء البيان للشنقيطي (7/647).

83- قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة ق: 30].

مجمل الأقوال الواردة:
اختلف في المراد بالاستفهام في قوله ((هل من مزيد)) وهل هو على سبيل الإنكار أو الاستفهام؛ على قولين:
1- أن ((هل من مزيد)) على سبيل الاستفهام، بمعنى الاستزادة.
2- أن المعنى: قد امتلأت فلم يبق فيّ موضع لم يمتلئ، فهو استفهام إنكار[1].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-:
«... اعلم أن الاستفهام في قوله ((هل من مزيد)) فيه للعلماء قولان معروفان؛ الأول: أن الاستفهام إنكاري، كقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الأنعام: 47] أي ما يهلك إلا القوم الظالمون، وعلى هذا فمعنى هل من مزيد لا محل للزيادة لشدة امتلاء النار، واستدل بعضهم لهذا الوجه بآيات من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة السجدة: 13]، وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة هود: 119]، وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة ص: 84-85]، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة يس[2] في الكلام على قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة يس: 7]، لأن إقسامه تعالى في هذه الآية المدلول عليه بلام

---

[1]() القولان ذكرهما البغوي، مختصر البغوي (2/885).
[2]() أضواء البيان (6/650).

التوطئة في لأملأن على أنه يملأ جهنم من الجِنة والناس، دليل على أنها لابد أن تمتلئ، ولذا قالوا: إن معنى هل من مزيد: لا مزيد؛ لأني قد امتلأت فليس فيّ محل للمزيد. وأما القول الآخر: فهو أن المراد بالاستفهام في قول النار: هل من مزيد؟ هو طلبها للزيادة، وأنها لا تزال كذلك حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط أي كفاني قد امتلأت، وهذا الأخير هو الأصح، لما ثبت في الصحيحين[1] وغيرهما عن النبي ﷺ: « أن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط » [illegible] الزيادة »[2].

الموافقون:

وهم الذي رجّحوا أن ((هل من مزيد)) على الاستفهام حقيقة وأن جهنم تطلب الزيادة، موافقون في هذا المعنى ما رجحه الشيخ الشنقيطي، وعددهم غير قليل، منهم:

1- الطبري: «... وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو بمعنى الاستزادة، هل من شيء أزداده. وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ»[3].

2- [illegible]: « [illegible] ((هل من مزيد)) [illegible] ﷺ: « يقول الله لجهنم: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض

---

[1] () أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ((وتقول هل من مزيد)) فتح الباري لابن حجر (8/594)، ومسلم في كتاب الجنة، باب جهنم أعاذنا الله منها: صحيح مسلم بشرح النووي (17/184).

[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/653).

[3] () جامع البيان للطبري (26/106).

»[1].

3- ابن جزي: « ومعنى قوله ((هل من مزيد)) أنها تطلب الزيادة وكانت لم تمتلىء، وقيل معناه لا مزيد أي ليس عندي موضع للزيادة فهي على هذا قد امتلأت، والأول أظهر وأرجح »[2].

4- السعدي: « يقول تعالى مخوفاً لعباده ((يوم نقول لجهنم هل امتلأت)) وذلك من كثرة ما ألقي فيها ((وتقول هل من مزيد)) أي: لا تزال تطلب الزيادة من المجرمين العاصين، غضباً لربها، وغيظاً على الكافرين.

وقد وعدها الله ملأها، كما قال تعالى: [سورة هود: 119، السجدة: 13] حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبه، فينزوي بعضها على بعض، وتقول: قط قط، قد اكتفيت وامتلأت »[3].

وبمثل هذا قد رجّح ابن كثير[4]، والثعالبي[5]، والبقاعي[6]، وسيد قطب[7].

المخالفون:

وأما الذين رجحوا أن الاستفهام على سبيل الإنكار -وهو خلاف ما رجحه الشنقيطي- فعددهم أقل من الموافقين، منهم:

1- الواحدي: « ((وتقول هل من مزيد)) أي: هل بقي فيّ موضع لم يمتلئ، أي: قد امتلأت »[8].

---

[1] () المحرر الوجيز لابن عطية (13/559).
[2] () التسهيل لابن جزي (4/117).
[3] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(806).
[4] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/226).
[5] () جواهر الحسان للثعالبي (4/200).
[6] () نظم الدرر للبقاعي (18/431).
[7] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3365).
[8] () الوجيز للواحدي (2/1024).

وبنحو كلام الواحدي جاء ترجيح النيسابوري[9]، وأبي حيان[10]، والمحلي[11].

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي وموافقوه من أن الاستفهام في ((هل من مزيد)) يحمل على الاستفهام حقيقة وأن النار تطلب الزيادة من المجرمين، غضباً لربها، وغيظاً على الكافرين، والأدلة على ذلك:

1- ما دل عليه الحديث الصحيح المتفق عليه، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط بعزَّتك وكرمك...»[4]. وقد صرّح بالترجيح بدلالة هذا الحديث: الطبري[5]، وابن عطية[6]، وابن جزي[7]، وابن كثير[8]، والثعالبي[9]، والسعدي[10]، والشنقيطي[11]، وصحة الحديث قاعدة يرجح بها المفسرون بين الأقوال[12].

2- أن السياق يدل على إرادة الاستزادة، قال تعالى: ﷺ

9() إيجاز البيان للنيسابوري (2/206).
10() البحر المحيط لأبي حيان (9/538).
11() تفسير الجلالين ص(438).
4() سبق تخريج الحديث، واللفظ لمسلم.
5() جامع البيان للطبري (26/106).
6() المحرر الوجيز لابن عطية (13/559).
7() التسهيل لابن جزي (4/117).
8() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/226).
9() جواهر الحسان للثعالبي (4/200).
10() تفسير الكريم الرحمن للسعدي ص(806).
11() أضواء البيان للشنقيطي (7/653).
12() قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/206).

[illegible]

[سورة ق: 24-30]، قال ابن كثير بعد أن ذكر هذا القول: « هذا هو الظاهر من سياق الآية »[1].

3- الآيات التي استدل بها القائلون بأن الاستفهام إنكاري، وأن الله قد وعد بملء جهنم من الجنة والناس أجمعين، وهي: قوله تعالى: [illegible] [سورة الأعراف: 18]، وقوله تعالى: [illegible] [سورة هود: 119]، وقوله تعالى: [illegible] [سورة السجدة: 13]، وقوله تعالى: [illegible] [سورة ص: 84-85] وغيرها. أقول: استدلالهم هذا يدخل دخولاً كاملاً تحت القول الراجح عند الشنقيطي وموافقيه، وذلك أن الله قد وعد بملء جهنم من الجِنة والناس، وسؤال جهنم ((هل من مزيد)) يكون « قبل امتلائها »[2].

4- فائدة: حديث القدم الوارد هنا؛ من أحاديث الصفات، « والواجب أن نؤمن بما وصف الله وسمى به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله -وهذه طريقة سلف الأمة وأئمتها- بإثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل »[3].

---

[1] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/226).

[2] () التسهيل لابن جزي (4/117).

[3] () مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (3/3)، والقول المفيد على كتاب

التوحيد لابن عثيمين (1/18).

المراد بالذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات

84- قوله تعالى: [illegible] [سورة الذاريات: 1-6].

مجمل الأقوال الواردة:

أ- ما قيل في ((والذاريات ذرواً)):

1- الرياح. 2- النساء.

ب- ما قيل: في ((فالحاملات وقراً)):

1- السحاب. 2- الرياح.

3- الإناث حوامل الأجنة.

جـ- ما قيل في ((فالجاريات يسراً)):

1- السفن. 2- الرياح. 3- السحاب. 4- النجوم.

د- ما قيل في ((فالمقسمات أمراً)):

1- الملائكة. 2- الرياح.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « أكثر أهل العلم على أن المراد بالذاريات الرياح. وهو الحق إن شاء الله، ويدل عليه أن الذرو صفة مشهورة من صفات الرياح. ومنه قوله تعالى: [illegible] [سورة الكهف: 45] ومعنى تذروه: ترفعه وتفرقه، فهي تذرو التراب والمطر وغيرهما. ولا يخفى سقوط قول من قال: إن الذاريات النساء.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((فالحاملات وقراً)) أكثر أهل العلم على أن المراد بالحاملات وقراً: السحاب، أي المزن تحمل وقراً ثقلاً من الماء. ويدل لهذا القول تصريح الله جل وعلا يوصف السحاب بالثقال، وهو جمع ثقيلة، وذلك لثقل السحابة بوقر الماء الذي تحمله، كقوله تعالى: [illegible]

[سورة الرعد: 12] وهو جمع سحابة ثقيلة، وقوله تعالى: [سورة الأعراف: 57]. وقال بعضهم: المراد بالحاملات وقراً: السفن تحمل الأثقال من الناس وأمتعتهم، ولو قال قائل: إن الحاملات وقراً الرياح أيضاً، لكان وجهه ظاهراً. ودلالة بعض الآيات عليه واضحة، لأن الله تعالى صرّح بأن الرياح تحمل السحاب الثقال بالماء، وإذا كانت الرياح هي التي تحمل السحاب إلى حيث شاء الله، فنسبة حمل ذلك الوقر إليها أظهر من نسبته إلى السحاب التي هي محمولة للرياح، وذلك في قوله تعالى: [سورة الأعراف: 57]، فقوله تعالى ((حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً)) أي حتى إذا حملت الرياح سحاباً ثقالاً، فالإقلال الحمل وهو مسند إلى الريح، ودلالة هذا على أن الحاملات وقراً هي الرياح ظاهرة كما ترى، ويصح شمول الآية لجميع ذلك.

وقد قدمنا أنه هو الأجود في مثل ذلك، وبينا كلام أهل الأصول فيه وكلامهم في حمل المشترك على معنييه أو معانيه، في أول سورة النور[1] وغيرها. والقول بأن الحاملات وقراً هي حوامل الأجنة من الإناث،ظاهر السقوط.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((فالجاريات يسراً)) أكثر أهل العلم على أن المراد بالجاريات يسراً: السفن تجري في البحر يسرا أي جرياً ذا يسر وسهولة. ويدل لهذا القول كثرة إطلاق الوصف بالجري على السفن كقوله تعالى: [سورة النور: 3].

---

[1]() أضواء البيان للشنقيطي (6/81)، عند تفسير قوله تعالى:

[سورة الشورى: 32] وقوله تعالى: [سورة الحاقة: 11] وقوله تعالى: [سورة الحج: 65] وقوله تعالى: [سورة النازعات: 5]، فمنهم من يرسل لتسخير المطر والريح، ومنهم من يرسل لكتابه الأعمال، ومنهم من يرسل لقبض الأرواح، ومنهم من يرسل لإهلاك الأمم كما وقع لقوم صالح -ﷺ-»[1].

إذاً الشيخ الشنقيطي ترجيحه على النحو الآتي:

الذاريات ذروا: الرياح.

الحاملات وقراً: السحاب أو السفن أو الرياح. بدرجة واحدة في الصحة.

الجاريات يسراً: السفن.

المقسمات أمراً: الملائكة.

الموافقون:

تقسيم الموافقين والمخالفين في هذا الموضع سيكون -إن شاء الله- حسب كل آية، والكلام الآن عن الموافقين:

أ- ((والذاريات ذروا)):

رجح أن المراد بالذاريات أي الرياح التي تذور التراب ذروا، كلٌّ من:

1- الطبري[2]. 2- الواحدي[3]. 3-

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/659-661).

[2] () جامع البيان للطبري (26/115).

[3] () الوجيز للواحدي (2/1027).

البغوي[1].
4- النسفي[2]. 5- الزمخشري[3].
6- النيسابوري[4].
7- ابن الجوزي[5]. 8- الفخر الرازي[6].
9- القرطبي[7].
10- الخازن[8]. 11- ابن جزي[9].
12- أبوحيان[10].
13- ابن كثير[11]. 14- المحلي[12].
15- الثعالبي[13].
16- البقاعي[14]. 17- الشوكاني[15].
18- الألوسي[16].
19- القنوجي[17]. 20- السعدي[18].
21- سيد قطب[19].
22- ابن عاشور[20].

---

[1]() مختصر البغوي (2/887).
[2]() مدارك التنـزيل للنسفي (4/138).
[3]() الكشاف للزمخشري (5/385).
[4]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/209).
[5]() زاد المسير لابن الجوزي (7/204).
[6]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/161).
[7]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/29).
[8]() لباب التأويل للخازن (6/200).
[9]() التسهيل لابن جزي (4/120).
[10]() البحر المحيط لأبي حيان (9/548).
[11]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/232).
[12]() تفسير الجلالين ص(439).
[13]() جواهر الحسان للثعالبي (4/204).
[14]() نظم الدرر للبقاعي (18/445).
[15]() فتح القدير للشوكاني (5/83).
[16]() روح المعاني للألوسي (27/2).
[17]() فتح البيان للقنوجي (13/189).
[18]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(808).
[19]() في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3375).
[20]() التحرير والتنوير لابن عاشور (26/337).

ب- ((فالحاملات وقراً)):

من رجّح أن الحاملات وقراً يراد بها السحاب أو السفن أو الرياح؛ سواء ذكر واحداً منها أو بعضها أو كلها فإنه يعتبر موافقاً للشنقيطي؛ لأنه رجح « صحة شمول الآية لجميع ذلك »[1]، فمنهم:

1- الطبري: « السحاب التي تحمل وقرها من الماء »[2].
2- الواحدي: « السحاب تحمل الماء »[3].
3- البغوي: « السحاب التي تحمل ثقلاً من الماء »[4].
4- النسفي: « السحاب لأنها تحمل المطر »[5].
5- الزمخشري: « السحاب أو الرياح »[6].
6- النيسابوري: « السحاب »[7].
7- ابن الجوزي: « السحاب التي تحمل وقرها من الماء »[8].
8- الخازن: « السحاب يحمل ثقلاً من الماء »[9].
9- ابن جزي: « السحاب تحمل المطر »[10].
10- ابن كثير: « السحاب تحمل الماء »[11].
11- المحلي: « السحب تحمل الماء »[12].
12- البقاعي: « السحب »[13].
13- الشوكاني: « السحاب تحمل الماء »[14].

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/660).
[2] () جامع البيان للطبري (26/115).
[3] () الوجيز للواحدي (2/1027).
[4] () مختصر البغوي (2/887).
[5] () مدارك التنزيل للنسفي (4/138).
[6] () الكشاف للزمخشري (4/385).
[7] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/209).
[8] () زاد المسير لابن الجوزي (7/204).
[9] () لباب التأويل للخازن (6/200).
[10] () التسهيل لابن جزي (4/120).
[11] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/232).
[12] () تفسير الجلالين ص(439).
[13] () نظم الدرر للبقاعي 018/445).
[14] () فتح القدير للشوكاني (5/83).

14- الألوسي: « السحب الحاملة للمطر »[1].
15- السعدي: « السحاب »[2].
16- سيد قطب: « السحاب الحاملات وقراً من الماء »[3].
17- ابن عاشور: « السحاب أو الرياح »[4].

جـ- ((فالجاريات يسراً)):
رجّح أن المراد بالجاريات يسراً: السفن، كل من:
1- الطبري[5]. 2- الواحدي[6]. 3- البغوي[7].
4- النسفي[8]. 5- النيسابوري[9].
6- ابن الجوزي[10].
7- القرطبي[11]. 8- الخازن[12].
9- ابن جزي[13].
10- ابن كثير[14]. 11- المحلي[15].
12- البقاعي[16].

---

[1]() روح المعاني للألوسي (27/2).
[2]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(808).
[3]() في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3375).
[4]() التحرير والتنوير لابن عاشور (26/337).
[5]() جامع البيان للطبري (26/115).
[6]() الوجيز للواحدي (2/1027).
[7]() مختصر البغوي (2/887).
[8]() مدارك التنـزيل للنسفي (4/138).
[9]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/209).
[10]() زاد المسير لابن الجوزي (7/204).
[11]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/29).
[12]() لباب التأويل للخازن (6/200).
[13]() التسهيل لابن جزي (4/120).
[14]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/232).
[15]() تفسير الجلالين ص(439).
[16]() نظم الدرر للبقاعي (18/445).

13- الشوكاني[1].
14- الألوسي[2].
15- القنوجي[3].
16- سيد قطب[4].

د- ((المقسامات أمراً)):
رجّح أن المراد بالمقسمات أمـراً: الملائكـة، كـل من:
1- الطبري[5].
2- الواحدي[6].
3- البغوي[7].
4- النسفي[8].
5- النيسابوري[9].
6- ابن الجوزي[10].
7- القرطبي[11].
8- الخازن[12].
9- ابن جزي[13].
10- ابن كثير[14].
11- المحلي[15].
12- الثعالبي[16].
13- الشوكاني[17].
14- الألوسي[18].

---

[1]() فتح القدير للشوكاني (5/83).
[2]() روح المعاني للألوسي (27/2).
[3]() فتح البيان للقنوجي (13/189).
[4]() في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3375).
[5]() جامع البيان للطبري (26/115).
[6]() الوجيز للواحدي (2/1027).
[7]() مختصر البغوي (2/887).
[8]() مدارك التنـزيل للنسفي (4/138).
[9]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/209).
[10]() زاد المسير لابن الجوزي (7/204).
[11]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 017/29).
[12]() لباب التأويل للخازن (6/200).
[13]() التسهيل لابن جزي (4/120).
[14]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/232).
[15]() تفسير الجلالين ص(439).
[16]() جواهر الحسان للثعالبي (4/204).
[17]() فتح القدير للشوكاني (5/83).
[18]() روح المعاني للألوسي (27/2).

15- السعدي[1].
16- سيد قطب[2].

المخالفون:
أ- ((والذاريات ذروا)):
1- الماوردي: « الرياح، أو ما ذرت الرياح، أو النساء الولودات »[3].
2- البيضاوي: « الرياح تذروا التراب وغيره، أو النسا الولود فإنهم يذرين الأولاد، أو الأسباب التي تذري الخلائق »[4].
3- القاسمي: « الرياح، أو النساء الولود، أو الأسباب التي تذري الخلائق »[5].

ب- ((فالحاملات وقراً)):
1- الماوردي: « السحب يحملن وقراً بالمطر، الرياح يحملن وقراً بالسحاب، الحاملات من النساء إذا أثقلن بالحمل »[6].
2- أبوحيان: « السحاب: السفن، الحوامل من جميع الحيوان »[7].
3- البيضاوي: « السحب الحاملة للأمطار، أو الرياح الحاملة للسحاب، أو النساء الحوامل، أو أسباب ذلك »[8].
4- الثعالبي: « السحاب، السفن، الحوامل من جميع الحيوانات »[9].
5- القنوجي: « السحاب تحمل الماء، الرياح الحاملات

---

[1]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(808).
[2]() في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3375).
[3]() النكت والعيون للماوردي (5/361).
[4]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/229).
[5]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5520).
[6]() النكت والعيون للماوردي (5/361).
[7]() البحر المحيط لأبي حيان (9/548).
[8]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/229).
[9]() جواهر الحسان للثعالبي (4/204).

للسحاب، النساء الحوامل »[1].
6- القاسمي: « السحب، الرياح، النساء الحوامل، أو أسباب ذلك »[2].

جـ- ((فالجاريات يسراً)):
1- الماوردي: « السفن، السحاب »[3].
2- الزمخشري: «الفلك، الرياح »[4].
3- أبوحيان: « الفلك، السحاب، الجواري من الكواكب »[5].
4- البيضاوي: « السفن الجارية في البحر سهلاً، أو الرياح الجارية في مهابّها، أو الكواكب التي تجري في منازلها »[6].
5- الثعالبي: « السفن في البحر، السحاب، الكواكب »[7].
6- القاسمي: « السفن الجارية في البحر سهلاً، أو الرياح الجارية في مهابّها، أو الكواكب التي تجري في منازلها »[8].
7- السعدي: « النجوم التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها السماوات، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها »[9].
8- ابن عاشور: « السفن، الرياح »[10].

د- ((فالمقسمات أمراً)):
1- الماوردي: « السحاب يقسم الله به الحظوظ بين

---

[1]() فتح البيان للقنوجي (13/189).
[2]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5520).
[3]() النكت والعيون للماوردي (5/361).
[4]() الكشاف للزمخشري (4/485).
[5]() البحر المحيط لأبي حيان (9/548).
[6]() أنوار التنـزيل للبيضاوي (2/229).
[7]() جواهر الحسان للثعالبي (4/204).
[8]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5520).
[9]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(808).
[10]() التحرير والتنوير لابن عاشور (26/337).

الناس، الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه »[1].
2- الزمخشري: « الملائكة، الرياح »[2].
3- البيضاوي: « الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها، أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة، أو الريح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب »[3].
4- القنوجي: « الملائكة تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما، أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة، أو الرياح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب »[4].
5- [illegible]: « [illegible] »[5].
6- ابن عاشور: « الملائكة، الرياح »[6].

تعقيب الباحث:
بيان الراجح في هذا الموضع يكون -بعون الله- على النحو الآتي:
أ- ((والذاريات ذروا)):
يظهر -والله أعلم- أن الراجح كون المراد بالذاريات ذروا أي الرياح التي تذرو التراب ذروا، يدل لذلك:
1- دلالة القرآن الكريم على هذا المعنى، يقول تعالى: [illegible] [سورة الكهف: 45] « فالذرو صفة مشهورة من صفات الرياح »[7]، ولا شك أن هذا من تفسير القرآن

---

[1] () النكت والعيون للماوردي (5/361).
[2] () الكشاف للزمخشري (4/385).
[3] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/229).
[4] () فتح البيان للقنوجي (13/190).
[5] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5520).
[6] () التحرير والتنوير لابن عاشور (26/337).
[7] () أضواء البيان للشنقيطي (7/659).

بالقرآن الذي هو « أحسن أنواع التفسير »[1].
2- إتفاق جمهور المفسرين قديماً وحديثاً عليه.
3- أما القول بأن الذاريات النساء يذرين الأولاد، فليست هناك دلالة واضحة عليه، ولا أدلة تؤيده، ولم يجزم به أحد من المفسرين معنى للآية.

ب- ((فالحاملات وقراً)):
يظهر -والله أعلم- أن الراجح كون المراد بالحاملات وقراً السحاب أو الرياح، وذلك لأمور:
1- لدلالة القرآن الكريم، فإن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً[2]، فإن معنى الحاملات وقراً أي السحاب تحمل وقراً ثقلاً من الماء، « ويدل لهذا تصريح الله جل وعلا بوصف السحاب بالثقال، وهو جمع ثقيلة، وذلك لثقل السحاب بوقر الماء الذي تحمله، كقوله تعالى: [illegible] [سورة الرعد: 12]، وكقوله تعالى: [illegible] [سورة الأعراف: 57] »[3].
وكون الحاملات وقراً يراد بها الرياح؛ فوجهه ظاهر، ودلت بعض الآيات على هذا بوضوح « لأن الله تعالى صرح بأن الرياح تحمل السحاب الثقال بالماء، وإذا كانت الرياح هي التي تحمل السحاب إلى حيث شاء الله ، فنسبة حمل ذلك الوقر إليها أظهر من نسبته إلى السحاب التي هي محمولة للرياح، وذلك في قوله تعالى: [illegible] [سورة الأعراف: 57] فالإقلال الحمل، وهو مسند إلى الريح، ودلالة هذا على أن الحاملات وقراً هي الرياح ظاهرة »[4].

---

[1] () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).
[2] () قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).
[3] () أضواء البيان للشنقيطي (7/659).
[4] () المرجع السابق (7/660).

2- إن إرادة السفن بالحاملات وقراً، لا يؤيدها إلا المعنى اللغوي للفظ (الحاملات) ولفظ (الوقر)، ولا يقوى هذا أمام الدلالة الواضحة للآيات السابق ذكرها.

جـ- ((فالجاريات يسراً)):

يظهر -والله أعلم- أن الراجح كون المراد بالجاريات يسراً السفن تجري في البحر يسر أي جرياً سهلاً بأمر الله ، يدل لذلك:

1- التصريح في عدد من الآيات بتسمية السفن بأنها (جارية) كقوله تعالى: [illegible] [سورة الشورى: 32]، كقوله تعالى [illegible] [سورة الحاقة: 11].

2- والتصريح أيضاً في عدد من الآيات بوصف السفن بأنها (تجري)، كقوله تعالى: [illegible] [سورة الحج: 65]، كقوله تعالى: [illegible] [سورة الجاثية: 12].

3- أما تفسيرها بأنها الرياح أو الكواكب، فهي وإن ذكرها بعض المفسرين على احتمال كونها معنىً للآية، إلا أنه لم يجزم أحد برجحان اعتبارها معنىً للآية.

د- ((فالمقسمات أمراً)):

يظهر -والله أعلم- أن الراجح كون المراد بالمقسمات أمراً الملائكة يرسلها الله في شئون وأمور مختلفة، يدل لذلك:

1- قوله تعالى: [illegible] [سورة النازعات: 5] « فمنهم من يرسل لتسخير المطر والريح، ومنهم من يرسل لكتابة الأعمال، ومنهم من يرسل لقبض الأرواح، ومنهم من يرسل لإهلاك الأمم المكذبة »[1]، وغيرها من الأعمال.

2- كذلك كثرة القائلين بأن المراد الملائكة، وندرة

---

[1]() المرجع السابق (7/661).

المرجحين لغيره من الأقوال.
وختاما: يقول ابن الجوزي -بعد أن رجّح (الرياح + السحاب + السفن + الملائكة)-: « وإنما أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صُنعه وقدرته »[1].
والله أعلم بالصواب.

□ □ □

معنى قوله تعالى □ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □

85- قوله تعالى: □□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□ □ □ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□ [سورة الذاريات: 56].

مجمل الأقوال الواردة:
1- أن معنى ((إلا ليعبدون)): أي: إلا لآمرهم بعبادتي وابتليهم بالتكاليف، ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.
2- أن معنى ((إلا ليعبدون)): أي: ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدني السعداء منهم ويعصيني الأشقياء.
3- أن معنى ((إلا ليعبدون)): أي: إلا ليقروا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً؛ لأن المؤمن يطيع باختياره، والكافر مذعن منقاد لقضاء ربه، وأن العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله □، ومتذلل لمشيئته، لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق عليه قدر ذرة من نفع أو ضرر.
4- أن معنى ((إلا ليعبدون)): إلا ليعرفوني.
5- أن معنى ((إلا ليعبدون)): إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء[2].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « اختلف العلماء في معنى قوله ((ليعبدون))، فقال بعضهم:

---

[1] () زاد المسير لابن الجوزي (7/204).
[2] () الأقوال كلها (1، 2، 3، 4، 5) ذكرها البغوي؛ مختصر البغوي (2/891)، والشنقيطي في أضواء البيان (7/671).

المعنى ما خلقتهم إلا ليعبدني السعداء منهم ويعصيني الأشقياء، فالحكمة المقصودة من إيجاد الخلق التي هي عبادة الله [illegible]

وقال بعض العلماء: معنى قوله ((إلا ليعبدون)) أي: إلا ليقروا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً لأن المؤمن يطيع باختياره والكافر مذعن منقاد لقضاء ربه صبراً عليه، وهذا القول رواه ابن جرير عن ابن عباس واختاره[3]، ويدل له قوله تعالى: [illegible] [سورة الرعد: 15]، والسجود والعبادة كلاهما خضوع وتذلل لله جل وعلا، وقد دلت الآية على أن بعضهم يفعل ذلك طوعاً وبعضهم يفعله كرهاً.

وعن مجاهد أنه قال: ((إلا ليعبدون)) أي إلا ليعرفوني، واستدل بعضهم لهذا القول بقوله تعالى: [illegible] [سورة الزخرف: 87] ونحو ذلك من الآيات.

وقال بعض أهل العلم -وهو مروي عن مجاهد أيضاً-

---

[1]() انظر: جامع البيان للطبري (27/8).

[2]() انظر: القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجح ص(30) وزاد معهما من العشرة: خلف.

[3]() جامع البيان للطبري (27/8).

معنى قوله ((إلا ليعبدون)):أي إلا لآمرهم بعبادتي فيعبدني من وفقته منهم لعبادتي دون غيره، وعلى هذا القول فإرادة عبادتهم المدلول عليها باللام في قوله ((ليعبدون)) إرادة دينية شرعية وهي الملازمة للأمر، وهي عامة لجميع من أمرتهم الرسل لطاعة الله ﷻ، لا إرادة كونية قدرية؛ لأنها لو كانت كذلك لعبده جميع الإنس والجن، والواقع خلاف ذلك بدليل قوله تعالى: ﷻ [سورة الكافرون: 1-3].

قال مقيده[1] عفا الله عنه وغفر له: التحقيق إن شاء الله في معنى هذه الآية الكريمة ((إلا ليعبدون))؛ أي: إلا لآمرهم بعبادتي وأبتليهم أي أختبرهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق في معنى الآية، لأنه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله ﷻ، فقد صرح تعالى في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملاً، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم. قال تعالى في أول سورة هود: ﷻ ثم بين الحكمة في ذلك فقال: ﷻ [سورة هود: 7]، وقال تعالى في أول سورة الملك: ﷻ [سورة الملك: 2]، وقال تعالى في أول سورة الكهف: ﷻ [سورة الكهف: 7]، فتصريحه جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي ابتلاؤهم أيهم أحسن عملاً يفسر قوله ((ليعبدون)). وخير ما يفسر به القرآن القرآن »[2].

فترجيح الشيخ الشنقيطي لمعنى ((إلا ليعبدون)) أي

---

[1]() الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-.

[2]() أضواء البيان للشنقيطي (7/671-674) بتصرف يسير.

إلا لآمرهم بعبادتي وابتليهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

الموافقون:

إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي قد ذهب عدد من المفسرين، منهم:

1- الماوردي: « ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) فيه خمسة تأويلات:

أحدها: إلا ليقروا بالعبودية طوعاً أو كرهاً.

الثاني: إلا لآمرهم وأنهاهم.

الثالث: إلا لأجبلهم على الشقاء والسعادة.

الرابع: إلا ليعرفوني.

الخامس: إلا للعبادة، وهو الظاهر »[1].

2- ابن القيم: « [illegible] »[2].

3- ابن كثير: «... ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم »[3].

4- القاسمي: « ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) أي لهذه الحكمة، وهي عبادته تعالى بما أمر على لسان رسوله ﷺ، إذ لا يتم صلاح ولا تنال سعادة في الدارين؛ إلا بها »[4].

5- السعدي: « [illegible] »

---

[1] () النكت والعيون للماوردي (5/375).

[2] () بدائع التفسير لابن القيم (4/247).

[3] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/238).

[4] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5538).

[illegible] هذه الغاية التي خلق الله [illegible] الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، وذلك يتضمن معرفته تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله ﷻ، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله ﷻ المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم »[1].

6- سيد قطب: «... هنا يجيء الإيقاع الأخير في السورة، ويتضح معنى الفرار إلى الله ﷻ، والتخلص من الأوهاق[2] والأثقال، لأداء الوظيفة التي خلق الله ﷻ العباد لها، ومنحهم وجودهم ليؤدوها... ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرازق ذو القوة المتين))... وإن هذا النص الصغير ليحتوي حقيقة ضخمة هائلة، من أضخم الحقائق الكونية التي لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيقانها، سواء كانت حياة فرد أم جماعة، أم حياة الإنسانية كلها في جميع أدوارها وأعصارها.

وإنه ليفتح جوانب وزوايا متعددة من المعاني والمرامي، تندرج كلها تحت هذه الحقيقة الضخمة، التي تعد حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة.

وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس. تتمثل في وظيفة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده؛ ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده؛ وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى. وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق، الذي يصيب كل كائن ينفلت من

---

[1] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(813).

[2] () الأوهاق، قال في القاموس المحيط: الوَهَقُ: الحبل يُرمى في أنشوطة، فتؤخذ به الدابة والإنسان. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(1200).

ناموس الوجود، الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء.

هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود. هي العبادة لله ﷻ. أو هي العبودية لله ﷻ ... أن يكون هناك عبد ورب. وعبد يَعبد، ورب يُعبد. وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار.

ومن ثم يبرز الجانب الآخر لتلك الحقيقة الضخمة، ويتبين أن مدلول العبادة لابد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر. فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر؛ والله لا يكلفهم هذا. وهو يكلفهم ألواناً أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم. وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يكلفها الجن؛ ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان. نعرفها من القرآن من قول الله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة البقرة: 30] ... فهي الخلافة في الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني. وهي تقتضي ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتعرف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكنوناتها، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها. كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام.

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة إلتي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر؛ وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً. وأن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسيين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله ﷻ في النفس. أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً وربا. عبداً يَعبد، وربًّا يُعبد. وأن ليس وراء ذلك شيء؛ وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار. ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود؛ وإلا رب واحد والكل له عبيد.

والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة. التوجه بها إلى الله ﷻ خالصة، والتجرد من كل شعور آخر؛ ومن كل معنى غير معنى التعبد لله ﷻ. وبهذا وذلك يتحقق

معنى العبادة »[1].

المخالفون:

رجّح خلاف ما رجحه الشنقيطي قلة من المفسرين، منهم:

1- الطبري: «... وأولى القولين في ذلك بالصواب؛ القول الذي ذكرنا عن ابن عباس[2]، وهو ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا - فإن قال قائل فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل إنهم قد تذللوا لقضائه التي قضاه عليهم لأن قضاءه جار عليهم لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه »[3].

2- البقاعي: « ((وما خلقت الجن والإنس)) الذين أكثرهم كافرون ((إلا ليعبدون)) أي لينجروا تحت أقضيتي على وجه ينفعون به أنفسهم أو يضرونها لا لشيء يلحقني أنا منه شيء من نفع أو ضرر، فإني بنيتهم على العجز وأودعتهم نوازع الهوى، وركبت فيهم غرائز فهيأتهم لاتباع الهدى، فمن أطاع عقله كان عابداً لي فاراً إليّ مع جريه تحت الإرادة، عبادة شرعية أمرية يستفيد بها الثواب، ومن أطاع الهوى كان عابداً لي مع مخالفته أمري عبادة إرادية قسرية يستحق بها العقاب، وكل تابع لهواه إذا حقق النظر على أن الخير في غير ما هو مرتكبه، فما ألزمه ما هو فيه مع علمه بأن غيره خير منه إلا قهر إرادتي، فهذه عبادة لغوية، وذاك عبادة شرعية، وهذا كله معنى قول ابن عباس[4] -رضي الله عنهما-: إلا ليقروا لي

---

[1] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3387).

[2] () وقد كان الطبري ذكر قول ابن عباس قريباً قبل قوله « وأولى القولين... » حيث قال: حدثني علي قال: حدثنا أبوصالح، قال: حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس: قوله:((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً. جامع البيان للطبري (27/8).

[3] () جامع البيان للطبري (27/8).

[4] () وأشرت قريباً إلى قول ابن عباس -رضي الله عنهما- عند ذكر كلام الطبري.

بالعبادة طوعاً أو كرهاً »[1].

أما الكثرة الكاثرة من المفسرين فتوقفوا عن ترجيح قول بعينه معنىً للآية، واكتفوا بسرد الأقوال الواردة كلها أو بعضها تحت تفسيرهم للآية،وسأختصر في سرد أسماء المفسرين بذكر المفسر وما ذكره من أقوال بالإحالة إلى رقم القول حيث ورد في مجمل الأقوال الواردة في بداية الموضع، فمنهم:

1- الواحدي[2]: ذكر الأقوال رقم (1+2).
2- البغوي[3]:ذكر الأقوال رقم (1+2+3+4+5).
3- النسفي[4]: ذكر الأقوال رقم (1+2+5).
4- ابن الجوزي[5]: ذكر الأقوال رقم (1+2+3).
5- القرطبي[6]: ذكر الأقوال رقم (1+2+3+4+5).
6- الخازن[7]: ذكر الأقوال رقم (2+3+4+5).
7- ابن جزي[8]:ذكر الأقوال رقم (1+3).
8- أبوحيان[9]: ذكر الأقوال رقم (1+2+4).
9- البيضاوي[10]: ذكر الأقوال رقم (1+3).
10- الثعالبي[11]: ذكر الأقوال رقم (2+3).
11- الشوكاني [12]: ذكر الأقوال رقم (2+3+4+5).
12- القنوجي[13]: ذكر الأقوال رقم (2+4+5).

تعقيب الباحث:

---

[1]() نظم الدرر للبقاعي (18/481).
[2]() الوجيز للواحدي (2/1032).
[3]() مختصر البغوي (2/891).
[4]() مدارك التنزيل للنسفي (4/143).
[5]() زاد المسير لابن الجوزي (7/214).
[6]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/55).
[7]() لباب التأويل للخازن (6/206).
[8]() التسهيل لابن جزي (4/126).
[9]() البحر المحيط لأبي حيان (9/562).
[10]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/232).
[11]() جواهر الحسان للثعالبي (4/212).
[12]() فتح القدير للشوكاني (5/92).
[13]() فتح البيان للقنوجي (13/211).

بعد هذه الجولة في ما ورد عن المفسرين من أقوال في بيان معنى قوله تعالى: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) واختلافهم في تحديد المراد بقوله ((إلا ليعبدون))؛ يظهر -والله أعلم- أن الأرجح هو ما ذهب إليه الشيخ الشنقيطي والموافقون، من أن ((إلا ليعبدون)) معناها: إلا لآمرهم بعبادتي وابتليهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، يدل لذلك:

1- الدلالة الواضحة في عدد من آيات القرآن الكريم على إرادة هذا المعنى المذكور -وهذا من تفسير القرآن بالقرآن- كقوله تعالى: [illegible] [سورة هود: 7]، وقوله تعالى: [illegible] [سورة الكهف: 7]، وقوله تعالى: [illegible] [سورة الملك: 2]، فدلت هذه الآيات المحكمات على أنه -جل وعلا- خلق خلقه ليبتليهم أيهم أحسن عملاً، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم، وهذا يفسر قوله هنا ((إلا ليعبدون)) « وخير ما يفسر به القرآن القرآن »[1].

2- كثرة المرجحين لهذا القول الراجح، من السلف والخلف؛ دليل قوته، مع قلة المخالفين جداً المرجحين لقول غيره.

3- أن من قال إن المراد بـ ((إلا ليعبدون)) إلا ليعرفوني، لا يقوى أن يكون معنى للآية، فإن مجرد المعرفة لا تكفي لتحقيق العبودية إذا لم يقارنها توجه بالأعمال التعبدية إلى الله .

4- ومن قال إن ((إلا ليعبدون)) يعني يعبدني السعداء ويعصيني الأشقياء؛ فإنه يدخل من وجوه تحت القول الراجح، وذلك: أن من فهم الحكمة من وجوده وتوجه

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/674).

إلى الله خالقه بالعبادة قولاً وعملاً وتصديقاً فهو السعيد في الدنيا والآخرة، ومن ضل عن حكمة وجوده ولم يتوجه بالعبادة إلى الخالق جل وعلا فهو الشقي في الدنيا والآخرة.

أسأل الله أن يجعلنا جميعاً من المحققين لمعنى العبودية الصحيح، ويجعلنا من عباده السعداء في الدنيا والآخرة. والله أعلم بالصواب.

ما هــو الطــور؟

86- قولـه تعالى: [illegible] [سورة الطور: 1-8].

مجمل الأقوال الواردة:
1- أن الطور هو الجبل الذي كلم الله ﷻ عليه موسى -ﷺ-.
2- أن الطور كل جبل، فكأنه أقسم بجنس الجبال[1].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « والأظهر أن الطور: الجبل الذي كلم الله ﷻ موسى -ﷺ- [illegible] [سورة التين: 1-2] »[2].

الموافقون:
جمهور المفسرين على أن الطور هو الجبل الذي كلـم الله ﷻ عليه موسى -ﷺ-، منهم:
1- الواحدي[3]. 2- البغوي[4]. 3- النسفي[5].
4- الزمخشري[6]. 5- ابن الجوزي[7].
6- القرطبي[8].

---

[1] () القولان معاً ذكرهما ابن جزي في التسهيل (4/128).
[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/683).
[3] () الوجيز للواحدي (2/1033).
[4] () مختصر البغوي (2/892).
[5] () مدارك التنزيل للنسفي (4/144).
[6] () الكشاف للزمخشري (4/398).
[7] () زاد المسير لابن الجوزي (7/215).
[8] () الجامع لأحكام القرآن القرطبي (17/58).

7- الخازن[1].
8- ابن القيم[2].
9- المحلي[3].
10- الألوسي[4].
11- القاسمي[5].
12- السعدي[6].
13- سيد قطب[7].
14- ابن عاشور[8].

المخالفون:
رجح أن المراد بالطور جنس الجبال:
1- النيسابوري[9].
2- أبوحيان[10].

تعقيب الباحث:
الظاهر -والله أعلم- أن المراد بالطور هو الجبل الذي كلم الله ﷻ عليه موسى -ﷺ-، وهذا ما رجحه الشنقيطي والموافقون، يدل لذلك أمور:
1- دلالة آية من القرآن الكريم عليه، وهي قوله تعالى: ﷻ [سورة التين: 1-2] وطور سنين هو الجبل الذي نال الشرف والمكانة العظيمة بتكليم الله ﷻ نبيه موسى عليه عنده، يقول ابن القيم: « وجبل هذا شأنه حقيق أن يقسم الله ﷻ به وإنه لسيد الجبال »[11].
2- أنه هو ما رجحه « جمهور المفسرين من السلف والخلف » كما صرح بذلك الإمام ابن القيم[12].

---

[1]() لباب التأويل للخازن (6/206).
[2]() بدائع التفسير لابن القيم (4/251).
[3]() تفسير الجلالين ص(442).
[4]() روح المعاني للألوسي (27/26).
[5]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5541).
[6]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(813).
[7]() في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3393).
[8]() التحرير والتنوير لابن عاشور (27/37).
[9]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/213).
[10]() البحر المحيط لأبي حيان (9/566).
[11]() بدائع التفسير لابن القيم (4/251).
[12]() المرجع السابق.

3- أن الطور وإن أطلق على كل جبل عند « جمهور علماء اللغة العربية »[1]، إلا أنه « غلب علماً على طور سينا[2] الذي ناجى فيه موسى -- »[3]. والله أعلم بالصواب.

---

[1]() روح المعاني للألوسي (27/26).

[2]() قال في معجم البلدان: « طور سينا، بكسر أو فتح حرف السين، اسم جبل بالشام، وهو الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران -- » ( ) + ( ) ( ).

[3]() التحرير والتنوير لابن عاشور (27/37).

ما هو الكتاب المسطور؟

87- قولـه تعالى: [illegible] [سورة الطور: 1-8].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف في المراد بالكتاب المسطور في قولـه تعـالى ((وكتاب مسطور)) على أقوال:

1- القرآن الكريم.
2- التوراة.
3- اللوح المحفوظ.
4- صحيفة الأعمال[1].
5- الإنجيل والزبور.
6- الكتاب الذي فيه أعمال الخلق[2].
7- الكتب المنزلة عموماً[3].
8- المنتسخ من اللوح المحفوظ للملائكة لتعرف منه جميع مـا تفعله وتصرفه في العالم[4].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشـيخ محمـد الأميـن الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: « والأظهر أن الكتاب المسطور هو القرآن العظيم، وقد أكثر الله [illegible] »[5].

---

[1] () الأقوال (1، 2، 3، 4) ذكرها النيسابوري في إيجاز البيان (2/213).
[2] () الأقوال (5، 6) ذكرهما أبوحيان في البحر المحيط (9/566).
[3] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/239)
[4] () جواهر الحسان للثعالبي (4/214).
[5] () أضواء البيان للشنقيطي (7/683).

الموافقون:

الذين ذهبوا -مثل الشنقيطي- إلى أن المراد بالكتاب المسطور القرآن الكريم؛ قلة من المفسرين، منهم:

1- ابن القيم[1].
2- الشوكاني[2].
3- القاسمي[3].

المخالفون:

وينقسم المخالفون إلى أكثر من فئة:

أ- الذين رجّحوا قولاً واحداً فقط من مجمل الأقوال الواردة، ومنهم:

1- الواحدي: «... دواوين الحفظة التي أثبتت فيها أعمال بني آدم »[4].
2- القرطبي: «... صحائف الأعمال »[5].
3- ابن عاشور: « والمراد بـ ((كتاب مسطور، في رق منشور)) التوراة »[6].

ب- الفئة الأخرى، وهم الغالبية العظمى من المفسرين الذين لم يرجحوا قولاً واحداً، وإنما ذكروا الأقوال كلها أو بعضها عند تفسير الآية على اعتبار عموم اللفظ لكل ما يذكروه من المعاني، منهم:

1- الماوردي[7].
2- البغوي[8].
3- النسفي[9].
4- الزمخشري[10].
5- النيسابوري: « ((وكتاب مسطور)) القرآن، أو التوراة

---

[1] () بدائع التفسير لابن القيم (4/252).
[2] () فتح القدير للشوكاني (5/94).
[3] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5541).
[4] () الوجيز للواحدي (2/1533).
[5] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/59).
[6] () التحرير والتنوير لابن عاشور (27/37).
[7] () النكت والعيون للماوردي (5/377).
[8] () مختصر البغوي (2/892).
[9] () مدارك التنزيل للنسفي (4/144).
[10] () الكشاف للزمخشري (4/398).

بسبب الطور، أو اللوح، أو صحيفة الأعمال »[1].

6- ابن الجوزي[2]. 7- الفخر الرازي[3].

8- الخازن[4]. 9- ابن جزي[5].

10- أبوحيان: « والكتاب المسطور: القرآن، أو المنتسخ من اللوح المحفوظ، أو التوراة، أو هي الإنجيل والزبور، أو الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، أو الصحف التي تعطى يوم القيامة بالأيمان والشمائل »[6].

11- ابن كثير: « ((وكتاب مسطور)) قيل هو اللوح المحفوظ، وقيل الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً، ولذا قال ((في رق منشور)) »[7].

12- المحلي[8]. 13- الثعالبي[9].

14- الألوسي[10]. 15- القنوجي[11].

16- السعدي: « ((وكتاب مسطور)) يحتمل أن المراد به اللوح المحفوظ، الذي كتب الله به كل شيء. ويحتمل أن المراد به القرآن الكريم، الذي هو أفضل كتاب، أنزله الله محتوياً على نبأ الأولين والآخرين، وعلوم السابقين واللاحقين »[12].

17- سيد قطب[13].

ذكرتُ كلام من ذكرت اختصاراً وبُعداً عن التكرار

---

[1]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/213).
[2]() زاد المسير لابن الجوزي (7/216).
[3]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/199).
[4]() لباب التأويل للخازن (6/206).
[5]() التسهيل لابن جزي (4/128).
[6]() البحر المحيط لأبي حيان (9/566).
[7]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/239).
[8]() تفسير الجلالين ص(442).
[9]() جواهر الحسان للثعالبي (4/214).
[10]() روح المعاني للآلوسي (27/27).
[11]() فتح البيان للقنوجي (13/218).
[12]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(813).
[13]() في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3393).

ولوضوح عباراتهم.

تعقيب الباحث:
قبل أن أرجح في هذا الموضع أحب أن أعرض لك -عزيزي القارئ- ما ذكره بعض المفسرين من أدلة على بعض الأقوال:
1- من أيدوا أن الكتاب المسطور يراد به القرآن الكريم استدلوا بعدة أمور:
أ - أن الله [illegible] « [illegible]:
[illegible] وقوله تعالى: [illegible] [سورة يس: 1-2] »[1].
ب- يقول ابن القيم -في معرض ترجيحه أن المراد بالكتاب المسطور القرآن الكريم-: «... وقيل هو القرآن الكريم؛ ولعل هذا أرجح الأقوال؛ لأنه سبحانه وصف القرآن بأنه: [illegible] »[2].
جـ- لقد ورد في الآيات الطور والبيت المعمور معرفان بأل، وأما ((كتاب مسطور)) جاء نكرة، وقد استدل المفسرون بهذا التنكير على أن المراد به القرآن الكريم، فإنه قد « نكر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب »[3]، ويقول الفخر الرازي: « ما الحكمة في تنكير الكتاب وتعريف باقي الأشياء؟

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/683).
[2] () بدائع التفسير لابن القيم (4/252).
[3] () مدارك التنزيل للنسفي (4/144)، الكشاف للزمخشري (4/398)، فتح البيان للقنوجي (13/218).

نقول ما يحتمل الخفاء من الأمور الملتبسة بأمثالها من الأجناس يعرف باللام، فيقال رأيت الأمير ودخلت على الوزير، فإذا بلغ الأمير الشهرة بحيث يؤمن الالتباس مع شهرته، ويريد الواصف وصفه بالعظمة، يقول اليوم رأيت أميراً ماله نظير جالساً وعليه سيما الملوك وأنت تريد ذلك الأمير المعلوم، والسبب فيه أنك بالتنكير تشير إلى أنه خرج عن أن يعلم ويعرف بكنه عظمته. وهنا الطور ليس في الشهرة بحيث يؤمن اللبس عند التنكير، وكذلك البيت المعمور، وأما الكتاب الكريم فقد تميز عن سائر الكتب، بحيث لا يسبق إلى أفهام السامعين من النبي لفظ الكتاب إلا ذلك، فلما أمن اللبس وحصلت فائدة التعريف سواء ذكر باللام أو لم يذكر قصداً للفائدة الأخرى وهي في الذكر بالتنكير، وفي تلك الأشياء لما لم تحصل فائدة التعريف إلا بآلة التعريف استعملها »[1]، « ففي التنكير كمال التعريف والتنبيه على أن ذلك الكتاب لا يخفى نكّر أو عرّف »[2].

2- الذين أيّدوا أن الكتاب المسطور ربما يصح أن يراد به التوراة؛ استدلوا بذكر الطور قبله، « التوراة بسبب الطور »[3]، « والكتاب المسطور في رق منشور، الأقرب أن يكون هو كتاب موسى -[illegible]- »[4]« [illegible] »[5].

3- وأما أنه قد يراد بالكتاب المسطور: اللوح المحفوظ فيؤيده ما بعده «... وقيل: هو اللوح المحفوظ تمشياً مع ما بعده: البيت المعمور، والسقف المرفوع »[6].

---

[1] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/199).
[2] () روح المعاني للألوسي (27/27).
[3] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/213).
[4] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3393).
[5] () التحرير والتنوير لابن عاشور (27/37).
[6] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3393).

4- أما احتمال أن يراد به « صحائف الأعمال؛ فمن آخذ كتابه بيمينه ومن آخذ كتابه بشماله، فنظيره قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الإسراء: 13]، وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة التكوير: 10] »[1].

5- أبوحيان رجّح أن اللفظ يجب أن يحمل على العموم، فإنه -بعد أن استعرض الأقوال المحتملة في المراد بالكتاب المسطور- قال: « ولا ينبغي أن يحمل شيء منها على التعيين، وإنما تورد على الاحتمال »[2].

والذي يظهر لي -والله أعلم- تأييد ما قاله الإمام أبوحيان. والله أعلم بالصواب.

❁ ❁ ❁

معنى قوله تعالى ﴿ ﴾

88- قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الطور: 47].

مجمل الأقوال الواردة:
1- أنه عذاب القتل يوم بدر.
2- أنه عذاب القبر.
3- مصائبهم في الدنيا.
4- عذاب الجوع[3].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « الظاهر أن قوله ((عذاباً دون ذلك)) هو ما عذبوا به في دار الدنيا من القتل وغيره، لما دل على ذلك قوله ﴿ ﴾

---

[1] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/59) حكاه عن الفراء.
[2] () البحر المحيط لأبي حيان (9/566)..
[3] () الأقوال الأربعة ذكرها ابن الجوزي مجتمعة في زاد المسير (7/224).

 [سورة السجدة: 21]، وقوله تعالى: [سورة التوبة: 14] إلى غير ذلك من الآيات. ولا مانع من دخول عذاب القبر في ذلك، لأنه قد يدخل في ظاهر الآية، وما قيل في معنى الآية غير هذا لا يتجه عندي. والعلم عند الله تعالى »[1].

إذاً الشيخ الشنقيطي يرى أن ((عذاباً دون ذلك)) يصح أن يراد به ما عذب به الكفار من القتل ببدر ونحوه، أو ما يرقوه من عذاب القبر.

الموافقون:

إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي ذهب كل من:

1- ابن القيم: « ((وإن للذين ظلموا عذاباً بدون ذلك)) وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ؛ وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا. وقد يقال -وهو أظهر- أن من مات منهم عذب في البرزخ، ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ »[2].

2- السعدي: « لما ذكر الله عذاب الظالمين في القيامة، أخبر أن لهم عذاباً دون عذاب يوم القيامة، وذلك شامل لعذاب الدنيا، بالقتل والسبي والإخراج من الديار، ولعذاب البرزخ والقبر »[3].

المخالفون:

المخالفون هنا على فئات:

أ- الذين حملوا الآية على إرادة المعاني الأربعة المذكورة في مجمل الأقوال « القتل ببدر ونحوه،عذاب القبر، المصائب في الدنيا، القحط »، منهم:

1- ابن الجوزي[4]. 2- القرطبي[5].

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/695).
[2] () بدائع التفسير لابن القيم (4/269).
[3] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(818).
[4] () زاد المسير لابن الجوزي (7/224).
[5] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/78).

3- أبوحيان[1].
4- الثعالبي[2]. 5- الشوكاني[3].
6- القنوجي[4].

ب- الذين حملوا الآية على إرادة ثلاثة من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال، وهؤلاء نوعان:
النوع الأول: الذين حملوا على أن المراد بالعذاب: « القتل ببدر ونحوه وعذاب القبر، والقحط »، وهم:
1- البغوي[5]. 2- النسفي[6]. 3- الزمخشري[7].
4- الخازن[8]. 5- ابن جزي[9]. 6- البيضاوي[10].
7- البقاعي[11].
النوع الثاني: الذين حملوا على أن المراد بالعذاب: « عذاب القبر، والمصائب في الدنيا، والقحط »، وهم:
1- الطبري[12]. 2- الماوردي[13].
3- القاسمي[14].

جـ- الذين حملوا الآية على إرادة معنيين من المعاني

---

[1]() البحر المحيط لأبي حيان (9/577).
[2]() جواهر الحسان للثعالبي (4/221).
[3]() فتح القدير للشوكاني (5/102).
[4]() فتح البيان للقنوجي (13/237).
[5]() مختصر البغوي (2/896).
[6]() مدارك التنزيل للنسفي (4/147).
[7]() الكشاف للزمخشري (4/404).
[8]() لباب التأويل للخازن (6/211).
[9]() التسهيل لابن جزي (4/134).
[10]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/234).
[11]() نظم الدرر للبقاعي (19/36).
[12]() جامع البيان للطبري (27/22).
[13]() النكت والعيون للماوردي (5/386).
[14]() محاسن التاويل للقاسمي (15/5549).

المـذكورة فـي مجمـل الأقـوال « القتـل بـدر ونحـوه والقحط » -يعني غير ما رجحهما الشنقيطي- وهم:
1- المحلي[1].
2- ابن عاشور[2].

د- الذين حملوا الآية على إرادة معنى واحد فقط، وهم:
1- الواحدي: «... وهو الجوع والقحط سبع سنين »[3].
2- ابن كثير: « أي نعذبهم نبتليهم بالمصائب »[4].

تعقيب الباحث:
الظاهر -والله أعلم- أن الراجح هنا حمل الآية على جميع المعاني المذكورة، يدل لذلك أمور:
1- أن ذكر جميع المعاني أو معظمها هو ما سار عليه الغالبية العظمى من المفسرين، وهذا أشبه أن يكون إجماعاً منهم على صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة.
2- التصريح من بعض المفسرين بصحة حمل الآية على الجميع، يقول الطبري: « ولم يخصص الله نوعاً من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عمّ، فقال ((وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك)) فكل ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة »[5]، والثعالبي يقول: «... يحتمل أن يكون المراد الجميع »[6]، ويقول القاسمي « اللفظ صادق بالجميع »[7].

وعوداً على بدء فلا مانع من أن يراد بالعذاب الذي دون يوم القيامة أي نوع من الأنواع المذكورة؛ فكلها أنواع عذاب تقع على الكفرة. والله أعلم بالصواب.

---

[1]() تفسير الجلالين ص(444).
[2]() التحرير والتنوير لابن عاشور (27/82).
[3]() الوجيز للواحدي (2/1037).
[4]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/245).
[5]() جامع البيان للطبري (27/22).
[6]() جواهر الحسان للثعالبي (4/221).
[7]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5549).

□ □ □

المراد بالنجم في قولـه تعالى [illegible]

89- قولــه تعـالى: [illegible] [سورة النجم: 1-4].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلـف فـي تعيين المـراد بـالنجم فـي قولــه تعـالى ((والنجم إذا هوى)) على أقوال:

1- أن المراد بها نجوم القرآن الكريم، لأنه كـان ينـزل نجومـاً، أي مفرقاً.

2- أن المراد به جنس النجوم.

3- أن يراد به نوعاً معيناً من النجوم وهو الثريا[1].

4- أن يراد به نوعاً معيناً من النجوم وهو الزهرة[2].

5- أن يراد به نوعاً معيناً من النجوم وهو الشعرى[3].

6- أن يراد به نوعاً معيناً من النجوم وهو الشهب الـتي ترمـي على الشياطين مسترقي السمع[4].

7- أن المراد بالنجم: النبات الذي لا ساق لـه.

8- أن النجم: محمد ﷺ[5].

9- أن المراد: الصحابة رضوان الله عليهم[6].

10- أن المراد: العلماء[7].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « أظهر الأقوال عندي وأقربها للصواب في نظري، أن المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة، وبمواقع النجوم في

---

[1] () الأقوال (1، 2، 3) ذكرها ابن جزي في التسهيل (4/135).

[2] () ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (4/246).

[3] () ذكره سيد قطب في ظلال القرآن الكريم (6/3406).

[4] () ذكره ابن القيم في بدائع التفسير (4/274).

[5] () القولان (7، 8) ذكرهما الشوكاني في فتح القدير (5/105).

[6] () ذكره أبوحيان في البحر المحيط (10/9).

[7] () ذكره الألوسي في روح المعاني (27/44).

الواقعة[1]، هو نجوم القرآن الكريم الذي نـزل بهـا الملـك نجمـاً فنجماً، وذلك لأمرين:

أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى، أن ... حق ... غوى ... ينطق ... موافق ... أقسم ... قوله تعالى ... [سورة الواقعـة: 77-80] والإقسـام بـالقرآن علـى صـحة رسالة النبي وعلى صدق القرآن العظيم وأنه منزل من الله ؛ جاء موضحاً فـي آيـات مـن كتـاب اللـه ، كقوله تعالى: ... [سـورة يــس: 1-5]، وقــوله تعــالى: ... [سورة الزخرف: 1-4]، وخير ما يفسـر بـه القـرآن القرآن.

والثاني: أن كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم، هـو القـرآن العظيم أنسـب، لقـوله بعـده ... [سـورة الواقعـة: 76]، لأن هذا التعظيم من الله يدل على أن هذا المقسـم بـه في غاية العظمة.

ولاشك أن القرآن الكريم الذي هو كلام اللــه أنسـب لذلك من نجوم السماء ونجم الأرض. والعلم عنـد اللـه تعـالى »[2].

الشـيخ الشـنقيطي يرجـح إذاً أن المـراد بـالنجم فـي

---

[1] هــو قولـــه تعــالى: ... [:].

[2] أضواء البيان للشنقيطي (7/701).

قولـه تعالى ((والنجم إذا هوى)): نجم القـرآن، يعنـي الجملـة النازلة من القرآن الكريم، فإنه نزل على النبي ﷺ أنجماً منجماً في ثلاثة وعشرين عاماً.

ولم أجد في هذا الموضع من ذهب إلى مثل مـا ذهـب إليه الشنقيطي، وعليه فلا يوجد هنا موافقون.

المخالفون:

وهم أكثريـة مـن المفسـرين فسـروا الآيـة بخلاف مـا فسره الشنقيطي، ويمكن تقسيمهم إلى فئات:

أ- من حملوا لفظ النجم على واحد فقط من المعاني الواردة، منهم:

1- الطبري: « والصواب من القـول فـي ذلـك عنـدي: أنـه عنى بالنجم في هذا الموضع الثريـا، وذلـك أن العـرب تدعوها النجم »[1].

2- المحلي[2]: [مثل الطبري].

3- الشوكاني: « قولـه تعالى ((والنجم إذا هوى)) التعريف للجنس، والمراد به جنس النجوم، وبه قال جماعة من المفسـرين. [ثـم ذكـر أقـوالاً أخـرى وقـال بعـدها:] والأول أولى »[3].

4-5-6-7- القنـــوجي[4]، القاســـمي[5]، الســـعدي[6]، وابـــن عاشور[7]: [مثل الشوكاني].

8- سيد قطب: « وأقرب ما يـرد علـى الـذهن أنهـا إشـارة إلى الشـعرى، الـتي كـان بعضـهم يعبـدها، والـتي ورد ذكرها في السورة فيما بعد قولـه: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭽ [سورة النجم: 49] »[8].

---

[1] () جامع البيان للطبري (27/24).
[2] () تفسير الجلالين ص(444).
[3] () فتح القدير للشوكاني (5/105).
[4] () فتح البيان للقنوجي (13/243).
[5] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5554).
[6] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(818).
[7] () التحرير والتنوير لابن عاشور (27/89).
[8] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3406).

ب- الذين حملوا لفظ النجم على اثنين أو أكثر من المعاني الواردة على اعتبار أن كل ما أوردوه يصح اعتباره تفسيراً للفظ النجم في الآية، وسأذكر كلام بعضهم وأحيل إلى البقية اختصاراً؛ فمنهم:

1- الواحدي: « ((والنجم إذا هوى)) أي والثريا إذا سقطت، وقيل: القرآن إذا نزل متفرقاً نجوماً »[1].

2- النسفي: « ((والنجم)) أقسم بالثريا أو بجنس النجوم ((إذا هوى)) إذا غرب أو انتثر يوم القيامة »[2].

3- ابن الجوزي: «... وفي المراد بالنجم خمسة أقوال:
أحدها: أنه الثريا.
الثاني: الرجوم من النجوم، يعني ما يرمى به الشياطين.
الثالث: أنه القرآن نزل نجوماً متفرقة.
الرابع: نحوم السماء كلها.
الخامس: أنها الزُّهرة.
فعلى قول من قال: النجم الثريا؛ يكون (هوى) بمعنى: غاب. ومن قال: هو الرجوم؛ يكون هويها في رمي الشياطين. ومن قال: القرآن يكون معنى (هوى): نزل. ومن قال: نجوم السماء كلها: ففيه قولان:
أحدهما: أنّ هُويها أن تغيب. والثاني: أن تنتثر يوم القيامة »[3].

4- ابن جزي: « ((والنجم إذا هوى)) فيه ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها الثريا؛ لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى هوى غرب وانتثر يوم القيامة.
الثاني: أنه جنس النجوم، ومعنى هوى كما ذكرنا؛ أو انقضّت ترجم الشياطين.
الثالث: أنه من نجوم القرآن وهي الجملة التي تنزل، و (هوى) على هذا معناه نزل »[4].

5- البيضاوي: « ((والنجم إذا هوى)) أقسم بجنس النجوم، أو الثريا فإنه غلب لها. إذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو

---

[1] () الوجيز للواحدي (2/1038).
[2] () مدارك التنزيل للنسفي (4/147).
[3] () زاد المسير لابن جزي (7/227).
[4] () التسهيل لابن جزي (4/135).

انقضّ أو طلع، فإنه يقال هوى هَوياً بالفتح إذا سقط وغرب، وهُويا بالضم إذا علا وصعد. أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل. أو النبات إذا سقط على الأرض، أو إذا نما وارتفع »[1].

6- البقاعي: «... أقسم أول هذه السورة بالنجم، وعبّر بعبارة تفهم عروجه وصعوده، لأنه لا يغيب في الأفق الغربي واحد من السيارة إلا وطلع من الأفق الشرقي في نظير له منها لما يكون عند ذلك من تلك العبارة العالية، والأذكار الزاكية، مع ما فيه من عجيب الصنع الدال على وجدانية مبدعه من زينة السماء التي فهيا ما توعدون والحراسة من المردة حفظاً لنجوم الكتاب والاهتداء به في الدين والدنيا، وغير ذلك من الحكم التي يعرفها الحكماء، فقال تعالى: ((والنجم)) أي هذا الجنس من نجوم السماء، أو القرآن لنزوله منجماً مفرقا -وهم يسمّون التفريق تنجيماً- أو النبات. ((إذا هوى)) أي نزل للأفول أو لرجم الشياطين عند الاسترق، إن كان المراد السمائي، فكانت عنده العبادة والاستغفار والدعاء للملك الجبار بالأسحار، أو صعد فكان به اهتداء المصلى والقارئ والساري، فإنه يقال هوى هَويا -بالفتح- إذا سقط، و-بالضم- إذا علا وصعد. أو نزل به الملك للإسعاد[2] وللإبعاد إن كان المراد القرآني لما يحصل من البركات في الدين والدنيا والشرح للصدور، والاطلاع على عجائب المقدور. أو إذا سقط منبسطا على الأرض أو ارتفع عنها إن كان المراد النبات، لما فيه من غريب الصنعة وجليل التقدير الدال على عام القدرة وكمال العلم والتوحد بالملك والغنى المطلق »[3].

ونحواً من أقوال من ذكرت جاءت أقوال غيرهم

---

[1] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/235).

[2] () في الأصل قال (للإصعاد) بالصاد، ويظهر لي أنه خطأ مطبعي، والصحيح ما أثبته بالسين. والله أعلم.

[3] () نظم الدرر للبقاعي (19/41).

ومنهم: الماوردي[1]، والبغوي[2]، والزمخشري[3]، والنيسابوري[4]، والقرطبي[5]، والخازن[6]، وابن القيم[7]، وأبوحيان[8]، وابن كثير[9]، والثعالبي[10]، والألوسي[11].

تعقيب الباحث:

الذي يظهر -والله أعلم- صحة حمل لفظ النجم في قوله تعالى ((والنجم إذا هوى)) على أن يراد به الجملة النازلة من القرآن الكريم أو جنس النجوم عموماً مع احتمال إرادة أفراد النجوم المذكورة في الأقوال (3، 4، 5، 6)، وهاك أدلة على ذلك:

1- يقول الشيخ الشنقيطي في استدلاله على أن لفظ النجم يراد به الجملة النازلة من القرآن الكريم: «... يدل على ذلك أمران:

أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله ﷻ [illegible] والإقسام بالقرآن الكريم على صحة رسالة النبي ﷺ وعلى صدق القرآن العظيم وأنه منزل من الله ﷻ، جاء موضحاً في آيات من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى ﷻ

---

[1]() النكت والعيون للماوردي (5/389).
[2]() مختصر البغوي (2/897).
[3]() الكشاف للزمخشري (4/407)
[4]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/215).
[5]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/82).
[6]() لباب التأويل للخازن (6/212).
[7]() بدائع التفسير لابن القيم (4/273).
[8]() البحر المحيط لأبي حيان (10/9).
[9]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/246).
[10]() جواهر الحسان للثعالبي (4/222).
[11]() روح المعاني للألوسي (27/44).

[سورة يس: 1-5]، وقوله تعالى: [سورة الزخرف: 1-4]، وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

والثاني: أن يكون المقسم به المعبر عنه بالنجوم هو القرآن العظيم أنسب لقوله بعده [سورة الواقعة: 77]. التعظيم من الله ﷻ يدل على أن هذا المقسم به في غاية العظمة.

ولا شك أن القرآن الذي هو كلام الله ﷻ أنسب لذلك من نجوم السماء ونجوم الأرض, والعلم عند الله تعالى »[1].

2- الإمام ابن القيم رغم أنه رجح أن المراد بها النجوم التي تُرمى بها الشياطين إذا سقطت في آثارها عند استراق السمع، إلا أنه ربط بين إرادة هذا المعنى وإرادة معنى نجوم القرآن الكريم؛ أي الجملة النازلة منه، فبعد أن ذكر أن النجم يراد به النجوم التي ترمى بها الشياطين إذا سقطت في آثارها عند استراق السمع، قال: « وهو أظهر الأقوال، ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله سبحانه آية وحفظاً للوحي من استراق الشياطين له على أن ما أتى به رسوله حق وصدق، لا سبيل للشيطان ولا طريق له إليه، بل قد أحرس بالنجم إذا هوى رصداً بين يدي الوحي وحرساً له، وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور، وفي المقسم به دليل على المقسم عليه. وبين المقسم به والمقسم عليه من التناسب ما لا يخفى، فإن النجوم التي ترمى بها الشياطين آيات من آيات الله

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/71).

لهذه النجوم الهاوية »[2].

3- في حين أن الإمام البقاعي زاد على إرادة نجوم السماء وبالذات الشهب لحفظها لنجوم القرآن الكريم النازلة، نجوم الأرض وهو النبات؛ لما فيه من الدلالة على عجيب صنع الله ﷻ. وقد ذكرت كلام البقاعي قبل قليل تحت فقرة (المخالفون).

4- ومما يدل على إرادة أنواع معينة من النجوم أيضاً، ما ورد في هذه السورة نفسها، وهو قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة النجم: 49].

5- ومن أدلة إرادة عموم النجوم، قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة النحل: 16]، وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة التكوير: 2]، وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الانفطار: 2]. ونحوها.

6- أما ما عدا ذلك من الأقوال فليس له من الأدلة ما يرجحه ويقوّيه. والله أعلم بالصواب.

❁ ❁ ❁

---

[2] () بدائع التفسير لابن القيم (4/275).

معنى [illegible]

90- قولـه تعـالى: [illegible]

مجمل الأقوال الواردة:

1- ((من نطفة إذا تمنى)) أي تصب فـي الرحـم، يقـال: مَنَـى الرجل وأَمْنَى.

2- ((من نطفة إذا تمنى)) أي تقدَّر، يقـال: منيـت الشـيء إذا قدرته[1].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: « ذكر جل وعلا فـي هـذه الآيـة الكريمـة أنـه خلـق الزوجيـن أي النوعين الذكر والأنثى من نطفة، وهي نطفة المني إذا تمنـى؛ أي تصب وتراق في الرحم، على أصح القولين.

ويدل عليه قولــه تعـالى: [illegible][2].

وقال بعض العلماء: من نطفة إذا تمنى أي تقـدّر، بـأن يكون الله [illegible] قدر أن ينشأ منها حمـل، مـن قـول العـرب، منـى الماني إذا قدر[3] »[4].

الشـيخ الشـنقيطي يـرى أن معنـى ((مـن نطفـة إذا تمنى)): أي تصب وتراق في الرحم.

الموافقون:

---

[1] () القولان ذكرهما البغوي، مختصر البغوي (2/901).

[2] () انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(1721). باب الواو واليـاء، فصل الميم.

[3] () المرجع السابق، نفس الصفحة.

[4] () أضواء البيان للشنقيطي (7/711).

ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي عدد قليل من المفسرين، منهم:

1- الطبري: « وقوله ((من نطفة إذا تمنى)).. يقول تعالى ذكره خلق ذلك من نطفة إذا أمناه الرجل والمرأة »[1].

2- الواحدي: « ((إذا تمنى)) أي تصبّ في الرحم »[2].

3- النسفي: « ((إذا تمنى)) إذا تدفق في الرحم، يقال منَىَ وأمْنَى »[3].

4- المحلي: « ((إذا تمنى)) يصب في الرحم »[4].

5- البقاعي: « ((وأنه خلق الزوجين)) ثم فسرها بقوله « الذكر والأنثى » فإنه لو كان ذلك في غيره لمنع البنات لأنها مكروهة لكل أحد، ثم ذكر ما يظهر ولابد أنه من صنعة فتسبب أن مادة الاثنين واحدة وهو الماء الذي هو أشد الأشياء امتزاجاً، فقال ((من نطفة)) وصور كونها منها بقوله ((إذا تمنى)) أي تراق وتدفق بالفعل لا قبل ذلك ليمكن فيه طعن بأنه كان بدؤا أو غيره بل أنتم تعلمون أنه لا يخلق الولد إلا بعد الإمناء بالفعل »[5].

وبنحو هذا قد قال كل من: ابن جزي[6]، وابن كثير[7]، والقاسمي[8]، وسيد قطب[9]، وابن عاشور[10].

المخالفون:

لم يجزم أحد من المفسرين بترجيح القول الآخر؛ المخالف لما رجحه الشنقيطي، وإنما -غير الموافقين- قد ذكروا القولين كليهما عند بيانهم لمعنى الآية على اعتبار صحة حمل الآية على كلا المعنيين، منهم:

---

[1] () جامع البيان للطبري (27/44).
[2] () الوجيز للواحدي (2/1043).
[3] () مدارك التنزيل للنسفي (4/151).
[4] () تفسير الجلالين ص(446).
[5] () نظم الدرر للبقاعي (19/75).
[6] () التسهيل لابن جزي (4/141).
[7] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/259).
[8] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5587).
[9] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3417).
[10] () التحرير والتنوير لابن عاشور (27/145).

1- الماوردي: « ((من نطفة إذا تمنى)) وجهان:
أحدهما: إذا تخلق وتقدر. الثاني: إذا نزلت في الرحم »[1].
2- البغوي[2]. 3- الزمخشري[3].
4- النيسابوري: « ((إذا تمنى)) تُسال وتُصب، أو تخلق وتقدّر »[4].
5- ابن الحوزي[5]. 6- الفخر الرازي [6].
7- القرطبي[7]. 8- الخازن[8].
9- أبوحيان[9]. 10- البيضاوي[10].
11- الشوكاني[11]. 12- الألوسي[12].
13- القنوجي[13].

واختصرت في ذكر أقوال المفسرين بُعداً عن التكرار، ولأن كلامهم لا يخرج عن أقوال المذكورين.

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن الراجح تفسير لفظ ((إذا تمنى)) أي تُصب وتُراق في الرحم، يدل لذلك:

1- دلالة آيات أخرى على معنى الصب والإراقة، كقوله تعالى [illegible] [سورة الواقعة: 58-59]، وقوله تعالى: [illegible]

---

[1] () النكت والعيون للماوردي (5/405).
[2] () مختصر البغوي (2/901).
[3] () الكشاف للزمخشري (4/417).
[4] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/218).
[5] () زاد المسير لابن الجوزي (7/239).
[6] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/281).
[7] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 017/118).
[8] () لباب التأويل للخازن (6/224).
[9] () البحر المحيط لأبي حيان (10/25).
[10] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/237).
[11] () فتح القدير للشوكاني (5/116).
[12] () روح المعاني للألوسي (27/68).
[13] () فتح البيان للقنوجي (13/275).

 [سورة القيامة: 37]، فيحمل اللفظ في محل النزاع على ما حمل ما يشبهه من الآيات، وهذا من باب تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أحسن وأقوى أنواع التفسير[1].

2- اتفاق عدد كبير من المفسرين عليه قديماً وحديثاً، وهذا يشبه أن يكون إجماعاً منهم عليه.

3- كون القول الآخر لم يجزم بترجيحه أحد من المفسرين.

4- أن القول الآخر وهو أن ((تمنى)) يعني: تقدّر؛ وإن كان صحيحاً من ناحية اللغة إلا أن تفسير ((إذا تمنى)) أي تصب وتراق أولى لما سبق بيانه قريباً من تفسير القرآن بالقرآن.

5- فائدة جليلة: اتفق على ذكرها عدد من المفسرين بعبارات متنوعة:

الفخر الرازي: « وقوله ((من نطفة)) تنبيه على كمال القدرة لأن النطفة جسم متناسب الأجزاء،ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة وطباعاً متباينة، وخلق الذكر والأنثى منها أعجب ما يكون، ولهذا لم يقدر أحد أن يدعيه كما لم يقدر أحد على أن يدعي خلق السماوات، ولهذا قال تعالى: [سورة الزخرف: 87]، كما قال [سورة الزمر: 38] »[2].

الخازن: «... وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لأن النطفة شيء واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة وطباعاً متباينة، وخلق منها الذكر والأنثى، وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته، ولهذا لم يؤكده بأن يقول: وأنه هو خلق؛ لأنه لم يدّع أحد إيجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره، كما لم يقدر أحد أن يدعي خلق السماوات والأرض »[3].

البقاعي: «... ولما كان ذكر الإحياء، وكان تصنيف الولد إلى نوعيه ظاهراً في اختصاصه، بل هو في غاية التعذر

---

[1]() شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127)، قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).

[2]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/281).

[3]() لباب التأويل للخازن (6/224).

على من سواه، أعراه عن مثل التأكيد في الذي قبله »[1].

الألوسي: «... ولم يذكر الضمير على طرز ما تقدم لأنه لا يتوهم نسبة خلق الزوجين إلى غيره »[2]. والله أعلم بالصواب.

معنى قوله تعالى

91- قوله تعالى: [سورة القمر: 10-12].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف المفسرون في بيان المراد من قوله تعالى ((على أمر قد قدر)) على قولين:

1- (قُدِر) بمعنى قضي عليهم، وقدِّر لهم إن كفروا أن يغرقوا.

2- فالتقى ماء السماء وماء الأرض على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر[3].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبيه نوحاً دعاه قائلاً: إن قومه غلبوه سائلاً ربه أن ينتصر له منهم، فأهلكهم بالغرق، لأنه تعالى فتح أبواب السماء بماء منهمر أي متدفق منصبّ بكثرة. وأنه تعالى فجّر الأرض عيوناً، والتفجير: إخراج الماء منها بكثرة، و (أل) في قوله (التقى الماء) للجنس، ومعناه: التقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدر، أي

---

[1] () نظم الدرر للبقاعي (19/75).

[2] () روح المعاني للألوسي (27/68).

[3] () القولان ذكرهما الماوردي في النكت والعيون (5/412).

قدره الله وقضاه.
وقيل: إن معناه أن الماء النازل من السماء والمتفجر من الأرض جعلهما الله بمقدار ليس أحدهما أكثر من الآخر. والأول أظهر »[1].
فالشيخ الشنقيطي إذاً رجح أن معنى ((على أمر قد قدر)) يعني قد قدّره الله وقضاه، وهو إهلاك المكذبين من قوم نوح -.

الموافقون:
1- الطبري: « ((فالتقى الماء على أمر قد قدر)) يقول تعالى ذكره فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله وقضاه »[2].
2- ابن كثير: « ((فالتقى الماء)) أي من السماء والأرض ((على أمر قد قدر)) أي أمر مقدر »[3].
3- المحلي: « ((قد قدر)) قضي به في الأزل وهو هلاكهم غرقاً »[4].
4- السعدي: « ((قد قدر)) أي كتبه الله في الأزل وقضاه، عقوبة لهؤلاء الظالمين الطاغين »[5].
ويمثل هذا قال أيضاً: الواحدي[6]، والنيسابوري[7]، وأبوحيان[8]، والثعالبي[9]، وسيد قطب[10].

المخالفون:
خلاف ما رجحه الشنقيطي، رجح ابن عاشور حيث قال: « ووصف الأمر بأنه ((قد قدر)) أي أتقن وأحكم بمقدار،

---

[1]() أضواء البيان للشنقيطي (7/718).
[2]() جامع البيان للطبري (27/55).
[3]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/263).
[4]() تفسير الجلالين ص(447).
[5]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(825).
[6]() الوجيز للواحدي (2/1047).
[7]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/223).
[8]() البحر المحيط لأبي حيان (10/39).
[9]() جواهر الحسان للثعالبي (4/235).
[10]() في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3430).

يقال: قَدَره بالتخفيف إذا ضبطه وعينه كما قـال تعـالى ﴿ [illegible] ﴾ [سورة القمر: 49] »[1].

في حين أن الغالبية العظمـى مـن المفسـرين جمعـوا القولين عند تفسير الآية، معتبرين صحة حمل الآية عليهما:

1- المـاوردي: « ((فـالتقى المـاء علـى أمـر قـد قـدر)) فيـه وجهان:

أحدهما: فالتقي ماء السماء وماء الأرض على مقـدار لـم يـزد أحدهما على الآخر.

الثاني: « ((قدر)) بمعنى قضي عليهـم، وقـدر لهـم إذا كفـروا أن يغرقوا »[2].

2- البغوي[3]. 3- النسفي[4].

4- الزمخشري[5].

5- ابن الجوزي: « ((على أمر قد قدر)) فيه قولان:

أحدهما: كان قدْر ماء السماء كقَدْر ماء الأرض.

الثاني: قد قُدر في اللوح المحفوظ، يعني: على أمر قد قضـي عليهم، وهو الغرق »[6].

6- الفخر الرازي[7]. 7- القرطبي[8].

8- الخازن[9].

9- ابن جزي[10]. 10- البيضاوي[11].

11- الشوكاني[12].

---

[1]() التحرير والتنوير لابن عاشور (27/183).

[2]() النكت والعيون للماوردي (5/412).

[3]() مختصر البغوي (2/904).

[4]() مدارك التنزيل للنسفي (4/153).

[5]() الكشاف للزمخشري (4/424).

[6]() زاد المسير لابن الجوزي (7/245).

[7]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/296).

[8]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/132).

[9]() لباب التأويل للخازن (6/228).

[10]() التسهيل لابن جزي (4/146).

[11]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/238).

[12]() فتح القدير للشوكاني (5/122).

12- الألوسي[1]. 13- القنوجي[2].
14- القاسمي[3].
وبنحو عبارة الماوردي وابن الجوزي جاء تفسير البقية، فلم أذكره اختصاراً.

تعقيب الباحث:
الذي يظهر -والله أعلم- ترجيح ما ذهب إليه الشنقيطي والموافقون، وذلك لأمور:
1- أن القول الثاني وهو أن المراد بـ ((فالتقى الماء على أمر قد قدر)) أي التقى ماء السماء وماء الأرض على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر، هذا القول ليس منفصلاً عن القول الأول بل إنه يدخل تحته دخولاً كاملاً، فإذا كان الله قد قضى وقدر في الأزل إهلاك المكذبين من قوم نوح - - بالغرق، فإن من تقديره أيضاً كمية الماء النازلة من السماء والمتفجرة من الأرض، المأمورة بإغراقهم « لتنفيذ هذا الأمر المقدر، طائعان للأمر، محققان للقدر »[4].
2- ندرة المخالفين المرجحين للقول الثاني المراد به كمية الماء؛ حيث لم يرجحه سوى ابن عاشور، في حين أن جمهور المفسرين من السلف والخلف؛ إمّا رجحوا القول الأول وهو أن المراد بـ ((على أمر قد قدر)) يعني قد قضاه الله وقدّره في الأزل، وإما ذكروا القولين مجتمعين تحت تفسيرهم للآية على اعتبار صحة حمل الآية عليها.
3- لقد كان كلام الإمام البقاعي واضحاً في ربط القولين ببعضهما، بترجيح أن كل ما حدث أمر قد قدّره الله بما في ذلك الكمية فلم يزد قطرة ولم يهلك غير ما أمر بإهلاكه، يقول: « ((قد قدر)) أي مع كونه مقدوراً عليه في كل وقت بغاية السهولة قد وقع تقديره في الأزل، فلم يستطع أن يزيد على ذلك قطرة فما فوقها ولا أن

---

[1]() روح المعاني للألوسي (27/82).
[2]() فتح البيان للقنوجي (13/292).
[3]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5599).
[4]() في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3430).

يهلك غير من أمرنا بإهلاكه »[1].

4- فائدة: ذكرها الفخر الرازي « ((فالتقى الماء)) وله معنى لطيف، وذلك أنه تعالى لما قال: [illegible] [سورة القمر: 11] ذكر الماء وذكر الانهمار وهو النزول بقوة، فلما قال: [illegible] [سورة القمر: 12] كان من الحسن البديع أن يقول ما يفيد أن الماء نبع منها بقوة »[2] فعبر عنه بالتفجير. والله أعلم بالصواب.

[illegible]

---

[1] () نظم الدرر للبقاعي (19/105).
[2] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/296).

الجواب عن سؤال معروف

92- قولـه تعالى: ﴿ ﴾ [سورة القمر: 41-42].

مجمل الأقوال الواردة:
اختلفت أجوبة العلماء عن السؤال المعروف: وهو أن لفظ ((النذر)) جـاء بـالجمع فـي حيـن أن اللـه تبـارك وتعـالى أرسل لفرعون نـبيين هما موسـى وهـارون عليهمـا السـلام، وجاءت الأجوبة إجمالاً على النحو الآتي:
1- أن المـراد بـ ((النـذر)) موسـى وهـارون وغيرهمـا مـن الأنبياء[1]، لأنهما عرضاً عليهم ما أنذر به المرسلون[2].
2- أن المراد بـ ((النذر)) موسى وهارون عليهما السلام، على أن أقل الجمع اثنان[3].
3- أن النذر مصدر بمعنى الإنذار[4].
4- أن النذر هي الآيات التسع[5] التي أنذرهم بها موسى -[6].
ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « في هذه الآية سؤال معروف، وهو أن الله تبارك وتعالى أرسل لفرعون نبيين هما موسى وهارون -عليهما السلام-، كما قال تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الشعراء: 16]، وهنا جمع النذر في قوله ﴿ ﴾ [سورة القمر: 41]، وللعلماء عن هذا أجوبة:

---

[1] () مدارك التنزيل للنسفي (4/156).
[2] () الكشاف للزمخشري (4/428).
[3] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/145).
[4] () جامع البيان للطبري (27/63).
[5] () قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [سورة الأعراف: 133].
[6] () مختصر البغوي (2/906).

أحدها: أن أقل الجمع اثنان، كما هو مقرر في أصول مالك بن أنس -رحمه الله- وعقده صاحب مراقي السعود بقوله:

أقل معنى الجمع في المشتهر الا ثنان في رأي الإمام الحمير[1]

قالوا ومنه قوله تعالى: [illegible] [سورة التحريم: 4] ولهما قلبان فقط، وقوله [illegible] [سورة النساء: 11]، والمراد بالإخوة اثنان فصاعداً كما عليه الصحابة فمن بعدهم خلافاً لابن عباس، وقوله: [illegible] [سورة طه: 130] وله طرفان فقط.

ومنها: ما ذكره الزمخشري[2] وغيره من أن المراد بالنذر موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون.

ومنها: أن النذر مصدر بمعنى الإنذار.

قال مقيده[3] عفا الله عنه وغفر له: التحقيق في الجواب؛ أن من كذب رسول واحداً فقد كذب جميع المرسلين ومن كذب نذيراً واحداً فقد كذب جميع النذر لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة، وهي مضمون لا إله إلا الله، كما أوضحه تعالى بقوله: [illegible] [سورة الأنبياء: 25]، وقوله تعالى: [illegible] [سورة الزخرف: 45].

---

[1] () البيت من منظومة (مراقي السعود) في أصول الفقه، لعبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي. انظر: نشر البنود على مراقي السعود، وهو شرح له للمنظومة (1/234).

[2] () علماً أن الزمخشري لم يرجح هذا القول الذي حكاه الشنقيطي عنه، وإنما ذكره وذكر غيره، فقال -بعد كلامه المذكور-: « أو جمع نذير وهو الإنذار ». الكشاف للزمخشري (4/428).

[3] () الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-.

وأوضح تعالى أن من كذب بعضهم فقد كذب جميعهم في قوله تعالى: [illegible] [سورة النساء: 150-151]، وأشار إلى ذلك في قوله [illegible] [illegible]: [illegible] [سورة النساء: 152].

وقد أوضح تعالى في سورة الشعراء أن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، وذلك في قوله [illegible] [سورة الشعراء: 105] ثم بين أن تكذيبهم للمرسلين إنما وقع بتكذيبهم نوحاً وحده، حيث فرد ذلك بقوله: [سورة الشعراء: 106] إلى قوله: [سورة الشعراء: 117] وقوله تعالى: [illegible] [illegible]: [illegible]]، ونحو ذلك في قوله تعالى في قصة صالح وقومه[1]، لوط وقومه[2]، وشعيب وأصحاب الأيكة[3]، كما هو معلوم وهو واضح لا خفاء فيه، ويزيده إيضاحاً قوله [illegible] « إنا معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد »[4] يعني أنهم كلهم

---

[1] () الآيات رقم [141-159] من سورة الشعراء.
[2] () الآيات رقم [160-175] من سورة الشعراء.
[3] () الآيات رقم [176-191] من سورة الشعراء.

[4] () أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: [illegible]

متفقون في الأصول وإن اختلفت شرائعهم في بعض الفـروع»[1].

خلاصة: الشيخ الشنقيطي يرى أن المراد بالنذر في قوله تعالى ((ولقد جاء آل فرعون النذر)) موسى وهارون وجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام؛ لأن فرعون كذّب موسى وهارون عليهما السلام وقد أرسلهما الله [illegible]

[illegible]

لم يرجح مثل ترجيح الشيخ الشنقيطي أحد، وعليه فلا يوجد هنا موافقون.

المخالفون:

ويمكن تقسيمهم إلى فئتين:

أ- مَنْ حمل اللفظ على قول واحد فقط، ففسروا الآية بترجيح أحد الأقوال الواردة في مجمل الأقوال، وهم على أنواع بحسب كل قول:

النوع الأول: الذين رجحوا أن المراد بلفظ ((النذر)) موسى وهارون عليهما السلام على اعتبار أن أقل الجمع اثنان، فمنهم:

1- الواحدي[2]. 2- القرطبي[3].
3- المحلي[4].

النوع الثاني: الذين رجحوا أن لفظ ((النذر)) مصدر بمعنى الإنذار، منهم:

1- الطبري[5]. 2- ابن عاشور[6].

[illegible]

-[illegible]-، صحيح مسلم بشرح النووي (15/119).

[1] أضواء البيان للشنقيطي (7/726-728).
[2] الوجيز للواحدي (2/1049).
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/145).
[4] تفسير الجلالين ص(449).
[5] جامع البيان للطبري (27/63).
[6] التحرير والتنوير لابن عاشور (27/208).

النوع الثالث: الذين رجحوا أن المراد هي الآيات التسع التي أنذرهم بها موسى -ﷺ-، فمنهم:

1- الفخر الرازي [1].
2- البيضاوي [2].
3- الشوكاني [3].
4- القنوجي [4].

ب- الفئة الثانية؛ الذين فسروا الآية بحمل اللفظ على أكثر من معنى، وهم أيضاً أنواع بحسب الأقوال التي ذكروها:

النوع الأول: من اعتبر لفظ ((النذر)) محتملاً لأن يراد به موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، أو يراد به جمع نذير وهو الإنذار، فمنهم:

1- النسفي [5].
2- الزمخشري [6].
3- أبوحيان [7].
4- البقاعي [8].
5- الألوسي [9].

النوع الثاني: الذين اعتبروا لفظ ((النذر)) يراد به موسى وهارون عليهما السلام على اعتبار أن أقل الجمع اثنان، وفي نفس الوقت قد يراد بالنذر الآيات التسع التي أيّد الله ﷻ بها نبيّه موسى -ﷺ-، فمنهم:

1- البغوي [10].
2- الخازن [11].

---

[1] () التفسير الكبير الفخر الرازي (10/319).
[2] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/239).
[3] () فتح القدير للشوكاني (5/127).
[4] () فتح البيان للقنوجي (13/304).
[5] () مدارك التنزيل للنسفي (4/156).
[6] () الكشاف للزمخشري (4/428).
[7] () البحر المحيط لأبي حيان (10/47).
[8] () نظم الدرر للبقاعي (19/128).
[9] () روح المعاني للألوسي (27/91).
[10] () مختصر البغوي (2/906).
[11] () لباب التأويل للخازن (6/230).

3- ابن كثير[1]. 4- السعدي[2].

النوع الثالث: من حمل لفظ ((النذر)) على أنه مصدر بمعنى الإنذار، أو يراد به الآيات التسع، منهم: ابن الجوزي[3].

النوع الرابع: من حمل لفظ ((النذر)) على أنه يراد به موسى وهارون عليهما السلام، أو جمع نذير بمعنى الإنذار، أو الآيات التسع، منهم: القاسمي[4].

تعقيب الباحث:

الظاهر -والله أعلم- أن الجواب على السؤال المعروف؛ أن يقال بصحة حمل لفظ ((النذر)) على جميع المعاني الواردة عن المفسرين، فإن لكل قول وجاهةً أن يحمل عليه لفظ ((النذر)) في الآية، وإليك بيانها:

1- القول بأن المراد بالنذر موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهما عرضا على فرعون مجمل رسالة جميع الأنبياء عليهم السلام وهو الدعوة إلى توحيد الله ﷻ، هذا القول تؤيده آيات من كتاب الله ﷻ؛ تبين أن تكذيب رسول واحد = تكذيب جميع المرسلين، فمنها قوله تعالى: ﷻ [سورة الشعراء: 105] وهم إنما يكذبون نوحاً -ﷺ-، وقال عن عاد قوم هود -ﷻ: [سورة الشعراء: 123] وهم إنما كذبوا هوداً -ﷺ-. وغيرهم من الأقوام المكذبة لأنبيائها، قد سبقت الإشارة قريباً تحت ترجيح الشنقيطي إلى عدد من الأقوام.

2- القول بأن النذر يعني موسى وهارون عليهما السلام على اعتبار أن أقل الجمع اثنان، فقد وردت آيات ورد فيها لفظ الجمع والمراد اثنان فقط، كقوله تعالى: ﷻ [سورة طه: 130] وله طرفان فقط.

---

[1] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/269).
[2] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(827).
[3] () زاد المسير لابن الجوزي (7/250).
[4] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5604).

3- أما أن يكون لفظ ((النذر)) مصدر بمعنى الإنذار، فمن ما يدل عليه قوله تعالى: [illegible] [سورة يونس: 101] فالنذر هنا بمعنى « الإنذارات والعِبر »[5]. وكذلك تكرر في سورة القمر نفسها في عدد من الآيات لفظ (نذر) وكلها يراد بها الإنذار، منها قوله تعالى: [illegible] [سورة القمر: 5]، وقوله تعالى: [illegible] [سورة القمر: 16، 18، 21، 30]، وقوله تعالى: [illegible] [سورة القمر: 37، 39].

4- وأما أن يراد بالنذر الآيات التسع التي أنذرهم بها موسى -[illegible]-، فقد جاءت الإشارة إليها في قوله تعالى: [illegible] [سورة الإسراء: 101].

5- وبعد هذا العرض، فلا مانع من حمل لفظ ((النذر)) على جميع المعاني الواردة. والله أعلم بالصواب.

[5] () مفردات القرآن الكريم لمحمد حسن الحميصي ص(220).

المراد بقوله تعالى ﴿ ﴾

93- قولـه تعالى: ﴿ ﴾ [ ]: ﴿ ﴾.

مجمل الأقوال الواردة:
اختلف في المراد بقوله تعالى ((علمـه البيـان)) علـى أقوال:
1- الإفصاح عما في الضمير.
2- تعليم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به[1].
3- ما يقول وما يقال لـه.
4- النطق[2].
5- المنطق والكلام.
6- الخط[3].
7- القرآن الكريم[4].
8- تعليم الإنسان كل ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه[5].
9- الحلال والحرام. 10- الخير والشر.
11- الهداية[6].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: « وقـوله جـل وعلا فـي هـذه الآيـة الكريمـة ((علمـه البيـان)) التحقيق فيه أن المراد بالبيان الإفصاح عما في الضمير.
وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أنه علم الإنسـان البيان قد جاء موضحاً في قولـه تعالى: ﴿ ﴾ [سورة النحل: 4، يس: 77].
وقد امتن الله جل وعلا على الإنسان بأن جعل لـه آلـة البيان التي هي اللسان والشفتان، وذلك فـي قولــه تعـالى: ﴿

---

[1] () القولان (1، 2) ذكرهما البغوي، مختصر البغوي (2/908).
[2] () القولان (3، 4) ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير (7/254).
[3] () القولان (5، 6) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون (5/423).
[4] () ذكره الواحدي في الوجيز (2/1052).
[5] () جامع البيان للطبري (27/67).
[6] () الأقوال (9، 10، 11) ذكرها الماوردي في النكت والعيون (5/423).

[illegible]
[سورة البلد: 8-9] »[1].

المواقفون:

رجح أن المراد بالبيان الإفصاح عما في الضمير؛ عــدد من المفسرين، منهم:

1- النسفي[2].　　　　2- ابن القيم[3].

3- البيضاوي: « ((خلـق الإنسـان، علمـه البيـان)) إيمـاء بـأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهـو التعبير عما في الضـمير وإفهـام الغيـر لمـا أدركـه لتلقـي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع »[4].

4- الثعالبي[5].

5- البقاعي[6].

6- الألولسـي: « ((علمـه البيـان)) لأن البيـان هـو الـذي بـه يتمكن عادة من تعلم القرآن وتعليمه، والمراد به المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير »[7].

7- القاسمي[8].

8- السعدي: « ((علمه البيان)) أي التبيين عمـا فـي ضـميره، وهذا شامل للتعليـم النطقـي والتعليـم الخطـي، فالبيـان الذي ميز اللـه ﷻ بـه الآدمـي علـى غيـره مـن أجـلّ نعمـه، وأكبرها عليه »[9].

9- سيد قطب[10].

10- ابن عاشور[11].

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (4/157).
[2] () مدارك التنزيل للنسفي (4/157).
[3] () بدائع التفسير لابن القيم (4/322).
[4] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/240).
[5] () جواهر الحسان للثعالبي (4/240).
[6] () نظم الدرر للبقاعي (19/144).
[7] () روح المعاني للألوسي (27/99).
[8] () محاسن التأويل للقاسمي (15/5612).
[9] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(828).
[10] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3447).
[11] () التحرير والتنوير لابن عاشور (27/233).

وفيمن ذكرت كلامهم إشارة إلى البقية اختصاراً وبُعداً عن التكرار.

المخالفون:

وهم أنواع بحسب أقوالهم:

أ- من رجّح أن البيان يراد به كل ما يحتاج إليه الإنسان مما بـه الحاجة إليه، فمنهم:

1- الطبري: «... والصواب من القول في ذلك أن يقال معنى ذلك أن الله [illegible] ((illegible)) »[1].

ب- من رجح أن المراد بالبيان تعليم كـل قـوم لسـانهم الـذي يتكلمون به، منهم:

1- الشوكاني[2]. 2- القنوجي[3].

جـ- من رجح أن المراد بالبيان النطق، ومنهم:

1- ابن جزي[4]. 2- المحلي[5]. 3- ابن كثير[6].

د- من رجح أن البيان يعني القرآن، منهم:

1- الواحدي[7]. 2- النيسابوري[8].

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن الراجـح فـي المـراد بـ ((علمـه البيان)) هو ما اختاره الشنقيطي والموافقون، وذلك لأمور:

---

[1] () جامع البيان للطبري (27/67).
[2] () فتح القدير للشوكاني (5/131).
[3] () فتح البيان للقنوجي (13/314).
[4] () التسهيل لابن جزي (4/151).
[5] () تفسير الجلالين ص(449).
[6] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/270).
[7] () الوجيز للواحدي (2/1052).
[8] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/226).

1- أنه هو اختيار الجمهور، كما صرح بذلك أبوحيان[1]، والثعالبي[2].
2- أنه قد دلت آيات أخرى من كتاب الله على أن البيان يراد به الإفصاح عما في داخل النفس بوضوح وحجة، كقوله تعالى: [سورة النحل: 4، يس: 77]، وقوله تعالى: [سورة الزخرف: 18].
3- إن عدداً من الأقوال الواردة في مجمل الأقوال يدخل تماماً تحت القول الأول -وهو اختيار الجمهور وقد رجحه الشنقيطي- وهي الأقوال رقم (2، 3، 4، 5، 6) وذلك أن تعليم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به، وأن يفهم الإنسان ما يقوله وما يقال له، وأن يراد بالبيان النطق أو المنطق والكلام، أو يراد بالبيان الخط، كل هذه المعاني داخلة في معنى الإفصاح عما في الضمير، فإن أهل كل لسان يفصحون بلسانهم سواء بالنطق أو بالخط، ومن يتكلم ويفصح عما في نفسه لابد أن يكون فاهماً لما يقوله وما يقال له، وهكذا نجد ارتباط هذه الأقوال ببعضها، بل ودخولها تحت القول الراجح عند الجمهور؛ وهو أن ((البيان)) يراد به الإفصاح عما في الضمير.
4- لقد جاء كلام بعض المفسرين في شمول البيان للفهم والنطق والخط، يقول ابن القيم: « ((علمه البيان)) والبيان هنا يتناول مراتب ثلاثة كل منها يسمى بياناً:
أحدها: البيان الذهني الذي يميز فيه بين المعلومات.
الثاني: البيان اللفظي الذي يعبر به عن تلك المعلومات ويترجم عنها فيه لغيره.
الثالث: البيان الرسمي الخطي الذي يرسم به تلك الألفاظ فيتبين للناظر معانيها كما يتبين للسامع معاني الألفاظ. فهذا بيان للعين، وذاك بيان للسمع، والأول بيان للقلب. وكثيراً ما يجمع سبحانه بين هذه الثلاثة كقوله تعالى:

---

[1] () البحر المحيط لأبي حيان (10/55).
[2] () جواهر الحسان للثعالبي (4/240).

[سورة الإسراء: 36]، وقوله تعالى: [سورة النحل: 78], ويذم من عدم الانتفاع بها في اكتساب الهدى والعلم النافع كقوله تعالى: [سورة البقرة: 18]، وقوله تعالى: [سورة البقرة: 7] »[1].

5- وإلحاقاً للنقطة السابقة، يقول البقاعي: « ((علمه البيان)) وهو القوة الناطقة، وهي الإدراك للأمور الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغائب بقياسه على الحاضر تارة بالتوسم وأخرى بالحساب ومرة بالعيافة والزجر وطوراً بالنظر في الآفاق وغير ذلك من الأمور مع التمييز بين الحسن والقبيح وغير ذلك مما أودعه -ﷻ- له مع تعبيره عما أدركه بما هو غائب في ضميره وإفهامه للغير؛ تارة بالقول وتارة بالفعل نطقاً وكتابة وإشارة وغيرها، فصار بذلك ذا قدرة على الكمال في نفسه والتكميل لغيره، فهذا تعليم البيان الذي مكن من تعليم القرآن »[2].

6- إن الإفصاح عما في الضمير قد يكون ويتحقق بغير النطق كلغة الإشارة، يقول ابن عاشور: « وأما البيان بغير النطق من إشارة وإيماء ولمح النظر فهو أيضاً من مميزات الإنسان وإن كان دون بيان النطق »[3].

7- من رجح أن ((البيان)) يراد به القرآن الكريم، فقوله مرجوح لأنه يصبح نوعاً من التكرار في الآيات، فقد قال تعالى: [سورة الرحمن:

---

[1]() بدائع التفسير لابن القيم (4/322).
[2]() نظم الدرر للبقاعي (19/144).
[3]() التحرير والتنوير لابن عاشور (27/233).

4-1] فكون أن يراد بلفظ ((البيان)) القرآن الكريم فهـذا تكرار، والأوْلى أن يحمل لفظ ((البيان)) على أن يـراد بـه الإفصاح عما في الضمير؛ لأنه يفيد معنىً جديداً، وقاعدة: « إذا دار الكلام بيـن التأسـيس والتأكيـد فحملـه علـى التأسيس أولى »[1]؛ تؤيد ما قلته. والله أعلم بالصواب.

□ □ □

المراد بالنجم في قولـه تعالى □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□ □

94- قولـه تعالى: □ □□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □ [سورة الرحمن: 6].

مجمل الأقوال الواردة:
اختلف في المراد بالنجم على قولين:
1- أن النجم يراد به نجم السماء، وهو موحد والمراد به جميـع النجوم.
2- أن النجم النبات الذي قد نجـم فـي الأرض وانبسـط فيهـا، ليس لـه ساق. والشجر ما كان على ساق[2].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: « اختلف العلماء في المراد بالنجم في هـذه الآيـة، فقـال بعـض العلماء: النجم هو ما لا ساق لـه من النبات كالبقول، والشـجر هو ما لـه ساق. وقال بعض أهل العلـم: المـراد بـالنجم نجـوم السماء.
قال مقيده[3] عفا الله عنه وغفر لـه: الـذي يظهـر لـي

---

[1]() قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (2/473).
[2]() القولان ذكرهما الماوردي في النكت والعيون (5/424).
[3]() الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

صوابه أن المراد بالنجم هو نجوم السماء، والدليل على ذلك أن الله جل وعلا في سورة الحج صرح بسجود نجوم السماء والشجر، ولم يذكر في آية من كتابه سجود ما ليس له ساق من النبات بخصوصه، ونعني بآية الحج قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [سورة الحج: 18]، فدلت هذه الآية أن الساجد من النجم[1] في آية الرحمن هو النجوم السماوية المذكورة مع الشمس والقمر في سورة الحج، وخير ما يفسر به القرآن القرآن، وعلى هذا الذي اخترناه فالمراد بالنجم النجوم »[2].

الموافقون:

رجّح أن المراد بالنجم في قوله تعالى ((والنجم والشجر يسجدان)) نجوم السماء -مثل الشنقيطي- اثنان من المفسرين، هما:

1- ابن كثير [3]. 2- السعدي[4].

المخالفون:

وهم الذين رجّحوا أن المراد بالنجم النبات الذي لا ساق له، وهو الذي نجم في الأرض وانبسط فيها، منهم:

1- الطبري [5]. 2- الواحدي [6].

3- النسفي [7].

---

[1] () قال الشيخ الشنقيطي: « فدلت هذه الآية أن الساجد من الشجر... » ولعل كلمة الشجر هنا سبق قلم، لأن كلامه حول كلمة النجم، ولذلك أثبتها فاستقامت العبارة.

[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/737).

[3] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/270).

[4] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(829).

[5] () جامع البيان للطبري (27/68).

[6] () الوجيز للواحدي (2/1053).

[7] () مدارك التنزيل للنسفي (4/157).

4- الزمخشري[1].
5- النيسابوري[2].
6- الفخر الرازي[3].
7- الخازن[4].
8- أبوحيان [5].
9- البيضاوي[6].
10- المحلي[7].
11- الألوسي[8].
12- القاسمي[9].

في حين أن عدداً غير قليل من المفسرين حملوا لفظ النجم على إرادة المعنيين، معتبرين صحة كل واحد منهما على وجهه، فمنهم:

1- الماوردي[10].
2- البغوي [11].
3- ابن الجوزي[12].
4- القرطبي[13].
5- ابن جزي[14].
6- الثعالبي[15].
7- البقاعي[16].
8- الشوكاني[17].
9- القنوجي[18].

---

[1]() الكشاف للزمخشري (4/433).
[2]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/226).
[3]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/341).
[4]() لباب التأويل للخازن (7/3).
[5]() البحر المحيط لأبي حيان (10/56).
[6]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/240).
[7]() تفسير الجلالين ص(450).
[8]() روح المعاني للألوسي (27/100).
[9]() محاسن التأويل للقاسمي (15/5613).
[10]() النكت والعيون للماوردي (5/424).
[11]() مختصر البغوي (2/909).
[12]() زاد المسير لابن الجوزي (7/255).
[13]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/154).
[14]() التسهيل لابن جزي (4/151).
[15]() جواهر الحسان للثعالبي (4/248).
[16]() نظم الدرر للبقاعي (19/146).
[17]() فتح القدير للشوكاني (5/131).
[18]() فتح البيان للقنوجي (13/315).

10- سيد قطب[1].

11- ابن عاشور: علل التعبير بلفظ (النجم) في الآية بقوله: « لصلاحيته لأنه يراد منه نجوم السماء، وما يسمى نجماً من نبات الأرض » إلى أن قال: « والنجم يطلق اسم جمع على نجوم السماء؛ قال تعالى: [illegible] [سورة النجم: 1]، ويطلق مفرداً فيجمع على نجوم؛ قال تعالى: [illegible] [سورة الطور: 49]... ويطلق النجم على النبات والحشيش الذي لا سُوق له فهو متصل بالتراب، والشجر: النبات الذي له ساق وارتفاع من وجه الأرض »[2].

تعقيب الباحث:

كلامي في هذا الموضع على نقاط:

1- الذين رجحوا أن المراد بالنجم نجوم السماء؛ استدلوا بآية في كتاب الله تعالى وهي قوله تعالى: [illegible] [سورة الحج: 18]. فذكر في آية سورة الحج النجوم بعد ذكره الشمس والقمر فدل أنها نجوم السماء، ثم ذكر سجود الشجر أيضاً. وعليه فيحمل النجم في قوله تعالى هنا في سورة الرحمن ((والنجم والشجر يسجدان)) على أنه نجوم السماء، وهذا يعتبر من تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أفضل وأقوى أنواع التفسير[3].

2- الذين رجحوا أن النجم يراد به ما لا ساق له من النبات، إستدلوا بسياق الآيات؛ لأن من معاني النجم في اللغة: « أنه النبات الذي نجم على غير ساق »[4]، فاستدلوا بأن «

---

[1] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3448).

[2] () التحرير والتنوير لابن عاشور (27/236).

[3] () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (127)، قواعد التفسير لخالد السبت (1/109).

[4] () القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(1499)، باب الميم فصل النون.

اقترانه بالشجر »[1] لابد أن يكون المراد به النبات الذي على غير ساق لأن الشجر هو ما كان على ساق. واستدلوا أيضاً بأنه تعالى « ذكر في الآيات أموراً علوية (الشمس والقمر) وذكر في مقابلها أموراً سفلية (النجم والشجر) »[2] فيكون النجم مذكوراً في الأمور السفلية ويراد به النبات الذي على غير ساق.

3- أقول: يتضح من استعراض أدلة كل قول استناد كل فريق على قاعدة معروفة من قواعد الترجيح، فمن رجح النبات الذي لا ساق له؛ استند على قاعدة دلالة سياق الآيات، وهي قاعدة معتمدة عند المفسرين[3]. ومن رجح نجوم السماء استند على قاعدة تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أحسن طرق التفسير[4].

4- فهنا تنازعت قاعدتان من قواعد الترجيح، وإذا كانت الحالة هذه، « فإن أولى القواعد بالتقديم هي التي ترجح التفسير الأثري، وأعني به تفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالسنة، فهي مقدمة عند التنازع على كل قاعدة ترجح تفسيراً اجتهاديًا؛ لأن الله تعالى أعلم بما نزّل ورسوله مكلّف ببيان ما نزل »[5]، « والتفسير الأثري إذا صح لا يعارض بتفسير الرأي والاجتهاد، وبظواهر الألفاظ لأنه إما أن يكون للرأي مستند من الوحيين أو لا، فإن كان الأول فلا يتعارض وحيان، وإن كان الآخر فلا يعدو أن يكون اجتهاداً مستنداً إلى القرائن والأمارات لا يقوى على معارضة ما كان مستنده القرآن والسنة »[6].

5- وعليه فالذي يظهر -والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي والموافقون من أن النجم في قوله تعالى: ((والنجم والشجر يسجدان)) يراد به نجوم السماء. والله أعلم بالصواب.

---

[1] () روح المعاني للألوسي (27/100).
[2] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/341) بتصرف.
[3] () قواعد التفسير لخالد السبت (1/249).
[4] () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).
[5] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/58).
[6] () مناهل العرفان للزرقاني (1/533) بتصرف.

95- قولـه تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الواقعة: 13-14].

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول	ثلة من الأولين	قليل من الآخرين
	أن الأولين من الأمم الماضية من لدن آدم -ﷺ- إلى نبينا محمد ﷺ.	إن الآخرين هم من أمة محمد ﷺ[1].

القول الثاني	الأولون هم أول هذه الأمة	الآخرون المتأخرون من هذه الأمة[2].

القول الثالث	أوائل المهاجرين والأنصار	أواخر من جاء من الصحابة[3].

---

[1] () مختصر البغوي (2/916).
[2] () التسهيل لابن جزي (4/161).
[3] () زاد المسير لابن الجوزي (7/279).

القول الرابع	الأولون من أمة كل نبي حيث يكون السابقون كثر في أولها	الآخرون من أمة كل نبي حيث يقل السابقون في آخرها[1].
القول الخامس	المراد بالسابقين: الأنبياء، فإنهم في أول الزمان كثير	وفي آخر الزمان قليل [إلى قبل بعثة نبينا محمد ﷺ فإنه آخر الأنبياء عليهم السلام][2].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « اختلف أهل العلم في المراد بهذه الثلة من الأولين، وهذا القليل من الآخرين المذكورين هنا، كما اختلفوا في الثُّلتين المذكورتين في قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [سورة الواقعة: 39-40]، فقال بعض أهل العلم: كل هؤلاء المذكورين من هذه الأمة، وأن المراد بالأولين منهم الصحابة، وبعض العلماء يذكر معهم القرون المشهود لهم بالخير في قوله ﷺ « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم.. »[3] الحديث، والذين قالوا كلهم من هذه الآمة؛ قالوا: إنما المراد بالقليل، وثلة من الآخرين، هم مَنْ بعد ذلك إلى قيام الساعة.

وقال بعض العلماء: المراد بالأولين في الموضعين الأمم الماضية قبل هذه الأمة، والمراد بالآخرين فيهما هو هذه

---

[1] () التسهيل لابن جزي (4/161).

[2] () المرجع السابق.

[3] () أخرجه البخاري في الباب الأول من كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ « خير أمتي قرني... » ولفظ « خير الناس قرني... ». فتح الباري (7/3).

الأمة.

قال مقيده[1] عفا الله عنه وغفر لـه: ظـاهر القـرآن في هذا المقام أن الأولين في الموضعين من الأمـم الماضـية، والآخرين فيهما من هذه الأمة، وأن قولـه تعالى: [سورة الواقعة: 13-14] في السـابقين خاصـة، وأن قولـه: [سورة الواقعة: 39-40] في أصحاب اليمين خاصة.

وإنما قلنا إن هذا هو ظاهر القـرآن فـي الأمـور الثلاثـة التي هي شمول الآيات لجميع الأمم، وكون قليل من الآخريـن في خصوص السابقين، وكون ثلة مـن الآخريـن فـي خصـوص أصحاب اليمين؛ لأنه واضح من سياق الآيات.

أمـا شـمول الآيـات لجميـع الأمـم فقـد دل عليـه أول السـورة، لأن قولـه تعـالى: [سورة الواقعـة:1] إلى قولـه: [سورة الواقعة: 6] لا شك أنه لا يخص أمـة دون أمـة، وأن الجميـع مسـتوون فـي الأهـوال والحسـاب والجـزاء. فـدل ذلـك علـى أن قولـه: [سورة الواقعة:7] عام في جميع أهـل المحشـر، فظهـر أن السـابقين وأصـحاب اليميـن؛ منهم من هو من الأمم السابقة، ومنهم من هو من هذه الأمة. وعلـى هـذا فظـاهر القـرآن الكريـم أن السـابقين مـن الأمـم الماضـية أكـثر مـن السـابقين مـن هـذه الأمـة، وأن أصـحاب اليمين من الأمم السابقة ليست أكثر من أصحاب اليمين مـن هذه الآمة؛ لأنه عبّـر فـي السـابقين مـن هـذه الآمـة بقـوله: [سورة الواقعة: 14]، وعبّر عن أصحاب اليمين مـن هـذه الآمـة [سورة الواقعة: 40]، ولا غرابـة فـي هـذا؛ لأن الأمـم الماضية أمم كثيرة، وفيها أنبياء كثيرة ورسل، فلا مانع مـن أن يجتمع من سـابقيها مـن لـدن آدم -- إلى محمـد -- أكـثر مـن سابقي هذه الأمة وحدها. أما أصحاب اليميـن مـن هـذه الأمـة فيحتمل أن يكونوا أكثر من أصحاب اليمين مـن جميـع الأمـم؛

---

[1]() الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-.

لأن الثلة تتناول العدد الكثير، وقد يكون أحد العددين الكثيرين أكثر من الآخر، مع أن كلاهما كثير »[1].

خلاصة: الشيخ الشنقيطي يرى أن الأولين يراد بهم من جميع الأمم الماضية من لدن آدم -ﷺ- إلى محمد ﷺ، وأن الآخرين يراد بهم من أمة محمد ﷺ.

الموافقون:

إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي ذهب عدد غير قليل من المفسرين، منهم:

1- الطبري: « ((ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين)) يقول تعالى ذكره جماعة من الأمم الماضية، وقليل من أمة محمد ﷺ وهم الآخرون، وقيل لهم الآخرون لأنهم آخر الأمم »[2].

2- الواحدي: « ((ثلة من الأولين)) جماعة من الأمم الماضية، ((وقليل من الآخرين)) من هذه الأمة. يريد من سابقي الأمم وسابقي هذه الأمة »[3].

3- البغوي: « ((ثلة من الأولين)) أي من الأمم الماضية من لدن آدم -ﷺ- إلى زماننا نبينا ﷺ. والثلة: الجماعة غير محصورة العدد. ((وقليل من الآخرين)) يعني من هذه الأمة »[4].

4- النيسابوري: « ((ثلة)) جماعة، ((وقليل من الآخرين)) لأن الذي سبقوا إلى الإيمان بالنبي ﷺ قليل من كثير ممن سبق إلى الإيمان بالأنبياء قبله »[5].

5- البيضاوي: « ((ثلة من الأولين)) أي هم كثير من الأولين يعني الأمم السالفة من لدن آدم -ﷺ- إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ((وقليل من الآخرين)) يعني أمة محمد عليه الصلاة والسلام »[6].

6- المحلي: « ((ثلة من الأولين)) أي جماعة من الأمم

---

[1] () أضواء البيان للشنقيطي (7/769-771).
[2] () جامع البيان للطبري (27/99).
[3] () الوجيز للواحدي (2/1059).
[4] () مختصر البغوي (2/916).
[5] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/236).
[6] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/243).

الماضية، ((وقليل من الآخرين)) من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة »[1].

7- الشوكاني: « والمراد بالأولين: هم الأمم السابقة من لدن آدم -ﷺ- إلى نبينا ﷺ، ((وقليل من الآخرين)) أي من هذه الأمة »[2].

8- الألوسي: « المعنى جماعة كثيرة من الأولين وهم الناس المتقدمون من لدن آدم إلى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الأنبياء العظام، ((وقليل من الآخرين)) وهم الناس من لدن نبينا ﷺ إلى قيام الساعة »[3].

9- القنوجي: « والمراد بالأولين هم الأمم السابقة من لدن آدم -ﷺ- إلى نبينا ﷺ ومن بينهما من الأنبياء العظام، ((وقليل من الآخرين)) أي من هذه الأمة، وسموّا قليلاً بالنسبة إلى من كان قبلهم، وهم كثيرون لكثرة الأنبياء فيهم، وكثرة من أجابهم »[4].

10- ابن عاشور: «... فالسابقون طائفتان: طائفة من الأمم الماضين ومجموع عددها في ماضي القرون كثير، وطائفة قليلة من الأمة الإسلامية »[5].

المخالفون:

قلة من المفسرين رجحوا أن الفرقتين من هذه الآمة، أعني الأولين والآخرين، منهم:

1- ابن جزي: « الثلة الجماعة من الناس، فالمعنى أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين، والأولون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة »[6].

2- ابن كثير: « القول الراجح هو أن يكون المراد بقوله تعالى ((ثلة من الأولين)) أي من صدر هذه الأمة، ((وقليل من

---

[1] () تفسير الجلالين ص(452).
[2] () فتح القدير للشوكاني (5/148).
[3] () روح المعاني للألوسي (27/134).
[4] () فتح البيان للقنوجي (13/360).
[5] () التحرير والتنوير لابن عاشور (27/291).
[6] () التسهيل لابن جزي (4/161).

الآخرين)) أي من هذه الأمة »[1].

3- السعدي: « ((ثلة من الأولين)) أي جماعة كثيرون من المتقدمين من هذه الأمة وغيرهم، ((وقليل من الآخرين)) وهذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة على متأخريها، لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين، والمقربون هم خواص الخلق »[2].

تعقيب الباحث:

الذي يظهر -والله أعلم- أن ما رجحه الشنقيطي والموافقون هو الراجح، من كون الأولين من الأمم الماضية من لدن آدم -- إلى نبينا محمد ، والآخرين هم من أمة محمد ، يدل لذلك.

1- سياق الآيات يدل على إرادة هذا المعنى فإن الآيات من أول سورة الواقعة فيها ذكر أهوال يوم القيامة، يقول تعالى: [illegible] [سورة الواقعة: 1-6] ومعلوم أن أهوال وأحداث يوم القيامة لا يكون فيها فقط أمة محمد ، إنما جميع من خلق الله من آدم -- إلى قيامة الساعة: « ولا شك أنه لا يخص أمة دون أمة، والجميع مستوون في الأهوال والحساب والجزاء »[3]، « ودلالة سباق الآيات ولحاقها من المرجحات القوية بين الأقوال لدى المفسرين »[4].

2- كثرة القائلين به من أئمة التفسير قديماً وحديثاً أشبه أن يكون إجماعاً منهم عليه، و « إجماع جمهور المفسرين على قول يرجحه على غيره »[5]، وقد قال الفخر الرازي عن القول الراجح المذكور إنه هو « المشهور »[6].

---

[1] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/284).
[2] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(833).
[3] () أضواء البيان للشنقيطي (7/770).
[4] () قواعد التفسير لخالد السبت (1/249).
[5] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/288).
[6] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/392).

3- قلة القائلين بالقول رقم (2) يعني أن يراد بالأولين أول هذه الأمة، وبالآخرين المتأخرين من هذه الأمة؛ تضعفه، مع عدم وضوح دليلهم في ترجيحه.
4- ولم يجزم أحد من المفسرين بترجيح بقية الأقوال رقم (3، 4، 5)، فلا تعتبر.
5- فالراجح إذاً: أن السابقين جماعة كثيرة من مجموع الأمم الماضية من لدن آدم -- إلى نبينا محمد ، وجماعة قليلة من أمة محمد . اللهم اجعلنا منهم بكرمك وفضلك يا أرحم الراحمين.

معنى عُرُبا

96- قولـــه تعـالى: [illegible] [سورة الواقعة: 35-38].

مجمل الأقوال الواردة:
اختلف في تحديد معنى (عُرُباً) على أقوال:
1- المتحببات إلى أزواجهن.
2- الحسنة التبعل.
3- الحسنة الكلام.
4- العاشقة لزوجها؛ لأن عشقها لـه يزيـده ميلاً إليهـا وشـغفاً بها[1].
5- العروب: الغنجة[2]، بلغة أهل المدينة. الشكلة[3]، بلغة أهل مكة[4].
6- أنهـن المتحببـات مـن الضـرائر ليقفـن علـى طـاعته ويتساعدن على مشايعته[5].
7- أو أن معنى عُرُبا: أي كلامهن عربي[6].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: «

---

[1]() الأقوال رقـم (1، 2، 3، 4) ذكرهـا المـاوردي فـي النكـت والعيـون (5/455)، وابن الجوزي في زاد المسير (7/285).
[2]() الغنـج: الشَّـكَلُ، قـاله فـي القـاموس المحيـط ص(256)، وانظـر: الحاشية التالية.
[3]() الشكلة: قال في القاموس المحيط: الشِّكْلُ: بالكسر والفتح: غنج المرأة ودَلُّها وغزلها، فهي شِكْلة. القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(1318) باب اللام، فصل الشين. ونقل ابن عاشور في التحريـر والتنـوير (27/301) عـن نبيه بن الحجاج قولـه:
تلك عريسي غضبى تريد زيالي ألبين أردتِ أم لدلال
[4]() النكـت والعيـون للمـاوردي (5/455)، بـدائع التفسـير لابـن القيـم (4/355).
[5]() ذكره الماوردي في النكت والعيون (5/456).
[6]() حكاه السيوطي في الدر المنثور (6/159)، من رواية ابن أبي حاتم.

وقـوله ((عربـاً)) جمـع عـروب، وهـي المتحببـة إلـى زوجهـا الحسنة التبعل، وهذا هو قول الجمهور. وهو الصواب إن شـاء الله.

ومنه قول لبيد[1]:

وفي الخباء عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر »[2].

الموافقون:

إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي قـد ذهـب كـثير مـن المفسرين، منهم:

1- الطبري: « وقوله ((عرباً)) يقول تعـالى ذكـره فجعلنـاهن أبكاراً غنجات متحببات إلى أزواجهن بحسن التبعل، وهـي جمع واحدهن عروب »[3].

2- الواحدي: « ((عُرباً)) متحببات إلـى الأزواج، عواشـق لهـم »[4].

3- النسـفي: « ((عربـاً)) جمـع عـروب: وهـي المتحببـة إلـى زوجها الحسنة التبعل »[5].

4- الزمخشري: « ((عرباً)): جمع عـروب وهـي المتحببـة إلـى زوجها الحسنة التبعل »[6].

5- النيسابوري: « ((عرباً)) العروب: الحسنة التبعّل، الفطنـة بمراد الزوج كفطنة العرب »[7].

6- البيضاوي: « ((عرباً)) متحببات إلى أزواجهن، جمع عروب »[8].

---

[1]() البيت في شرح ديوان لبيد، للدكتور إحسن عباس ص(61)، ولكنه قال (الحدوج) بدل (الخباء).
ولبيد هو ابن ربيعة بن مالك العامري، من أضخم الجاهليين شعراً وأكثرهم فحولة، أدرك الإسلام وحسن إسلامه. شرح ديوان لبيد ص(17، 403).

[2]() أضواء البيان للشنقيطي (7/775).

[3]() جامع البيان للطبري (27/107).

[4]() الوجيز للواحدي (2/1061).

[5]() مدارك التنزيل للنسفي (4/164).

[6]() الكشاف للزمخشري (4/451).

[7]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/238).

[8]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/244).

7- المحلي: « ((عرباً)) بضم الراء وسكونها جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها عشقاً له »[1].

8- البقاعي: « ((أبكاراً)) أي بكارة دائمة لأنه لا تغيير في الجنة ولا نقص. ولما كان مما جرت به العادة أن البكر تتضرر من الزوج لما يلحقها من الوجع بإزالة البكارة، دل على أنه لا نكد هناك أصلاً بوجع ولا غيره بقوله ((عرباً)) جمع عروب، وهي الغنجة المتحببة إلى زوجها »[2].

9- الألوسي: « (عرباً) متحببات إلى أزواجهن، جمع عروب كصبور وصُبُر، رُوي هذا عن جماعة من السلف، وفسرها جماعة أخرى بغنجات، ولا يخفى أن الغنج ألطف أسباب التحبب »[3].

10- السعدي: « ((عرباً))... والعروب: هي المرأة المتحببة إلى بعلها بحسن لفظها، وحسن هيئتها ودلالها وجمالها ومحبتها، فهي التي إن تكلمت سَبَتِ العقول، ووّد السامع أن كلامها لا ينقضي، خصوصاً عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة والنغمات المطربة، إن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها ملأت قلب بعلها فرحاً وسروراً، وإن برزت من محل إلى آخر، امتلأ ذلك الموضع منها ريحاً طيباً ونوراً، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع »[4].

11- سيد قطب: « ((فجعلناهن أبكاراً)) لم يمسسن ((عرباً))... متحببات إلى أزواجهن »[5].

12- ابن عاشور: « العروب: المرأة المتحببة إلى الرجل، أو التي لها كيفية المتحببة وإن لم تقصد التحبب، بأن تكثر الضحك بمرأى الرجل أو المزاح أو اللهو أو الخضوع في القول أو اللثغ في الكلام بدون علة أو التغزل في الرجل والمساهلة في مجالسته والتدلل وإظهار معاكسة أميال الرجل لعباً لا جِدّاً. وإنما فسروها بالمتحببة لأنهم لما رأوا هاته الأعمال تجلب محبة الرجل للمرأة؛ ظنوا أن المرأة تفعلها لاكتساب محبة الرجل. ولذلك فسر بعضهم:

---

[1] () تفسير الجلالين ص(452).
[2] () نظم الدرر للبقاعي (19/210).
[3] () روح المعاني للألوسي (27/142).
[4] () تيسير الكرم الرحمن للسعدي ص(834).
[5] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3464).

العروب بأنها المغتلمة، وإنما تلك حالة مـن أحـوال بعـض العروب »[1].

ولا يوجد مخالفون في هذا الموضع.

ولكن الذين لم يرجحـوا قـولاً محـدداً، واكتفـوا بسـرد الأقوال كلها أو بعضها عند بيانهم لمعنى الآية، يمكن اعتبـارهم تحت هذا التصنيف، وسـأذكرهم وأشير إلـى أقـوالهم بالإحالـة إلى مجمل الأقوال، اختصاراً وبُعداً عن التكرار والإملال.

1- الماوردي[2]: ذكر الأقوال رقم (1+2+3+4+5+6+7).
2- البغوي[3]: ذكر الأقوال رقم (3+4).
3- ابن الجوزي [4]: ذكر الأقوال رقم (1+2+3+4+5).
4- القرطبي[5]: ذكر الأقوال رقم (1+2+3+4+5).
5- الخازن[6]: ذكر الأقوال رقم (1+3).
6- ابن جزي [7]: ذكر الأقوال رقم (1+3+4).
7- أبوحيان[8]: ذكر الأقوال رقم (1+3+4).
8- ابن كثير[9]:ذكر الأقوال رقم (1+2+3+4+5+7).
9- الثعالبي[10]:ذكر الأقوال رقم (1+3+4+5).
10- الشوكاني[11]:ذكر الأقوال رقم (1+3+4).
11- القنوجي[12]:ذكر الأقوال رقم (1+2+3+4).

تعقيب الباحث:

---

[1] () التحرير والتنوير لابن عاشور (27/301).
[2] () النكت والعيون للماوردي (5/455).
[3] () مختصر البغوي (2/918).
[4] () زاد المسير لابن الجوزي (7/285).
[5] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/211).
[6] () لباب التأويل للخازن (7/16).
[7] () التسهيل لابن جزي (4/163).
[8] () البحر المحيط لأبي حيان (10/82).
[9] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/291).
[10] () جواهر الحسان للثعالبي (4/253).
[11] () فتح القدير للشوكاني (5/152).
[12] () فتح البيان للقنوجي (13/369).

الظاهر -والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي والموافقون من أن لفظة ((عرباً)) يراد بها جمع عروب؛ وهي المتحببة إلى زوجها بحسن التبعل، بما يشمله حسن التبعل من حسن في الأقوال والأفعال، يدل لذلك:

1- كون هذا هو اختيار الجمهور، صرح بذلك الألوسي بقوله عنه إنه « هو الذي عليه الأكثر »[1]، والشنقيطي قال: « هذا هو قول الجمهور »[2].

2- دلالة اللغة العربية عليه، فإن ((عُرُباً)) جمع عَروب « واشتقاقه من أعرب إذا بيَّن، فالعروب تبين محبتها لزوجها بشَكَل وغنج وحسن كلام »[3].

3- الذين لم يرجحوا ما رجحه الشنقيطي واكتفوا بسرد الأقوال كلها أو بعضها عند تفسيرهم للآية، يلاحظ أنهم جميعاً متفقون على ذكر الأقوال (1، 2، 3، 4) من مجمل الأقوال، وهي:

1- المتحببات إلى أزواجهن.
2- الحسنة التبعل.
3- الحسنة الكلام.
4- العاشقة لزوجها.

وكما هو واضح أنه لا تنافر بين الأقوال المذكورة بل كلها تؤدي معنىً واحداً، فإن المرأة العروب: هي المتحببة إلى زوجها؛ بحسن التبعل (عمل)، وحسن الكلام (قول)، وعشقها لزوجها (محبة قلبية)، فإذا اجتمعت هذه الصفات في امرأة فهي عروب، وهي صفة نساء أهل الجنة. جعلنا الله [illegible].

[illegible] - « [illegible] »[4] [illegible]: « [illegible] »[5] [illegible].

---

[1] () روح المعاني للألوسي (27/142).
[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/775).
[3] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/211).
[4] () النكت والعيون للماوردي (5/455).
[5] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/238).

الأولين « ولا يخفى أن الغج أهل لأسبل الثوب»[1].

ويقول السعدي: « ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع »[2]. ويقول ابن عاشور: « وإنما فسروها بالمتحببة لأنهم لما رأوا هاته الأعمال تجلب محبة الرجل للمرأة ظنوا أن المرأة تفعلها لاكتساب محبة الرجل »[3]. والله أعلم بالصواب.

□ □ □

من هم (المقوين)؟

97- قوله تعالى: □□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ [سورة الواقعة: 71-73]

مجمل الأقوال الواردة:

أُختُلِفَ في المراد بلفظ ((المقوين)) في الآية على أقوال:

1- أن (المقوين): المسافرون.
2- أو المقوين: الجائعون.
3- الفقراء والمساكين.
4- المستمتعون[4].
5- أن لفظ المقوي من الأضداد، فيطلق على الغني والفقير[5].
6- أو أن لفظ المقوي يعني: أوقده وقواه وزاده[6].

---

[1] () روح المعاني للألوسي (27/142).
[2] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(834).
[3] () التحرير والتنوير لابن عاشور (27/301).
[4] () الأقوال (1، 2، 3، 4) ذكرها الماوردي في النكت والعيون (5/461).
[5] () مختصر البغوي (2/920) حكاه عن قطرب.
[6] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/423).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « وقوله تعالى ((ومتاعاً للمقوين)) أي منفعة للنازلين بالقواء من الأرض وهو الخلاء والفلاة التي ليس بها أحد، وهم المسافرون؛ لأنهم ينتفعون بالنار انتفاعاً عظيماً في الاستدفاء بها والاستضاءة وإصلاح الزاد.

وقد تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة كون اللفظ وارداً للامتنان. وبه تعلم أنه لا يعتبر مفهوماً للمقوين؛ لأنه جيء به للامتنان أي وهي متاع أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بالعمران، وكل شيء خلا من الناس يقال له أقوى؛ فالرجل إذا كان في الخلاء يقال له أقوى، والدار إذا خلت من أهلها قيل لها أقوت.

ومنه قول نابغة ذبيان:

يا دارمية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد[1]

وقول عنترة:

حييت من طلل تقدم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيْثم[2]

وقيل: للمقوين؛ أي للجائعين، وقيل غير ذلك، والذي عليه الجمهور هو ما ذكرنا »[3].

الشيخ الشنقيطي رجّح أن المراد بالمقوين: المسافرون.

الموافقون:

رجّح مثل ترجيح الشنقيطي؛ وأن لفظ ((المقوين)) يراد به المسافرون، عدد غير قليل من المفسرين، منهم:

---

[1]() البيت هو مطلع معلقة النابغة الذبياني، وهو زياد بن معاوية بن ذبيان الغطفاني، من شعراء الجاهلية المشهورون، مات سنة (604هـ) قبل مبعث النبي ﷺ. [illegible]: [illegible] ([illegible]).

[2]() البيت في معلقة عنترة بن شداد العبسي، من فحول شعراء الجاهلية وفرسانهم، عربيّ الأب حبشي الأم. انظر: شرح المعلقات السبع ص(108).

[3]() أضواء البيان للشنقيطي (7/796).

1- الطبري [1]. 2- الواحدي [2]. 3- ابن القيم [3].
4- أبوحيان [4]. 5- المحلي [5]. 6- الثعالبي [6].
7- القنوجي [7]. 8- سيد قطب [8].

المخالفون:

المخالفون في هذا الموضع على فئات:

أ- الفئة الأولى: من حمل لفظ ((المقوين)) على معنى واحد من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال، منهم:

1- الفخر الرازي: «... والمقوي: هو الذي أوقده فقواه وزاده »[9].

2- البقاعي: « ((للمقوين)) أي الجياع الذين أقوت بطونهم -أي خلت- من الفقر»[10].

ب- الفئة الثانية: من حمل لفظ ((المقوين)) على معنيين من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال على اعتبار احتمال أيّ من القولين أو كلاهما معاً للآية، وهذه الفئة على نوعين حسب الأقوال التي اختاروها:

النوع الأول: الذين حملوا لفظ ((المقوين)) على أنه يراد به المسافرون أو الجائعون -وهذان هما القولان (1+2) من مجمل الأقوال- وممن قال بهذا:

---

[1] () جامع البيان للطبري (27/116).
[2] () الوجيز للواحدي (2/1063).
[3] () بدائع التفسير لابن القيم (4/356).
[4] () البحر المحيط لأبي حيان (10/90).
[5] () تفسير الجلالين 2(454).
[6] () جواهر الحسان للثعالبي (4/256).
[7] () فتح البيان للقنوجي (13/380).
[8] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3470).
[9] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/423).
[10] () نظم الدرر للبقاعي (19/230).

1- النسفي[1]. 2- الزمخشري[2]. 3- ابن جزي[3].
4- البيضاوي[4]. 5- ابن عاشور[5].

النوع الثاني: الذين حملوا لفظ ((المقوين)) على أنه يراد به المسافرون أو المستمتعون المنتفعون بالنار عموماً من مسافرين وحاضرين -وهذان هما القولان (1+4) من مجمل الأقوال- وممن قال بهذا.

1- النيسابوري[6]. 2- السعدي[7].

جـ- الفئة الثالثة: من حمل لفظ (المقوين) على ثلاثةٍ من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال، وهي الأقوال (1+4+5)، فيراد بالمقوين: المسافرين أو المستمتعين المنتفعين بها عموماً فيشمل المسافر والحاضر، أو أن لفظ (المقوي) من الأضداد فيقال للفقير مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقدرته على ما يريد، واختار هذه المعاني وذكرها عند تفسيره للآية: الخازن[8].

د- الفئة الرابعة: من ذكر أربعة أقوال تحت تفسيره للآية، وهؤلاء نوعان حسب ما اختاروه من أقوال:

النوع الأول: من رجح الأقوال رقم (1+2+3+4) وهي: (المسافرون، والجائعون، والفقراء، والمساكين، والمستمتعون عموماً)، وقال بهذا: ابن الجوزي[9].

النوع الثاني: من رجح الأقوال رقم (1+2+4+5) وهي: (المسافرون، والجائعون، والمستمتعون المنتفعون بها

---

[1]() مدارك التنزيل للنسفي (4/166).
[2]() الكشاف للزمخشري (4/456).
[3]() التسهيل لابن جزي (4/167).
[4]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/245).
[5]() التحرير والتنوير لابن عاشور (27/327).
[6]() إيجاز البيان للنيسابوري (2/240).
[7]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(836).
[8]() لباب التأويل للخازن (7/20).
[9]() زاد المسير لابن الجوزي (7/291).

عموماً)، أو أن لفظ (المقوي) يعتبر من الأضداد فيطلق على الغني والفقير، وممن ذكر هذا:
1- البغوي[1]. 2- القرطبي[2]. 3- الألوسي[3].

تعقيب الباحث:
الذي يظهر -والله أعلم- صحة حمل لفظ ((المقوين)) على جميع المعاني الواردة عن المفسرين، وذلك لأمور:
1- أن من فسر ((المقوين)) بالمسافرين جعل اشتقاق اللفظ من: « الأرض القواء، يعني الخلاء والفلاة التي ليس فيها أحد »[4]، والمسافر في أثناء سفره يقطع أراض وفيافٍ تكون خالية من البشر غالباً؛ وهي الأرض القواء، فصح أن يقال عن المسافرين (مقوين).
2- من فسّر (المقوين) بأنهم الجائعين، أو الفقراء والمساكين، جعل اشتقاق اللفظ من قوله: « أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئاً »[5]. فصح إطلاق (المقوين) على الجائعين عموماً أو الفقراء والمساكين خصوصاً لخلو بطونهم من الطعام.
3- من حمل لفظ ((المقوين)) على أنه يراد به المستمتعين المنتفعين بالنار عموماً؛ فإن مؤيدهم في ذلك « ما تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة كون اللفظ وارداً للامتنان[6]. وعليه لا يعتبر مفهوماً للمقوين؛ لأنه جيء به للامتنان، أي وهي متاع أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بالعمران »[7]. وإنما خص المسافرين بالذكر لأن « أهل البوادي والأسفار منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السباع،

---

[1] () مختصر البغوي (2/920).
[2] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/222).
[3] () روح المعاني للألوسي (27/150).
[4] () أضواء البيان للشنقيطي (7/796).
[5] () مختصر البغوي (2/920).
[6] () انظر: مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص(241).
[7] () أضواء البيان للشنقيطي (7/796).

ويهتدي بها الضال، وغير ذلك من المنافع »[1].

4- ومن حمل لفظ ((المقوين)) على صحة إطلاقه على الغني والفقير، فإنهم اعتبروه من الأضداد « يقال للفقير مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حال القوة، والمعنى أن فيها متاعاً للأغنياء والفقراء جميعاً لا غنى لأحد عنها »[2].

5- وعموماً فقد صرّحوا بأن « الآية تصلح للجميع؛ لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم، والغني والفقير »[3].

6- فائدتان:

أ- يقول الفخر الرازي: « قدم -ﷺ- كونها تذكرة على كونها متاعاً ليعلم أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم »[4].

ب- يقول ابن القيم: « وخص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين تنبيهاً لعباده -والله أعلم بمراده من كلامه- على أنهم كلهم مسافرون وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين وأنهم عابروا سبيل وأبناء سفر »[5]. والله أعلم بالصواب.

❁ ❁ ❁

---

[1] () مختصر البغوي (2/920).
[2] () المرجع السابق.
[3] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/222) حكاه عن المهدوي.
[4] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/423).
[5] () بدائع التفسير لابن القيم (4/356).

المراد بالتربص

98- قولـه تعـالى: ﴿ ﴾ [سورة التوبة: 98].

مجمل الأقوال الواردة:

1- أن المراد بالتربص: الانتظار، يعني تربص المنافقين بالنبي ﷺ الموت، وبالمؤمنين الدوائر[1].

2- أو يكون المراد بالتربص: تأخير التوبة، والمعنـى: تربصـتم أي أخرتم التوبة من وقت إلى وقت حتى متّم[2].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: « وقوله ((وتربصتم)) التربص: الانتظار، والأظهر أن المـراد بـه هنا تربـص المنـافقين بـالمؤمنين الـدوائر، أي انتظـارهم بهـم نوائب الدهر أن تهلكهم، كقوله تعـالى فـي منـافقي الأعـراب المذكورين فـي قولـه: ﴿ ﴾ [سورة التوبـــــة: 101]، ﴿ ﴾ [سورة التوبة: 98] »[3].

الموافقون:

إن المراد بالتربص هنا: هو تربـص المنـافقين بـالنبي ﷺ والمـؤمنين معـه الـدوائر، يعنـي ينتظـر المنـافقون أن يمـوت النبي ﷺ، وتنزل بالمؤمنين نوائب الدهر من المصـائب الفرديـة

---

[1] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/247)، أضواء البيان للشـنقيطي (7/809).

[2] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/309)، جواهر الحسان للثعـالبي (4/265).

[3] () أضواء البيان للشنقيطي (7/809).

والجماعية ونحوها؛ هذا ما رجحه الشيخ الشنقيطي، ومثله قد رجحه عدد من المفسرين من السلف والخلف، منهم:

1- الواحدي: « ((وتربصتم)) بمحمد -- الموت »[1].

2-3-4-5-6- النسفي[2]، الزمخشري[3]، البيضاوي[4]، المحلي[5]، والألوسي [6]: « ((وتربصتم)) بالمؤمنين الدوائر ».

7- النيسابوري: « ((وتربصتم)) قلتم: [illegible] [سورة الطور: 30] »[7].

8-9- الشوكاني[8]، القنوجي[9]: « بمحمد وبمن معه من المؤمنين حوادث الدهر. وقيل: تربصتم بالتوبة. والأول أولى ».

10- ابن عاشور: « والتربص: انتظار شيء، ويتعدى فعله إلى المفعول بنفسه ويتعلق به ما زاد على المفعول بالباء، وحذف هنا مفعوله ومتعلقه ليشمل عدة الأمور التي ينتظرها المنافقون في شأن المؤمنين وهي كثيرة مرجعها إلى أذى المسلمين والإضرار بهم فيتربصون هزيمة المسلمين في الغزوات ونحوها من الأحداث »[10].

المخالفون:

رجّح القول الآخر وهو أن المراد بالتربص تأخير التوبة؛ قلة من المفسرين، منهم:

1- الطبري: « وقوله ((وتربصتم)) يقول وتلبثتم بالإيمان ودافعتم بالإقرار بالله ورسوله »[11].

---

[1] () الوجيز للواحدي (2/1068).
[2] () مدارك التنزيل للنسفي (4/170).
[3] () الكشاف للزمخشري (4/463).
[4] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/248).
[5] () تفسير الجلالين ص(457).
[6] () روح المعاني للألوسي (27/177).
[7] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/245).
[8] () فتح القدير للشوكاني (5/168).
[9] () فتح البيان للقنوجي (13/409).
[10] () التحرير والتنوير لابن عاشور (27/386).
[11] () جامع البيان للطبري (27/130).

2- سيد قطب: « ((ولكنكم فتنتم أنفسكم))... فصرفتموها عن الهدى، ((وتربصتم))... فلم تعزموا ولم تختاروا الخيرة الحاسمة »[1].

في حين أن عدداً كبيراً من المفسرين فسروا التربص هنا بذكر القولين معاً، منهم:

1- الماوردي: « (وتربصتم) فيه تأويلان:
أحدهما: بالحق وأهله. والثاني: وتربصتم بالتوبة »[2].

2- ابن الجوزي: « ((وتربصتم)) فيه قولان:
أحدهما: تربصتم بالتوبة. والثاني: تربصتم بمحمد الموت، وقلتم يوشك أن يموت فنستريح »[3].

3- القرطبي:«((وتربصتم)) بالنبي [illegible] : (( )) [illegible] »[4].

4- ابن جزي: « (وتربصتم) أي أبطأتم بإيمانكم. وقيل: تربصتم الدوائر بالنبي وبالمسلمين »[5].

5- البقاعي: « ((وتربصتم)) أي كلفتم أنفسكم أن أخرجتموها عن الفطرة الأولى فأمهلتم وانتظرتم لتروا الأمر عياناً أو لم تفعلوا كما فعلنا من الإيمان بالغيب وترك التجربة ونسبة ما يحصل لنا مما فيه فتنة إلى أنفسنا بتقصيرنا، وكنا كلما حصل لنا ما يزلزل نقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولا يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، وانتظرتم أيضاً الدوائر بأهل الإيمان لتظهروا النفاق »[6].

وبنحو عبارات من ذكرت جاء كلام كل من: البغوي[7]،

---

[1] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3486).
[2] () النكت والعيون للماوردي (5/476).
[3] () زاد المسير لابن الجوزي (7/304).
[4] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/247).
[5] () التسهيل لابن جزي (4/177).
[6] () نظم الدرر للبقاعي (19/276).
[7] () مختصر البغوي (2/925).

والفخر الـرازي[1]، والخـازن[2]، وأبـي حيـان[3]، وابـن كـثير[4]، والثعالبي[5].

تعقيب الباحث:

يظهـر -واللـه أعلـم- أن الراجـح هـو مـا ذهـب إليـه الشـنقيطي والموافقـون، مـن أن الـتربص يـراد بـه تربـص المنافقين بالنبي ﷺ والمؤمنين معه الدوائر، فيتربصون بالنبي ﷺ أن يأتيه المـوت فيسـتريحوا، ويتربصـون بـالمؤمنين أن تنـزل عليهم المصائب ونوائب الدهر، يدل لذلك أمور:

1- أن تفسـير القـرآن بـالقرآن هـو أحسـن وأفضـل أنـواع التفسير[6]، والقول المذكور قد دلت عليه آيـات مـن كتـاب الله [illegible]

[illegible] [سورة الطور: 30].

2- أن هذا التفسير هو المناسب لسياق الآية، فإن قولـه تعـالى ((وارتبتم)) يراد به « شككتم في توحيد الله [illegible] »[7] [illegible] ((...)) [illegible] ((...)) [illegible]

[illegible].[8]

[illegible]

[illegible].

---

[1] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/459).
[2] () لباب التأويل للخازن (7/29).
[3] () البحر المحيط لأبي حيان (10/107).
[4] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/309).
[5] () جواهر الحسان للثعالبي (3/265).
[6] () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).
[7] () جامع البيان للطبري (27/130).
[8] () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/125).

المراد بأمر الله

99- قولــه تعـالى: [illegible] [سورة الحديد: 14].

مجمل الأقوال الواردة:
1- أن المراد بأمر الله : الموت.
2- أو يكون المراد: إلقاؤهم في النار.
3- أو أن يكون المراد بأمر الله : نصرة نبيّه [1].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « وقوله ((حتى جاء أمر الله)) الأظهر أنه الموت؛ لأنه ينقطع به العمل »[2].

الموافقون:
عدد كبير من المفسرين ذهبوا إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي، ورجحوا أن المراد بأمر الله في هذه الآية: هو الموت، منهم:
1- الطبري[3]. 2- الواحدي[4]. 3- البغوي[5].
4- النسفي[6]. 5- الزمخشري[7]. 6- الفخر الرازي[8].

---

[1] () الأقوال الثلاثة مجتمعة ذكرها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (17/247).
[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/810).
[3] () جامع البيان للطبري (27/130).
[4] () الوجيز للواحدي (2/1068).
[5] () مختصر البغوي (2/925).
[6] () مدارك التنزيل للنسفي (4/170).
[7] () الكشاف للزمخشري (4/463).
[8] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/459).

7- أبوحيان [1]. 8- ابن كثير [2]. 9- البيضاوي[3].
10- المحلي[4]. 11- البقاعي[5]. 12- الألوسي[6].
13- السعدي[7]. 14- ابن عاشور[8].

ولم يرجح في هذا الموضع أحدٌ قولاً آخر.

ولكن بعض المفسرين ذكروا تحت تفسيرهم للآية القولان الأول والثاني « الموت أو إلقاء المنافقين في النار » معتبرين القولين معاً معنىً للآية، منهم:
1- الماوردي[9]. 2- ابن الجوزي[10].
3- الخازن[11].
وبعض آخر ذكروا القولين الأول والثالث « الموت، أو نصرة النبي » على اعتبار صلاحية القولين معنىً للآية، منهم:
1- ابن جزي[12]. 2- الثعالبي[13].
وبعض أخير ذكروا الأقوال الثلاثة كلها « الموت، أو إلقاء المنافقين في النار، أو نصرة النبي » على أنها محتملة للآية، منهم:

---

[1]() البحر المحيط لأبي حيان (10/107).
[2]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/309).
[3]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/248).
[4]() تفسير الجلالين ص(457).
[5]() نظم الدرر للبقاعي (19/277).
[6]() روح المعاني للألوسي (27/178).
[7]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(840).
[8]() التحرير والتنوير لابن عاشور (27/387).
[9]() النكت والعيون للماوردي (5/476).
[10]() زاد المسير لابن الجوزي (7/304).
[11]() لباب التأويل للخازن (7/29).
[12]() التسهيل لابن جزي (4/178).
[13]() جواهر الحسان للثعالبي (4/265).

1- القرطبي[1].
2- الشوكاني[2].
3- القنوجي[3].

تعقيب الباحث:
يظهر -والله أعلم- أن الراجح هو ما رجحه الشنقيطي والموافقون، وأن المراد بأمر اللـه فـي الآيـة: المـوت، يـدل لذلك:
1- أن هذا القول هو ما رجحه جمهور من المفسرين على مـر العصور؛ من ابن جرير الطبري في أواخـر القـرن الثـالث الهجري إلى الشنقيطي وابـن عاشـور فـي أواخـر القـرن الرابع عشر الهجري.
2- أن هذا المعنى هو المناسب لسياق الآية، فإن الغايـة الـتي تقف عندها -إجبارياً- أمـاني الإنسـان وآمـاله عمومـاً هـو المـوت، يقـول تعـالى: [سورة الحديد: 14].
3- حتى الذين لم يرجحوا ما رجحه الشنقيطي، واكتفوا بسرد الأقـوال كلهـا أو بعضـها، اتفقـوا جميعـاً علـى أن أبـرز المعاني لقوله ((أمر الله)) هو الموت. فيتضح من هذا أن أظهر المعاني وأول ما يتبادر إلى الذهن عند بيـان المـراد بأمر الله أن يفسر بأنه الموت. والله أعلم بالصواب.

---

[1]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/247).
[2]() فتح القدير للشوكاني (5/168).
[3]() فتح البيان للقنوجي (13/410).

مَنْ المقصود؟ مؤمني هذه الأمة أو مؤمني أهل الكتاب

100- قولـه تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ [سورة الحديد: 28].

مجمل الأقوال الواردة:
اختلف في الخطاب المذكور في قولـه تعالى ((يا أيهـا الذين آمنوا...)) في آية سورة الحديد هذه على قولين:
1- أن الخطاب يراد به عموم المؤمنين مـن هـذه الأمـة، أمـة محمد ﷺ.
2- أن الخطاب يراد به أهل الكتاب من اليهود والنصارى[1].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: « التحقيق أن هذه الآية الكريمة من سورة الحديد في المؤمنين من هذه الأمة، وأن سياقها واضح في ذلك، وأن من زعـم مـن أهل العلم أنها في أهل الكتاب فقد غلط، وأن ما وعد الله ﷻ به المؤمنين مـن هـذه الأمـة أعظـم ممـا وعـد بـه مـؤمني أهـل الكتـاب وإتيـانهم أجرهـم مرتيـن؛ كمـا قـال تعـالى فيهـم: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ [سورة القصص: 52-54]، وكون ما وعـد بـه المـؤمنين مـن هذه الأمة أعظم؛ أن إيتاء أهل الكتاب أجرهـم مرتيـن أعطـى المؤمنين من هذه الأمة مثله كما بينه بقـوله: ((يـؤتكم كفليـن من رحمته)) وزادهم بقـوله ((ويجعـل لكـم نـوراً تمشـون بـه ويغفر لكم)) »[2].
الشيخ الشنقيطي رجح أن المراد: المؤمنين من هـذه

[1] () القولان ذكرهما ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (4/317).
[2] () أضواء البيان للشنقيطي (7/816).

الأمة، أمة محمد ﷺ.

الموافقون:
مثل ترجيح الشنقيطي؛ رجّح أن الخطاب موجّه إلى مؤمني هذه الأمة، عدد قليل من المفسرين، منهم:
1- أبوحيان: « ((يا أيها الذين آمنوا)) الظاهر أنه نداء لمن آمن من أمة محمد ﷺ، فمعنى آمنوا: دوموا واثبتوا »[1].

2- الألوسي[2]. 3- السعدي[3]. 4- سيد قطب[4].
وكلام الألوسي والسعدي وسيد قطب يشبه كلام أبي حيان.

المخالفون:
الذين رجحوا أن الخطاب يراد به أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم عدد كبير من المفسرين، منهم:
1- الطبري: « ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)) يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل؛ خافوا الله ﷻ بأداء طاعته واجتناب معاصيه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ »[5].
2- الماوردي[6]. 3- البغوي[7]. 4- النسفي[8].

---

[1] () البحر المحيط لأبي حيان (10/116).
[2] () روح المعاني للألوسي (27/193).
[3] () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(843).
[4] () في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3496).
[5] () جامع البيان للطبري (27/140).
[6] () النكت والعيون للماوردي (5/485).
[7] () مختصر البغوي (2/928).
[8] () مدارك التنزيل للنسفي (4/174).

5- النيسابوري[1].
6- ابن الجوزي[2].
7- الفخر الرازي[3].
8- القرطبي[4].
9- الخازن[5].
10- ابن جزي[6].
11- البيضاوي[7].
12- المحلي[8].
13- البقاعي[9].

والذين لم أذكر كلامهم فإنه لا يخرج في مجمله عما قاله الطبري.

تعقيب الباحث:

يظهر -والله أعلم- أن الراجح كون الخطاب في هذه الآية يراد به من آمن بالنبي ﷺ من مؤمني أهل الكتاب ودخل في الإسلام مصدقاً بالنبي محمد ﷺ وبما جاء به من القرآن الكريم، يظهر هذا واضحاً من سياق الآيات، فإن « إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد أولى به من الخروج عنه »[10]، واستناداً إلى هذه القاعدة الترجيحية؛ يترجح ما ذهب إليه الإمام الطبري ومن معه: من كون الخطاب يراد به من آمن بالنبي ﷺ من أهل الكتاب.

أيضاً ما ورد في سورة القصص؛ وهو قوله تعالى: ﴿ ...

---

[1] () إيجاز البيان للنيسابوري (2/246).
[2] () زاد المسير لابن الجوزي (7/312).
[3] () التفسير الكبير للفخر الرازي (10/475).
[4] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17/266).
[5] () لباب التأويل للخازن (7/34).
[6] () التسهيل لابن جزي (4/183).
[7] () أنوار التنزيل للبيضاوي (2/250).
[8] () تفسير الجلالين ص(459).
[9] () نظم الدرر للبقاعي (19/324).
[10] () قواعد التفسير لخالد السبت (1/249).

[سورة القصص: 52-54] يؤيد إرادة هذا المعنى في سورة الحديد هنا، وهذا من « تفسير القرآن بالقرآن، أحسن أنواع التفسير »[1].

كذلك دلالة الحديث الصحيح؛ عن النبي ﷺ قال: « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدّى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدّبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »[2]، وصحة الحديث « مرجحة لما يؤيده من معنى الآية »[3].

ومما يرجح هذا القول أيضاً كونه اختيار عامة المفسرين،يقول ابن الجوزي: « عامة المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود والنصارى »[4]. والله أعلم الصواب.

❁ ❁ ❁

---

[1]() شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

[2]() أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، فتح الباري (6/145)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ (1/134).

[3]() قواعد الترجيح عند المفسرين (1/206).

[4]() زاد المسير لابن الجوزي (7/312).

المراد بقوله تعالى ﴿ ﴾

101- قولـه تعالى: ﴿ ﴾ [سورة المجادلة: 16].

مجمل الأقوال الواردة:
اختلف في المراد بقوله تعالى -عن المنافقين- ((فصـدوا عن سبيل الله)) على أقوال:
1- أن المعنى: صدّوا الناس عن دين الإسلام.
2- أن المعنى: صدّوا المؤمنين عن جهـادهم بالقتـل وأخـذ مـا لهم[1].
وهذان المعنيان (1+2) مبنيان على أن (صـدوا) هـي المتعدية.
3- أو يكون المعنى: صدوا أنفسهم عن سبيل الله ﴿ ﴾[2].

ترجيح الشنقيطي:
قال الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: « ذكر جـل وعلا فـي هـذه الآيـة الكريمـة أن المنـافقين اتخـذوا أيمانهم جنة، والأيمان جمع يميـن؛ وهـي الحلـف، والجُنَّـة هـي الترس الذي يتقـي بـه المقاتـل وقـع السـلاح، والمعنـى أنهـم جعلوا الأيمان الكاذبـة، وهـي حلفهـم للمسـلمين أنهـم معهـم وأنهم مخلصون في باطن الأمر، ترسـاً لهـم يتقـون بـه الشـر الذي ينزل بهم لو صرحوا بكفرهم.
وقوله تعالى: ((فصدوا عن سـبيل اللـه)) الظـاهر أنـه من صد المتعدية، وأن المفعـول محـذوف أي فصـدوا غيرهـم ممـن أطـاعهم؛ لأن صـدودهم فـي أنفسـهم دل عليـه قولـه ((اتخذوا أيمانهم جنـة))، والحمـل علـى التأسـيس أولـى مـن الحمل على التأكيد.
وهذان الأمـران اللـذان تضـمنتها هـذه الآيـة الكريمـة؛ وهما كون المنافقين يحلفون الأيمان الكاذبة لتكون لهم جنـة،

---

[1] () القولان (1+2) ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير (7/327).
[2] () ذكره أبوحيان في البحر المحيط (10/130).

وأنهم يصدون غيرهم عن سبيل الله ؛ جاءا موضحين في آيات أخر من كتاب الله تعالى. أما أيمانهم الكاذبة فقد بينها الله جل وعلا في آيات كثيرة، كقوله تعالى في هذه السورة [سورة المجادلة: 14]، وقوله تعالى [سورة التوبة: 62]، وقوله تعالى: [سورة التوبة: 95]، وقوله تعالى: [سورة التوبة: 42]، وقوله تعالى: [سورة المنافقون: 2].

وأما صدهم من أطاعهم عن سبيل الله فقد بينه الله في آيات من كتابه كقوله تعالى [سورة الأحزاب: 18]، وقوله تعالى: [سورة آل عمران: 156]، وقوله تعالى: [سورة آل عمران: 168]، وقوله تعالى: [سورة النساء: 72] »[1].

الشيخ الشنقيطي يرى أن المراد بقوله تعالى ((فصدوا عن سبيل الله)): صدوا غيرهم عن دين الإسلام، على أن (صدّ) متعدية.

الموافقون:

رجح أن معنى ((فصدوا عن سبيل الله)) أي أن

---

[1]() أضواء البيان للشنقيطي (7/821).

المنـافقين يصـدون النـاس عـن طاعـة اللـه والإيمـان بـه، بتثـبيطهم عـن الـدخول فـي الإسـلام؛ عـدد غيـر قليـل مـن المفسرين، وهو المعنى الذي ذهب إليه الشنقيطي، منهم:

1- النسفي[1]. 2- الزمخشري[2]. 3- الفخر الرازي[3].

4- ابن كثير[4]. 5- البيضاوي[5]. 6- البقاعي[6].

7- الألوسي[7]. 8- السعدي[8].

المخالفون:

قليل من المفسـرين رجحـوا أن المـراد بقـوله تعـالى ((فصدوا عن سبيل اللـه)) أي صـدوا المـؤمنين عـن جهـادهم بالقتل وأخذ أموالهم، وذلك لأنهم كفرة؛ وحكم اللـه وسـبيله في أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل أو أخذ الجزيـة، وفـي عبدة الأوثان القتل، فمن هؤلاء المفسرين:

1- الطبري[9]. 2- البغوي[10]. 3- ابن جزي[11].

4- المحلي[12].

تعقيب الباحث:

الظاهر -والله أعلـم- أن معنـى ((فصـدوا عـن سـبيل الله)) أي صدوا غيرهم من الناس عن سـبيل اللـه والإيمـان

---

[1]() مدارك التنزيل للنسفي (4/178).
[2]() الكشاف للزمخشري (4/483).
[3]() التفسير الكبير للفخر الرازي (10/497).
[4]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/328).
[5]() أنوار التنزيل للبيضاوي (2/253).
[6]() نظم الدرر للبقاعي (19/388).
[7]() روح المعاني للألوسي (28/33).
[8]() تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(847).
[9]() جامع البيان للطبري (28/17).
[10]() مختصر البغوي (2/932).
[11]() التسهيل لابن جزي (4/193).
[12]() تفسير الجلالين ص(461).

به، وذلك بتثبيطهم عن الدخول في دين الإسلام الصحيح؛ يدل لذلك:

1- أن صدودهم بأنفسهم عن الإسلام الصحيح قد دل عليه قوله تعالى ((اتخذوا أيمانهم جنة)) فكونهم يحلفون بأنهم مسلمون ليوهموا الناس أنهم مسلمين وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم ليسوا مسلمين الإسلام الصحيح، وحمل ((فصدوا عن سبيل الله)) على صدودهم وإعراضهم بأنفسهم يكون تكراراً في الآية، وأما حمله على صدهم لغيرهم من الناس يفيد معنى جديداً « وإذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى »[1] هذه قاعدة يرجح بها المفسرون بين الأقوال.

2- إلحاقاً للنقطة السابقة؛ وبناء على نفس القاعدة الترجيحية « الحمل على التأسيس أولى » يترجح القول بأن ((صدوا عن سبيل الله)) يراد به صدهم غيرهم عن الدخول في الإسلام، على أن يراد به صدهم المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم؛ لأن هذا المعنى الأخير قد أفاده قوله تعالى ((جُنَّة))، فإن « أصل الجنة ما يستتر به ويتقى به المحذور[2] كالترس، ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم »[3]. فلفظ ((جُنَّة)) أفاد صدّهم المؤمنين عن قتالهم وأخذ أموالهم، ولفظ ((فصدوا عن سبيل الله)) أفاد صدهم غيرهم عن الدخول في الإسلام؛ وهذا المعنى هو الأولى. والله أعلم بالصواب.

الخاتمة

الخاتمـــة

بعد هذه الجولة الممتعة مع ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في تفسيره « أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » أخلص إلى عدد من النتائج، أهمها:

1- غزارة علم الشيخ الشنقيطي -رحمه الله- وتضلعه بكثير من العلوم كاللغة العربية والفقه والأصول والبلاغة وغيرها.

2- إتقانه لأفضل وأقوى وأحسن أنواع التفسير، تفسير القرآن بالقرآن، وهو المقصد الأساسي من تأليف كتابه أضواء البيان.

3- براعته في استخدام ألفاظ الترجيح، فيستخدم عند كل ترجيح اللفظ المناسب الذي يعطي ترجيحه قوته ومكانته المناسبة.

4- استناد ترجيحاته على القواعد المعتبرة المقررة لدى علماء التفسير، والتي يقررها هو أيضاً، إلا ما ندر.

5- درجات التفسير بالمأثور حاضرة في عمل الشيخ الشنقيطي -رحمه الله- في تفسيره أضواء البيان، فما لم تفسر الآية بآيات أخرى، وصح حديث في بيان أحد الأقوال الواردة، فهو مرجّح عنده على غيره.. ثم بعده ما فسره الصحابة وأجمعوا عليه... وهكذا.

6- تحرّيه للصواب المؤيد بالدليل، وعدم تعصبه لمذهب أو شخص معين.

7- ما أجمع عليه جمهور أئمة التفسير من السلف مرجّح عنده على ما شذ عنهم.

8- إن النظر في أقوال العلماء، ودراستها، ومقارنتها، بالنظر في أدلة كل قول ومدى قوته ورجحانه على غيره؛ هذا النوع من الدراسة ينمّي في الطالب ملكة مناقشة الآراء المختلفة وسبر أغوارها والحكم عليها.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم إلى الله [illegible]

[illegible].

[illegible]:

كتبت وقد أيقنت لا شك أنني ... ستفنى يدي يوماً ويبقى كتابيا
وأيقنت أن الله سائلها غداً ... فيا ليت شعري ما يكون جوابيا
وقول الشاعر:

يا ناظر الخط ... فاستغفر لمن كتبا
فقد كفتك يداه ... النسخ والتعبا[1]

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واعف عنا إنك أنت العفو الكريم الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

---

[1] () استفدت الأبيات المذكورة من كتاب: بلاد شنقيط، المنارة والرباط، للخليل النحوي، ص(236)، ولم يحدد قائلي الأبيات.